جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بابل. كلية العلوم الإسلامية

# مُقوماتُ بناء الحضارة الإنسانية في القرآن الكريم
# دراسةٌ موضوعيةٌ

**رسالة قدَّمتها الطالبة**

نقاء علي حسن

**إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية /جامعة بابل**

**وهي من متطلبات نيل شهادة الماجستير في علوم القرآن**

بإشراف

أ .د .محمد حمزة الشيباني

١٤٤٤هـ ٢٠٢٢م

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

(سورة : آل عمران ١١٠)

# الإهـــداء

**إلى حضرة الحبيب المصطفى (صلى الله عليه وسلم) وآل بيته الأطهار**

**إلى من غرست في نفسي ثمرة العلم والحب (أمي الغالية)**

**إلى من جاهد مكافحاً من أجل إيصالي إلى النجاح (أبي الحنون)**

**إليهم جميعاً أهدي هذا البحث المتواضع**

**نقاء**

# شكر وتقدير

انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (إبراهيم: ٧)، أتوجه إلى الله الكريم بالحمد والشكر والثناء، على ما أنعم به عليّ بأن أكرمني باللحاق في ركب الباحثين في جواهر كتابه العزيز، سائلا المولى عز وجل أن يفيض عليّ من علومه خدمة لكتابه المجيد.

وانطلاقاً من قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((من لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الله عز وجل )) فإني أتقدم بخالص الشكر والعرفان والتقدير لأستاذي المشرف الدكتور : محمد حمزة إبراهيم الشيباني، على ما بذله من جهد وتوجيهات ونصائح نيرة، وعلى ما لقيت منه من حسن المتابعة والمعاملة الطيبة، إذ لم يأل جهدا في إبداء توجيهاته ونصائحه ولمساته الرائعة .

وأتوجه بالشكر والعرفان إلى أساتذتي في كلية العلوم الإسلامية، وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور عامر عمران الخفاجي، وباقي أساتذتي الأعلام وهم، الأستاذ الدكتور حكمت الخفاجي، والأستاذ الدكتور محمد طالب الحسيني، والأستاذ الدكتور دريد الأعرجي، والأستاذ الدكتور محمد عباس نعمان والأستاذ الدكتور جبار كاظم الملا، والأستاذ الدكتور عادل الشاطي، والأستاذة الدكتورة سكينة عزيز الفتلي، والأستاذ الدكتور محمد الشيباني، والأستاذ الدكتور حيدر الشّلاه، الذين كان لهم الفضل بعد الله في التوجيه والتربية والتحصيل. وأشكر الكادر الإداري في الكلية لحسن تعاونهم وأشكر إخواني الذين هيأوا لي فرصة الالتحاق بالدراسات العليا التي كنت أحلم بها ولا سيما في ظل الظروف الصعبة التي عانيت منها.

نقاء

# قائمة المحتويات


الآية القرآنية .....أ

الإهـــداء .....ب

شكر وتقدير .....ج

قائمة المحتويات.....د

المقدمـــة.....١

التمهيد: مفهوم مصطلحات العنوان.....٥

المبحث الأول : المقومات الحضارية في اللغة والاصطلاح .....٥

المطلب الأول : المقومات في اللغة والاصطلاح.....٥

المطلب الثاني : الحضارة في اللغة والاصطلاح.....٦

المبحث الثاني: التحول الحضاري للعرب في ظل الإسلام ..... ١٠

المطلب الأول: أحوال العرب قبل الإسلام..... ١١

المطلب الثاني: أهم التحولات الحضارية بعد مجيء الإسلام..... ١٦

الفصل الاول: المقومات الفكرية لنشأة الحضارة في الاسلام.....٢١

المبحث الأول: العقيدة وأُسس بناء الحضارة..... ٢٣

المطلب الأول: أهمية العقيدة..... ٢٣

المطلب الثاني : علاقة العقيدة بالحضارة ..... ٢٥

المبحث الثاني مسايرة الشريعة لحياة الإنسان ومصالحه..... ٢٧

المطلب الأول: أهمية التشريع الإسلامي في الحياة.....٢٧

المطلب الثاني: أهم خصائص التشريع الإسلامي: ..... ٣٠

المبحث الثالث الحث على العلم والتفكر والاستفادة من تجارب الأمم..... ٣٩

المطلب الاول: الحث على العلم والتفكر ..... ٣٩

المطلب الثاني: الحث على الاستفادة من تجارب الأمم السابقة..... ٤٧

الفصل الثاني: المقومات الاخلاقية لنشأة الحضارة في الإسلام.....٥٣

المبحث الأول دور الفضائل في بناء الحضارة ..... ٥٤

المطلب الاول: الإصلاح..... ٥٥

المطلب الثاني: العدل ..... ٦٠
المطلب الثالث: الصبر ..... ٦٣
المبحث الثاني أثر الرذائل في سقوط الحضارة ..... ٦٨
المطلب الاول: الظلم..... ٦٩
المطلب الثاني: الترف والمترفين..... ٧٧
المطلب الثالث: الإفساد في الأرض..... ٨٢
الفصل الثالث: المقومات العملية لنشأة الحضارة في الإسلام..... ٩٥
المبحث الأول : تحقيق الامن..... ٩٧
المطلب الأول: أهمية الأمن ..... ٩٧
المطلب الثاني: أساليب القرآن في تحقيق الأمن..... ٩٩
المبحث الثاني: الدعوة الى عمارة الأرض ..... ١١١
المطلب الاول: أهمية عمارة الارض في الاسلام ..... ١١١
المطلب الثاني: عمارة الأرض ومفهوم الاستخلاف ..... ١١٣
المبحث الثالث: الحث على العمل الصالح..... ١١٨
المطلب الأول: مفهوم العمل الصالح..... ١١٨
المطلب الثاني: تأكيد الإسلام على العمل الصالح..... ١٢٣
المبحث الرابع: التعايش وقبول الآخر..... ١٢٦
المطلب الاول: مفهوم التعايش ومستوياته ..... ١٢٦
المطلب الثاني: مفهوم التعايش في الإسلام ..... ١٣٢
الخاتمة..... ١٤٢
المصادر والمراجع..... ١٥١
Abstract ..... A

**المقدمــة**

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد( صلى الله عليه وآله وسلم ) والحمد لله الذي منّ علينا بالإسلام، والحمد لله حمداً يليق بجلاله العظيم، ويوازي جوده الكريم، وخيره العميم، أحمدك ربي حمد الشاكرين المنيبين المخبتين الخاشعين الراجين .أما بعد

إنّ القرآن الكريم كتاب سماوي فيه منهاج حياة متكاملة للمسلمين والبشر عامة، ومن هذا المنهج نجحت الحضارة العربية الإسلامية في استيعاب الأجناس المختلفة والحضارات المتنوعة التي انطوت تحت لواء تلك الحضارة ذات الصبغة العالمية والإنسانية، لأن دستور الدين الإسلامي هو القرآن الذي أمر المسلمين بالتعامل الإنساني واستعمال لغة الحوار، فيعد القرآن أساس تطور تلك الروح السمحة التي نادى بها الإسلام في سبيل رقي الأنسان، فكان من إنجازات القرآن الكريم ما عرفه العالم كله من بناء للحضارة فانضمت عشرات الأمم والشعوب المختلفة بالعرق، واللغة، والعقيدة، إلى خير أمة أخرجت للناس.

فقد كان للحضارة الإسلامية شأن علا كل شأن، وفضل فاق كل فضل،إذ فاضت على الناس بالقيم السامية، والأخلاق الفاضلة، والعلوم والفنون الرائعة، بما شهد به قريب وبعيد، حتى جاء أجلها لمّا ابتعد المسلمون عن مناهج الوحي وهدى الشريعة.

وقع الاختيار على موضوع (مقومات بناء الحضارة الإنسانية في القرآن الكريم )للوقوف عند الشروط القرآنية لبناء الحضارة عسى أن يكون ذلك دافعا لنا للسعي والنهوض، واخذ مكاننا بين الأمم المتقدمة بل وقيادة العالم لما فيه الخير والصلاح بحسب التوجيهات الإلهية والتوصيات القرآنية.

**أولا :أهمية الموضوع**

لقد عقدت النية، على الخوض في غمار مضمار مهم، كتب فيه سدنة العقيدة، وأهل الفكر، ونهض به الكبار من كل ملة ألا وهو موضوع الحضارة، ولكن من منظور القرآن الكريم، فالقرآن بوصفه يمثل المرجعية الفكرية الأولى للمسلمين لم يهمل هذا الموضوع المهم والحيوي وان لم يستعمل مصطلح الحضارة فإنّ مفهومها كقيام أمة قوية قادرة على توفير السعادة للإنسان، ومحاربة كل مصادر الشقاء التي تعيق تكامله ممّا توافر عليه القرآن وعرض لكل أسباب تحققه وأساليب العمل بها وأيضا تناول كل أسباب التخلف والتراجع وذمها وحاربها.

فقد حاولت الباحثة في هذه الدراسة عرض تلك الأسس الربانية في الحضارة الإسلامية، وبدأ بالأسس الفكرية ثم الأخلاقية، والعملية، فيشمل ذلك المنطلقات النظرية المرتبطة بالمنظور العقدي للعالم، والمنطلقات التربوية المتعلقة بتهذيب النفوس ،وتربية الفرد والمجتمع، والمنطلقات العملية والتدبيرية التي تدفع الإنسان إلى السعي والعمل .

**ثانياً :مشكلة البحث**

المشكلة التي ينطلق منها الموضوع هي محاولة تلمس الإرشادات والتوجيهات القرآنية التي تسهم في نهضة هذه الأمة بعد أن تراجعت لقرون طويلة، ولرد دعوى نسبة التخلف إلى تعاليم الإسلام وتوجيهات القرآن الكريم وهي الشبهات التي طالما رددها أعداء الأديان عامة وأعداء الإسلام بصورة خاصة، وسوف يتضح من خلال هذه الدراسة حجم هذه الفرية وأن لا أساس موضوعي لها.

**ثالثاً :فرضية الدراسة :**

تنطلق هذه الدراسة من فرضية مفادها أنّ (مقومات بناء الحضارة الإنسانية في القرآن الكريم ) حاضرة بقوة ويمكنها أن تسهم في تطوير المجتمعات وقيام الحضارات، وأنّ القرآن الكريم هو كتاب للحياة أيضا وليس للآخرة فقط، وأنّ المشاكل الإجتماعية والأخلاقية والنفسية التي تفتك بالبشرية يمكن تجاوزها بسهولة ويسر إذا أخذنا بتعليمات القرآن السديدة وتمسكنا بمقاصده ومراميه.

**رابعاً :منهجية الدراسة:**

نهجت فيما كتبت نهج التدبر والتحليل, للآيات القرآنية المباركة،التي تحدثت عن الحضارات، ومقومات بناء الحضارات الإنسانية، فبعد أن جمعت ضميمة من الآيات القرآنية، حول كل موضوع عدت بعدها إلى ذخائر التفسير استعين بها على فهم النص، وعدت إلى كتب الحديث الشريف، فيما اقتضته الحاجة، وخرجت الأحاديث الشريفة ،واستعنت أيضا بالرجوع إلى مراجع ودراسات ذات صلة بموضوع البحث.

**خامساً :الدراسات السابقة:**

في حدود ما توصلت إليه الباحثة

(١) دراسة معالم الحضارة الإسلامية آفاق وتطلعات

دراسات معاصرة للسيد محمد تقي المدرسي

وقد بينت هذه الدراسة معالم الحضارة الإسلامية ونشأتها وظروفها ،كما تحدث عن أسباب انتكاسها ،وانحطاطها، فضلاً عن أنه قارنها بغيرها من الحضارات والمدنيات وهي دراسة تحليلية اتخذت أسلوب التحليل لدراسة الآيات المباركة

(٢) دراسة محمد هيشور ,سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها .

وقد بينت هذه الدراسة سنن القرآن في قيام الحضارات من خلال العقيدة والعبادة والسلوك وفي سقوطها من خلال سنن الابتلاء والظلم والتكذيب ،وهي دراسة وصفية يركز فيها المؤلف حول سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها

(٣) دراسة شوقي أبو خليل ,الحضارة العربية الإسلامية وموجزا عن الحضارات السابقة

وقد بينت هذه الدراسة لمحات سريعة عن الحضارات التي سبقت الحضارة الإسلامية ثم دراسة حضارتنا من جميع جوانبها تقريبا

وهي دراسة مقارنة بين الحضارة الإسلامية وبقية الحضارات

أما هذه الدراسة (مقومات بناء الحضارة الإنسانية في القرآن الكريم)، فقد سعت للخوض في التفاصيل التي لم تتطرق إليها الدراسات السابقة، وتقسيم الأسباب بحسب مظاهر النشاط الإنساني على فكرية وأخلاقية وعملية وذلك بدراسة موضوعية نهجت فيها نهج التحليل والتدبر في القرآن الكريم.

**سادساً: هيكلية الدراسة**

وقد اقتضت طبيعة الدراسة تقسيمها على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول، ثم خاتمة بأهم النتائج وقائمة بالمصادر والمراجع وعلى النحو التالي:

التمهيد وتناولت فيه التعريف بمفردات العنوان، وانتظم في مبحثين ، أمّا المبحث الأول فعّرفت فيه مقومات الحضارة وذلك في مطلبين :المطلب الأول: تعريف المقومات لغة واصطلاحاً والمطلب الثاني تعريف الحضارة لغة واصطلاحاً، أمّا المبحث الثاني: التحول الحضاري للعرب في ظل الإسلام

أمّا المبحث الثاني فكان بعنوان أهم التحولات الحضارية بعد مجيء الإسلام

أمّا الفصل الأول فكان بعنوان المقومات الفكرية لنشأة الحضارة في الإسلام, وقد تكون من ثلاثة مباحث كان المبحث الأول بعنوان: العقيدة وأسس بناء الحضارة ،أما المبحث الثاني: مسايرة الشريعة لحياة الإنسان ومصالحه ، والمبحث الثالث :الحث على العلم والتفكر والاستفادة من تجارب الأمم.

وتناول الفصل الثاني المقومات الأخلاقية لنشأة الحضارة في الإسلام ،وقد تكون من مبحثين , المبحث الأول : دور الفضائل في بناء الحضارة ، إما المبحث الثاني أثر الرذائل في سقوط الحضارة .

وعرض الفصل الثالث المقومات العملية لنشأة الحضارة في الإسلام وقد تكون من أربعة مباحث: المبحث الأول: تحقيق الأمن ، والمبحث الثاني: الدعوة إلى عمارة الأرض،أمّا المبحث الثالث فكان:الحث على العمل الصالح ، والمبحث الرابع التعايش وقبول الآخر

ثم ختمت الرسالة بأهم النتائج التي توصلت إليها وقائمة بالمصادر والمراجع المعتمدة في البحث.

**التمهيد: مفهوم مصطلحات العنوان**

**المبحث الأول : المقومات الحضارية في اللغة والاصطلاح**

**المطلب الأول : المقومات في اللغة والاصطلاح**

**المقومات في اللغة**

قال الفراهيدي(ت١٧٠هـ) **"** قوامُ كلَّ شيء: ما استقام به **"**[١] وقال الرازي(ت٦٦٦هـ) **"**قوم الشيء تقويما فهو قويم أي مستقيم، وقوام الأمر بالكسر نظامُه وعمادُه يقال: فلان قوام أهل بيته وقيام أهل بيته وهو الذي يقيم شأنهم، وقوام الأمر أيضا ملاكه الذي يقوم به وقد يفتح**"**[٢] ويرى ابن منظور: **"**أنّ قوام العيش عماده الذي يقوم به وقوام الجسم تمامه وقوام كل شيء ما استقام به وقومت الشيء فهو قويم أي مستقيم**"**[٣]. وقيل: تقوم الشيء: تعدل واستوى وتبينت قيمته. واستقام الشيء: اعتدل واستوى. وقوام كل شيء: عماده ونظامه، وما يقيم الإنسان من القوت، وقوام الأمر ما يقوم به . وهو قوام أهل بيته: يقيم شأنهم [٤] يبدو ممّا تقدم أنّ مفردة المقومات تعني ما تقوم عليه الأشياء، وتثبت وتستقيم، حتى تؤدي وظيفتها المنشودة، ولا بد لكل شيء من مقومات تجعله واضح المعالم، ويكون سببا لنجاحه وإدامته . فالمقومات الأساس الذي تبنى عليه الأشياء، وتستقيم، ومقومات الشيء أي مكوناته، وأركانه الأساسية.

**المقومات في الاصطلاح**

قيل: **"** مقوم من قوم مقوم الأعمال الفنية: من يعطيها قيمة بالبحث عن خصائصها. أجزاء مقوم: مكونة. مقومات الحياة : عناصرها وعواملها الأساسية التي بها تقوم . مقومات العمران.**"**[٥]

---

(١) **الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين : ٣/ ٤٤٥ مادة (قوم).**

(٢) **محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ،مختار الصحاح : ١/٥٥٧ – ٥٥٨.**

(٣) **ابن منظور ، لسان العرب :١٢/ ٤٩٦.**

(٤) **ينظر: إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط : ٤/ ٧٦٨.**

(٥) **الدكتور عبد الغني أبو العزم، معجم الغني: ١/ ٧٥٤.**

القوام : " لما يقوم به الشيء أي يثبت كالعماد والسناد لما يعمد ويسند به ."[١]

وقوم " قوم يقوم تقويما الرجل الشيء إذا كان أعوج فعدله وجعله مستقيما ."[٢]

**المطلب الثاني: الحضارة في اللغة والاصطلاح**

## الحضارة لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور(ت٧١١هـ)" أنّ الحاضر هو المقيم في المدن والقرى وأنّ البادي هو المقيم في البادية" [٣] " والحاضرة والحضرة والحضارة، خلاف البادية " [٤].

وجاء في المصباح المنير: "الحَضَر بفتحتين خلاف البدو والنسبة إليه حضري على لفظه، وحضر أقام بالحضر والحضارة بفتح الحاء وكسرها سكون الحضر" [٥].

إذ أُخذ هذا التعريف من الفعل حضر، أو مشتقة من كلمة حَضَر، كما أنّ الكلمة الأجنبية تقابلها مشتقة من المدنية أساساً، والحضارة هي عكس البداوة التي فيها يعيش النّاس حياةً قبليّةً، إذ ينتهجون من حياة التّنقل من منطقة إلى أخرى نمطاً للحياة والعيش، وهذا عكس ما نشاهده في الحياة المدنيّة أو الحضريّة التي يمارس النّاس فيها الزّراعة، وغيرها من النشاطات الحضرية الأخرى، ويعيشون في المدن، فالحضارة هنا تعني الاستقرار والتنظيم.

وإذا ما عدنا إلى المعاجم التي عاش أصحابها ما بين القرنين الثالث، والرابع الهجري؛ فنجد الكلمة مسطرة في معاجمهم، ولقد جرى اللغوي النحوي ابن فارس (ت ٣٩٥هـ), على عادته المبدعة في الكشف عن الكلمة، والجامع لأصولها، والمفرع لاشتقاقاتها، فقال: "الحاء والضاد والراء إيراد الشي

---

(١) المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف :٢/ ٢٧٦

(٢) حسن سعيد الكرمي، الهادي إلى لغة العرب : ٣ / ٥٨٠ .

(٣) ابن منظور، لسان العرب: ٢/ ١٠٣،مادة (قوم)

(٤) الفيروز أبادي، القاموس المحيط: ٣٧٦١٢، مادة(حضر )

(٥) الفيومي، المصباح المنير: ٨٧/١ .

وورووده ومشاهدته" وقد جيء ما عن هذا وإن كان الأصل واحداً. فالحضر خلاف البدو، وسكون الحضر الحضارة[١].

إذ نجد أنّ الحضارة تشمل الجانب الروحي، والعقائدي، والفكري ، والتشريعي، وكذلك تشمل نظرة متكاملة منسجمة إلى الكون والأنسان والحياة وتنشأ الحضارة من عاملين أساسيين هما الأرض والإنسان، من موارد الأرض الطبيعية، التي تحولها رغبات الإنسان وجهوده وتنظيمه إلى ما فيه منفعته[٢].

وأمّا في قول أهل اللغة: "الحضارة ضد البداوة، فمعنى ذلك عند أهل الاجتماع، الانتقال من مرحلة إلى مرحلة أخرى "[٣].

ويتحضّر البدوي، فيقال: "بدويّ يتحضّر. وحضريٌّ يتبدّى"، والقول بأنّ الحضارة من الحضور، ومنه حضور موارد الماء، وهذا معنى فيه الانتقال إلى أماكن الحياة على أقل تقدير، فلو افترضنا أنّ الماء انفجر عند مضارب البدو، هل يصبحون ذوي حضارة؟ فموارد الماء تصنع حضارة شكلية من نوع معين، ولا تصنع كل أشكال الحضارات. والحضور في المشهد الحضاري، ليس بالضرورة مرتبطاً بالماء. وذلك ، لإمكانية إنشاء حضارة بادية، وحضارة فلاحة، وقيل: إنّ المدنيّة تبدأ في كوخ الفلاح، لكنها لا تزدهر إلاّ في[٤] المدن ولو تأملنا الحضارات عبر التاريخ، ووقفنا طويلاً معا لآيات القرآن التي تحدثت عن الحضارات السابقة؛ سنجد كل حضارة انطلقت من منطلقات معينة في بناء صرحها. هذه المنطلقات اعتمدت في الغالب على تصوراتها، بغضّ النظر إن كانت صحيحة، أم فاسدة. المهم أنّها بَنَتْ مستقبلَها، ومظاهرَها، واجتماعياتِها على معتقدات آمنت بها، ودارت حولها.

---

(١)**مقاييس اللغة ،ابن فارس :٧٥١٢.**

(٢) **ديو رانت، قصة الحضارة: ١٠٦/١٣.**

(٣) **الزمخشري ، أساس البلاغة: ١٣٠١١.**

(٤) **ينظر: ديو رانت ، قصة الحضارة: ٥/١.**

**الحضارة اصطلاحاً:**

إنّ الحضارة كمصطلح قديم الظهور قدمت لها تعريفات شتى شأنها شأن باقي مصطلحات العلوم الاجتماعية والإنسانية ، ولم تستقر على مفهوم واحد نظراً لكثرة العلماء والباحثين الذين خاضوا غمارها ، فمن العلماء العرب الذين عّرفوا الحضارة وكانوا من الأوائل الذين تطرقوا إليها هو ابن خلدون فقد قدم لها تعريفاً خاصاً بجانب الترف في الحياة واستجادة أحواله والتكلف بالصنائع التي تؤلفه من أصنافه وسائر فنونه، ومن الصنائع المهيأة للمطابخ أو الملابس أو المباني، أو الفرش أو الأبنية ولسائر أحوال المنزل، وإذا بلغ التأنق في هذه الأحوال المنزلية الغاية تبعه طاعة الشهوات، فتتلون النفس من تلك الفوائد بألوان كثيرة لا تستقيم حالها معها في دينها ولا دنياها[١].

ويعرفها آخرون بقولهم هي" جملة من العوامل المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع ما أن يوفر لكل عضو في جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتطوره" [٢] فهم يربطون في تعريفهم بين الجوانب المادية والمعنوية الضرورية لكل فرد في المجتمع حتى يحقق التطور، ويحاول بعض الباحثين أن يحدد مفهوم الحضارة اذ يقول بأنها "مجموعة الخصائص التي تتميز به المجتمعات المتطورة ويحدد لها حسب رأيه علماء الأنثروبولوجيا اليوم معنيين أحدهما ذاتي والآخر موضوعي أما المعنى الذاتي فيطلق على مرحلة سابقة من مراحل التطور الإنساني المقابلة لمرحلة التوحش والهمجية"[٣]، معنى ذلك أنّ الفرد إذا اتصف بصفات راقية يطلق عليه فرد متحضّر، وإذا اتصف بصفات همجية قلنا إنَّهُ غير متحضّر.

أهتمت التعريفات السابقة بشكل الحضارة، وأثرها، ومنها من حصرها في الحضر. وهذا خطأ؛ فالبداوة لها حضارتها، والريف له حضارته، وأهل الحضر لهم حضارتهم. وهذا واضح لا إنكار له.

عّرف ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) الحضارة بقوله: "الحضارة: إنّما هي تفنُّنٌ في الترف، وإحكامِ الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه"[٤].

---

**(١) ينظر: ابن خلدون ،المقدمة:٣٧١٦.**

**(٢) مالك بن نبي ، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، /٤٢.**

**(٣) كميل الحاج ، الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي: ٢٠٦.**

**(٤) ابن خلدون ، المقدمة:٦ ٢١.**

كما وعرفت الحضارة في رأي بعضهم: "هي محاولات الإنسان، الاستكشاف، والاختراع، والتفكير، والتنظيم، والعمل على استغلال الطبيعة؛ للوصول إلى مستوى حياة أفضل، وهي حصيلة جهود الأمم"[١]، وكذلك هي مجموعة المظاهر الأدبية والعلميّة، والفنيّة، والاجتماعيّة، الموجودة في المجتمع، وتعتمد الحضارات الإنسانيّة المختلفة على بعضها بعض، وتُسهم هذه الحضارات في البناء الحضاري الإنساني للعالم بأكمله، فالحضارة الإغريقيّة وغيرها من الحضارات القديمة التي تميّزت بوضع أساسات البناء الحضاري، وجاءت الحضارة الإسلاميّة وعملت على ازدهار هذا البناء الحضاري، ومن بعد المسلمين جاء الأوروبيون وطوّروا هذا البناء الحضاري.

فضلاً عن ذلك نجد أندريه لا لاند في موسوعته الفلسفية يعرف الحضارة "بأنّها مجموعة ظواهر اجتماعية مركبة ذات طبيعة قابلة للتناقل تتسم بسمة دينية أخلاقية وجمالية وفنية وتقنية وعلمية مشتركة بين كل الأجزاء في مجتمع عريض أو في عدة مجتمعات مترابطة"[٢]

إن الحضارة جملة المظاهر المعنوية التي يذكرها التاريخ والتي تبقى في المجتمع على مر الأيام دليلاً على القدرات الذهنية المميزة ، وتعبيراً عن روح هذا المجتمع والشعب الذي يمثله، وهذه المظاهر المعنوية تأخذ قوالب مادية مختلفة تنسجم فيها تلك المعنويات ، وتشكل المظاهر المعنوية في صورة مختلفة كالفنون والآداب والعلوم والمعارف، ومجموع ما ينتج عن ذلك كله من تسجيلات ومشاهد في الآثار والعمائر وأسلوب الحياة وداب المعاش اليومي تقاليد المجتمع في التقارب والتفاهم والتعايش، فالحضارة حسب هذا التعريف تشمل الجوانب المادية والمعنوية وتتجسد في جميع جوانب الحياة وطرائق العيش[٣]

**(١) أبو خليل د. شوقي ، الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة :٢٠١٢.**

**(٢) أندريه لا لاند، موسوعة لا لاند الفلسفية: ١٧٢/٢.**

**(٣) أحمد عبد الرحيم السايح ، فلسفة الحضارة الإسلامية : ١/ ١٢١.**

**المبحث الثاني: التحول الحضاري للعرب في ظل الإسلام**

عندما يتحدث القرآن من الإسلام وعن أسباب ومقومات قيام الحضارات أو نجاح الدول والجماعات، فانه يخوض تجربة واقعية وفعلية في إحداث تحول حضاري في بيئة كانت تفتقر إلى أبسط مقومات البناء الحضاري الفكرية والمادية، فاستطاع بمدة قياسية أحداث نهضة علمية وتطور على مختلف مستويات الحياة حتى صار للإسلام دولة عظمى على المستوى العالمي .

ولتصور هذه النقلة يكفي أن نعرف أن المرحلة التي سبقت الإسلام كانت تسمى بالجاهلية فقد كانت تغلب على العرب البداوة فعاش أكثرهم عيشة قبائل رُحّل ، في جهل وغفلة ،لم تكن لهم صلات بالعالم الخارجي ،أميون ،عبدة أصنام ،ليس لهم تاريخ حافل ،لذلك عرفت تلك الحقبة بالجاهلية[١].

وخير شاهد على هذا التحول التاريخي الذي أحدثه الإسلام بين حقبتين، الخطبة الكبرى للسيدة الزهراء عليها السلام اذ جاء فيها "وكنتم على شفا حفرة من النار، مِذْقَة الشارب ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام، تشربون الطرق، وتقتاتون القدّ، أذلة خاسئين صاغرين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمدٍ"(صلى الله عليه وآله وسلم)[٢]، [٣] [٤] [٥] [٦] [٧] .

(١) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ١٤/١٥.

(٢) محمد باقر العلامة المجلسي ، بحار الأنوار : ٢٩ ٢٢٤١

(٣) نهزة الطامع النهزة بالضم الفرصة وانتهزتها بمعنى اغتنمتها، مجد الدين أبو السعادات المبارك الشيباني ، النهاية في غريب الحديث : ٢ ٤٨٩.

(٤)ومذقة الشارب ،المذق المزج والخلط ،يقال :مذقت اللبن فهو مذيق، اذا خلطته بالماء، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : ٣/٩٠٠.

(٥) وقبسة العجلان ،القبسة بالضم ،القطعة من النار المفتوشة، كالغرفة بمعنى الماء المغروف ، مجد الدين أبو السعادات المبارك الشيباني، النهاية في غريب الحديث : ١٤ ٣١١.

(٦) وموطأ الأقدام ،وهو بفتح الطاء وكسرها موضع القدم ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ,الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : ١٣ ٩٦٠.

(٧)تشربون الطرق ،الطرق هو الماء الذي خوضته الإبل وبولت فيه كالمطروق ، المصدر نفسه : ٨١١١.

وحسب الخطة العلمية للدراسة سنبين معالم هذا التحول الذي أحدثه الإسلام وذلك بمقارنة سريعة بين مرحلتين من حياة العرب أي ما قبل الإسلام وما بعده، ولكن قبل ذلك نقف عند معنى المقومات الحضارية لغة واصطلاحا.

**المطلب الأول: أحوال العرب قبل الإسلام**

بملاحظة أحوال العرب قبل الإسلام نجد الكثير من الصفات السلبية التي كانت سائدة في هذه المنطقة يعد بعضها من المعوقات الأساسية لقيام الحضارة منها الآتي:

**أولاً: التشرذم والتقاتل فيما بينهم**

دفعت قساوة الطبيعة ، وشظف الحياة ، والشح الذي اتسمت به الصحراء ،وانحباس الأمطار ،دفع كل هذا العرب في زمن الجاهلية إلى ما يسمى بالغزو حتى أصبح من مقومات المجتمع البدوي الاقتصادية [١]. ومعنى الغزو الإغارة والسلب ،وهو نوع من اللصوصية ،إذ يهاجم أفراد القبيلة عنوة قبيلة أخرى ،ويسطون على أنعامها ،ويسبون نساءها وأولادها .وقد أصبح هذا الفعل أعلى عمل يدل على الرجولة ويليق بها ،بل إنّه صار "ضرباً من الرياضة القومية "[٢].

أما الحروب الواقعة بينهم في الجاهلية، فأكثر من أن تحصى ،ومنها وقائع مشهورة كحرب البسوس وهي اعظم حروب العرب وأطولها كانت بين بكر بن وائل وتغلب بن وائل وكان للبسوس (خالة جساس ) ناقة ،فرآها كليب بن وائل قد كسرت بيض حمام في حمى كان قد أجاره ،فرمى ضرعها بسهم ،فوثن جساس على كليب فقتله، فقامت الحرب بسببها ودامت بين الفريقين أربعين سنة[٣] .

وبعدما استمرت حرب البسوس لسنوات عديدة قتل فيها الكثير من الناس ،حيث حدثت بها ست معارك عظيمة كانت تعد ملاحم بين القبيلتين ،وآخر هذه المعارك هو يوم تحلاق اللمم ،كانت

---

**(١) ينظر: فيليب حتي ، تاريخ العرب :٣١/١.**

**(٢) أحمد أمين ، فجر الإسلام: ٩.**

**(٣) ينظر: أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب : ٤٥٧.**

نهايتها وقوع الصلح بين الطرفين الذي كان قد تم عن طريق المنذر بن ماء السماء وهو ملك الحيرة ،وقيل إنّ واسطة الصلح بينهما هو الحارث بن عمرو الكندي[١].

كذلك حروب داحس والغبراء وكانت بين بني عبس وبني ذبيان، واستمرت هذه الحرب قرابة أربعين عاماً من الزمن وتدل هذه الحرب على وحدة الجماعة الجاهلية، ووقوفها لنصرة نفسها، سواء أكانت ظالمةً أومظلومة، وكلّ ذلك من أجل إظهار منعة القبيلة وقوتها[٢].

## ثانيا: وأد البنات :

وأد البنات عادة قديمة أتخذها العرب في الجاهلية ، ويعني ذلك أنهم كانوا يقومون بدفن بناتهم وهن أحياء بهدف قتلهن[٣] قال تعالى: ﴿**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ**﴾[٤]، بينت الآية الكريمة موقف الأب عندما يعلم أنّ مولوده أنثى فإنّه يبقى حزيناً ويصبح وجهه مسودا[٥]. والوأد في لغة العرب يعني "دفنها وهي صغيرةٌ في القبر حية واشتقاق ذلك من قد آدها في التراب أي اثقلها به"[٦]. وذكر الهيثم بن عدي أّن الوأد كان مستعملا في قبائل العرب قاطبةً وعندما جاء الإسلامَ قلّ ذلك فيها إلاّ بني تميم فإنّه تزايد فيهم ذلك قبل الإسلام [٧]. وفي الجاهلية درج سلوك وأد البنات وهو سلوك متعارف عليه ينحدر من فكرة أن البنت هي سبب من أسباب جلب العار، وعندما أتى الإسلام كافح تلك الفكرة ونهى عن اتباع ذلك السلوك[٨]. ويرى كثيرون أن أول من

---

(١) ينظر: توفيق برو ، تاريخ العرب القديم : ١٢ ٢١٦.

(٢) ينظر: ،توفيق أبو حديد ، التعصب القبلي في السلوك السياسي الفصائلي الفلسطيني واثره على التنمية السياسية :٣٠.

(٣) ينظر: عقيل بن عطية بن أبي أحمد القضاعي ,تحرير المقال في موازنة الأعمال وحكم غير المكلفين في العقبى والمآل، :٤٧٨.

(٤) النحل: ٥٨-٥٩.

(٥) ينظر: المصدر نفسه:٤٨٨.

(٦) الجوهري، الصحاح :٢/٥٤٦.

(٧) ينظر: النيسابوري، الميداني مجمع الأمثال:٤٢٤.

(٨) ينظر: د. جواد علي ،المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام:٢٣٦٧.

وأد البنات من العرب هو قيس بن عاصم المنقري التميمي، لأنّه خشي أنّ يخلف على بناته من هو غير كفء لهن و كان قد وأد ثماني بنات[١].

## ثالثاً: موقف الإسلام من وأد البنات :

جعل الإسلام للمرأة مكانة رفيعة بتكريمها وحمايتها من الظلم الذي كان واقعاً عليها ،فجعلها تتحمل مسؤوليات كبيرة وهذا يدل على قدرتها الكبيرة وأهليتها ،وكرمها بالثواب والأجر والجزاء ودخول الجنة [٢].

إذ قال تعالى :﴿ **وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا**﴾ [٣].

ومن وجوه تكريم الإسلام للمرأة أنّه قام بتكريمها كأم وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ**﴾[٤].

وكرمها أيضاً عندما كانت طفلة ،حيث كان للإسلام رأيٌ آخر في موضوع وأد البنات فقد انكره بشده وحرمه قال تعالى: ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾[٥]. وكانت عادة العرب في الجاهلية هو قتل البنات، وكان السبب في قتلهم ليتخلصوا من العار أو للتخلص من نفقة تربيتهم وخشية الفقر ، وبعد بعثة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أمره الله تعالى بنهي الناس عن هذه العادة الباطلة والمنكرة وحثهم على تركها وتحريمها، كما جاء في قوله تعالى:﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا**﴾[٦].

---

**(١) ينظر: المصدر السابق نفسه :٢٤٠٧.**

**(٢) ينظر: محمد مطني ، سورة القصص دراسة تحليلية :٣٨٥.**

**(٣) النساء :١٢٤.**

**(٤) لقمان : ١٤.**

**(٥) التكوير:٨.**

**(٦) الأسراء : ٣١.**

## رابعاً: العصبّية القبلّية

**العَصَبيّةُ لغة "**مشتقة من (العصب)، وهو الطي والشد .وعصب الشيء يعصبه عصباً : طواه ولواه ، وقيل :شَدّه ،والتعصب المحاماة والمدافعة**"**[١]. وقال الأزهري (ت ٣٧٠هـ) في تهذيب اللغة **"**.والعصبية أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته والتألب معهم ،على من يناوئهم ،ظالمين كانوا أو مظلومين**"** [٢].

**والعصبيّة أجمالاً تعني : "**الحثّ على نصرة الأولياء والأقرباء، ظالمين كانوا أو مظلومين، كما تعني الدّعوة إلى المدافعة، والمحاماة، والمطالبة في سبيل الأقارب والأولياء**"**[٣].

وللعصبيّة صور متعددة، منها أنّها تَعَصّب ذوي القربى والتّحالف، وتضامن أبناء القبيلة، إنّما هو أصل معناها في اللّغة، وهو يعود إلى كلمة عصبة، غير أنّ معناها قد توسّع فيه بعد، فأُطلقت على أنواع أخرى من التعصبات، بحسب الغرض الّذي نشأت لأجله، والسّبب الّذي اعتمدت عليه، وإنّ من الصّعوبة البالغة حصر صورها، لكن يمكن أن نضرب أمثلة لها بعصبيات: الجنس، اللون، اللّغة، المذهب، الوطن، الحزب، القوم، الجنسيّة والنّسب [٤].

كان المجتمع العربي في الجاهلية مجتمعاً قبليّاً في البوادي والحواضر تحكمه القوانين والأعراف التي تضمن للقبيلة بقاءها، ولذلك شاعت بينهم العصبية وكانت هذه العصبيَّة على طبقات تناسب الجماعة التي ينتسب إليها أحدهم، فهو في قبيلته يتعصب لأسرته على سائر الأسر، والبطن الذي هو منه على سائر البطون، ويتعصب للقبائل التي يجمعها مع قبيلته أب واحد قريب على القبائل التي يجمعها مع قبيلته أب بعيد، وإلى جانب رابطة الدَّم هذه كانت روابط أخرى كالولاء والجوار والتحالف والمصاهرة، وكلُّها داعيةٌ إلى ضروب من التَّعصب متفاوتة القوة، وتقتضي هذه العصبيَّة

---

**(١) ينظر : الأزهري،تهذيب اللغة :١١٨١٢ مادة (عَصَبَ) .**

**(٢) المصدر نفسه :٢٤٥١٢ ،مادة (عَصَبَ)**

**(٣) بوزباني الدراجي ،العصبية القبلية ظاهرة اجتماعية وتاريخية على ضوء الفكر الخلدوني :٢٣.**

**(٤) ينظر :خالد بن عبد الرحمن الجريسي، العصبية القبلية من المنظور الإسلامي:٢٢ –٢٣.**

أموراً تدلُّ عليها أمثالهم وأشعارهم، ومنها أن يكون همُّ القبيلة والدفاع عنها مقدَّماً على ما سواه من الهموم الخاصَّة، ولاسيَّما إذا كان الرَّجل سيّداً في قبيلته[١].

## خامساً: حكم الإسلام في العصبية الجاهلية :

لقد بات من المُسَلَّم به أنّ الشريعة الإسلامية لم تأت لتهدم كل ما كان عليه الناس من قبلها،بل لتؤسس على أنقاضها بناءً جديداً لا صلة له بفطرة البشر وما تقتضيه من سنن الاجتماع ،وإنّما جاءت لتحق الحق وتبطل الباطل ،وممّا لاشك فيه أيضاً أن عادات العرب وتقاليدهم في العصر الجاهلي لم تكن كلها سيئة ،بل منها ما كان ممدوحاً فَأقَرّ الإسلام ونبي الإسلام ، ومنها ما كان مذموماً فأبطله الإسلام ،أو صحح فهمه ،وطريق أعماله ،فأصبح بعدها أمرا ممدوحاً[٢].

ويمكن تلخيص حكم الإسلام العصبية الجاهلية من خلال الآمور الأتية :

١- إلغاء العصبية الجاهلية، والتحذير منها، ويتجلى ذلك في الكثير من احاديث النبي(صلى الله عليه آله وسلم) ومنها قوله "ليس منّا من دعا إلى عصبية ،وليس منّا من قاتل على عصبية ،وليس منّا من مات على عصبية "[٣] .

٢- المساواة بين الناس وعدم الاعتراف بالامتيازات الطبقية أو النفوذ الموروث فأساس التفاضل التقوى والعمل الصالح ، قال تعالى:﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [٤].

٣- إلغاء كل مظاهر العبودية لغير الله من ، نحو تقديس الأعراف القبلية ،والانسياق معها باطلاً دون تبصر ،إلا لمجرد الهوى واجتماع الناس عليها ،ومن ثم إثبات العبودية لله وحده ؛قال تعالى :﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [٥].

---

(١) ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي:٦٧، رقم الحديث (٤٩٠٨).

(٢) ينظر: الجريسي، العصبية القبلية من المنظور الإسلامي، المصدر السابق:٤٣.

(٣) المتقي الهندي،كنز العمال :٤٥٤١٤،رقم الحديث(٧٦٥٧).

(٤) الحجرات: ١٣.

(٥) الذاريات: ٥٦.

٤- النهي عن الطعن في الأنساب ،وعن التفاخر ،والتعاظم بالآباء والأجداد ،والمآثر ،والأمجاد قال رسول الله (صلى الله عليه آله وسلم) "إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد "[١].

**المطلب الثاني: أهم التحولات الحضارية بعد مجيء الإسلام**

**أولاً: قيام دولة للإسلام بعد أن كانوا قبائل متفرقين**

كان ظهور الدين الإسلامي أعظم حدث في تاريخ العرب، وبداية تحول خطير في حياتهم الدينية، والاجتماعية ، والسياسية ، والفكرية، بحيث أدّى إلي انقلاب تام في معالم هذه الحياة، وتبدل في مقاييسها ونُظُمها ومرافقها، كما بدّل من نفسية العربي، وشخصيته، ونمط تفكيره.

ولم يكن هناك علمٌ منظم، ولا علماء يدونون قواعده، ولا دين واحد يجمعهم تحت لوائه؛ بل كانوا قبائل، متنافسة، متناحرة فيما بينها، يسودها الجهل والأمية والفقر والأمراض فكان ظهور الإسلام في ذلك الحين نتيجة محتومة، ونقضاً صريحاً لتلك الحياة [٢].

كان العرب محصورين في جزيرتهم القاحلة، وهم أهل بادية، وخشونة، وشظف من العيش يسمعون بالرومي أو الفارسي، فيعظمون قدره ويتمثلون بسطوة قيصر وكسرى، ولم يتجاوزوا جزيرة العرب إلّا قليلًا، فلما ظهر الإسلام، واجتمعت كلمة العرب، نهضوا للفتح ،وأوغلوا في، البلاد، وفتحوا الأمصار، ولم يستطع شيء أن يوقف تيارهم، وملأوا الأرض فتحًا ونصرًا، واحتلوا مدائن كسرى وقيصر، وأقاموا في المدن، وركنوا إلى الحضارة ،وتعودوا الترف واختلطت أنسابهم بتوالي الأجيال. والقبائل التي قامت بنصرة الإسلام ونشره قبائل مضر وأنصارها من العدنانية والقحطانية[٣].

وكانت بداية الدولة العربية الإسلامية على يدي النبي محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بوضع وثيقة المدينة والتي ألغت كثيراً من العادات القبلية لصالح دولة حضارية، وتوسعت بعد ذلك في عهد الدولة الأموية ،والعباسية حتى بلغت في العصر الأموي الدولة الأموية أكبر

---

**(١) الحر العاملي ،الجواهر السنية:١٦٧ .**

**(٢) ينظر: آفاق الحضارة الإسلامية، السيد جعفر بن السيد باقر الحسيني :١٣.**

**(٣)ينظر:التغيير الذي أحدثه الإسلام في العرب ،تاريخ الآداب العربية مؤسسة هنداوي https://www.hindao.**

دولة في التاريخ الإسلامي من حدود الصين ،وبورما شرقا ،والهند، وباكستان الشرقية وحتى حدود فرنسا وإسبانيا الأندلس غرباً ،وفي عصر الدولة العثمانية توسعت الأراضي إلى أوروبا واليونان ،وبعد سقوط الدولة العثمانية بدأ التوسع الأوربي في البلاد الإسلامية [١].

وبعد تثبيت أركان الدولة ،ووفاة الرسول محمد (صلّى الله عليه وسلّم)، بدأ عهد الخلافة الراشدة، فقد كانت الفتوحات الإسلاميّة تطرق كل البلدان، كما كانت العمارة حاضرة في تلك الحقبة ،فقد تمّ بناء العديد من المُدن مثل الكوفة والفسطاط، الأمر الذي أدّى إلى ازدهار الحضارة الإسلاميّة أكثر فأكثر، وقد استمرّ حكم الخلفاء الراشدين ما يقارب (٣٠) سنة، وقد كانت لتلك المدة إسهام كبير في صياغة بحث كامل عن الحضارة الإسلامية

وبعد المدة المهمّة التي تمثّلت بمدة حكم الخلفاء الراشدين كانت حقبة حكم الدولة الأموية، وتمثّل ازدهار الحضارة الإسلاميّة في العهد الأمويّ بازدهار العلوم ،والأدب ،وبناء المدن والفتوحات، وازدهر في الدولة الأمويّة علم النحو وكان لأبي الأسود الدؤليّ(ت٦٩هـ) أثر في تشكيل معالم هذا العلم، وأيضًا ازدهر تدوين الحديث في العصر الأمويّ وكان من أشهر من دوّن الحديث: مالك بن أنس(١٩٧هـ)، محمد بن مسلم وغيرهم، كما ازدهر في العهد الأمويّ علم التاريخ وعلم الكيمياء، وكان للترجمة دور مهم في تطور الحضارة الإسلاميّة. وأيضًا ازدهر الشعر الأمويّ وكان من أشهر شعراء هذا العصر: الأخطل(ت٩٢هـ)، الفرزدق (١١٠ هـ) وغيرهم [٢].

**ثانياً: انطلاق العلوم والمعارف والفلسفة والآداب وصار العرب مركز حضاري لكل العالم:**

إن العلوم الإسلامية في العصور الوسطى. ما بين القرن السابع الميلادي ونهاية القرن السادس عشر الميلادي كانت دمشق، وحلب ،والكوفة ،وبغداد ،والقيروان ،وقرطبة ،والقاهرة ،ومراكش ،وفاس هي المراكز العلمية في العالم، وكانت جامعاتها مزدهرة ،وصناعاتها متقنة ومتقدمة والعلم في تطور مستمر والعمران في ازدياد فكانت البلاد العربية ملجأ لطالبي العلم وأعجوبة حضارية غير مسبوقة، إذ كان للعلماء شأن عظيم يحترمهم العامة ويقدرهم الحكام، وكانت هذه المدة هي مدة تأسيس العلم في العالم, فقبل ذلك كانت معارف لا ترتقي لمرتبة العلوم، فلم يبق مجال في العلم مما نعرفه اليوم

---

**(١) ينظر: الدكتور عبد القادر المعاضيدي وآخرون، تاريخ الدولة العربية الإسلامية العصر الأموي: ٤٣.**
**(٣) محمد وائل، بحث كامل عن الحضارة الإسلامية :٤.**

إلا وكان العرب قد أسسوه.[١] يستخدم وصف العصر الذهبي للإسلام لوصف مرحلة تاريخية كانت الحضارة الإسلامية فيها متقدمة علمياً وثقافياً، وتمتد من منتصف القرن الثامن لغاية القرن الرابع عشر والخامس عشر الميلادي.

بهذه المدة، قام مهندسو وعلماء وتجار العالم الإسلامي بالمساهمة بشكل كبير في حقول الفن والزراعة والاقتصاد والصناعة والأدب والملاحة والفلسفة والعلوم والتكنولوجيا والفلك والطب، بالمحافظة والبناء على المساهمات السابقة وبإضافة العديد من اختراعاتهم وابتكاراتهم. وخلق الفلاسفة والشعراء والفنانون والعلماء والأمراء المسلمون ثقافة فريدة من نوعها أثرت بدورها على المجتمعات في كل القارات

وتتميز الحضارة الإسلامية بالتوحيد ، والتنوع العرقي في الفنون والعلوم والعمارة طالما لا تخرج عن نطاق القواعد الإسلامية, لأن الحرية الفكرية كانت مقبولة تحت ظلال الإسلام وقد أخضع الفلاسفة المسلمون الفلسفة للقواعد الأصولية مما أظهر علم الكلام الذي يعد علماً في الإلهيات فترجمت أعمالها في أوروبا وكان له تأثيره في ظهور الفلسفة الحديثة وتحرير العلم من الكهنوت الكنسي فيما بعد, مما حقق لأروبا ظهور عصر النهضة بها, لهذا لما دخل الإسلام هذه الشعوب لم يضعها في بيات حضاري ، ولكنّه أخذ بها ووضعها على المضمار الحضاري لتركض فيه بلا جامح بها أو كابح لها. وكانت مشاعل هذه الحضارة الفتية تبدد ظلمات الجهل وتنير للبشرية طريقها من خلال التمدن الإسلامي. فبينما كانت الحضارة الإسلامية تموج بديار الإسلام من الأندلس غربا لتخوم الصين شرقا في عهد الدولة الأموية وكانت أوروبا وبقية أنحاء المعمورة تعيش في جهل وظلام حضاري[٢].

وامتدت هذه الحضارة القائمة بعدما أصبح لها مصارفها وروافدها لتشع على بلاد الغرب وطرقت أبوابه. فنهل منها معارفه وبهر بها لأصالتها المعرفية والعلمية, مما جعله يشعر بالدونية الحضارية, فثار على الكهنوت الديني ووصاية الكنيسة وهيمنتها على الفكر الإسلامي حتى لا يشيع, لكن رغم هذا التعتيم زهت الحضارة الإسلامية وشاعت, وأنبهر فلاسفة وعلماء أوروبا من هذا الغيث

---

**(١) ينظر : د. أحمد محمد عوف ،عبقرية الحضارة المصرية القديمة :٣٧**

**(٢) ينظر :أحمد محمد عوف ،موسوعة حضارة العالم :٦٥١٢ .**

الحضاري الذي فاض عليهم. فثاروا على الكنيسة وتمردوا عليها وقبضوا على العلوم الإسلامية كمن يقبض على الجمر خشية هيمنة الكنيسة التي عقدت لهم محاكم التفتيش والإحراق . ولكن الفكر الإسلامي تمكن منهم وأصبحت الكتب الإسلامية التراثية والتي خلفها عباقرة الحضارة الإسلامية فكراً شائعاً ومبهراً.

فتغيرت أفكار الغرب، وغيرت الكنيسة من فكرها ومبادئها المسيحية لتساير التأثير الإسلامي على الفكر الأوربي وللتصدي للعلمانيين الذين تخلوا عن الفكر الكنسي وعارضوه وانتقدوه علانية. وظهرت المدارس الفلسفية الحديثة في عصر النهضة أو التنوير في أوروبا كصدى لأفكار الفلاسفة العرب, وظهرت مدن تاريخية في ظلال الحكم الإسلامي كالكوفة وحلب والبصرة وبغداد ودمشق والقاهرة والرقة والفسطاط والعسكر والقطائع والقيروان وفاس ومراكش والمهدية والجزائر وغيرها, كذلك خلفت الحضارة الإسلامية مدنا متحفية تعبر عن العمارة الإسلامية كإستانبول بمساجدها ودمشق والقاهرة بعمائرها الإسلامية[١].

**(١) ينظر:جمال الدين فالح الكيلاني ،الرحلات والرحالة في التاريخ الإسلامي(دراسة في مصادر التاريخ العربي الوسيط ) :٨٥.**

# الفصل الأول

# المقومات الفكرية

# لنشأة الحضارة في الإسلام

**توطئة:**

كان مجتمع المدينة قبل الإسلام ، مجتمعا وثنيا ، يقوم على القبلية والعصبية ، وكانت القبائل في نزاع مستمر فيما بينها أو مع غيرها من اليهود أو خارج المدينة, لقد كانت هجرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة بمثابة إعلان عن قيام أول دولة إسلامية في الجزيرة العربية حيث ظهر مبدأ المسئولية السياسية والاجتماعية ظهورا مميزا عن طريق :

أولاً :مدّة الإعداد والتحضير لقيام هذه الدولة بالتفاوض, والتعاهد مع أهل يثرب .

ثانياً :مدّة التنظيم وتأسيس الدولة الإسلامية الأولى فعلا في المدينة .

فكانت انطلاق الحضارة الإسلامية والإنسانية في أول منارة للعالم وهو المسجد النبوي من خلال

١- بيان العقيدة الإسلامية في الله تعالى

٢- بناء المسجد النبوي

٣- المؤاخاة بين المسلمين والأنصار وهي العنصر الأساسي للتعايش السلمي ونجاح الحضارة التي استطاعت نبذ الخلافات فيما بينهم والعيش متآخين في دين الله تعالى.

٤- المعاهدة بين المسلمين وغير المسلمين [١].

ثم استمرت هذه الحضارة بما تركه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم )من ارث حضاري وفكري عظيم حتى أصبح محل أنظار المفكرين العرب والغرب , ومن أهم ما ترك لنا الرسول العظيم (صلى الله عليه وآله وسلم )القرآن الكريم المعجزة الخالدة والدستور العظيم .

فلا شك في أنّ القرآن الكريم وضع المقومات الضابطة لمسيرة الحياة على جميع أصعدتها المتعددة، وشرع المبادئ العامة لكل شيء، وترك أمر وضع الخطط والبرامج للعقل البشري المتخصص في شعب المعرفة المتعددة، شريطة أن يتحقق بالمرجعية الشرعية في الكتاب والسنة، ويهتدي في أنشطته المتعددة بهدايات الوحي، بقيم الكتاب والسنة، بحيث تكون هذه المقومات أيضاً هي معيار التقويم والتصويب والتسديد والمراجعة لكل فعل ونشاط، مادي أو معنوي، ليجيء مؤسساً على الرؤية الإسلامية، ولعل في النماذج التاريخية التي عرض لها القرآن فيما أصطلح على تسميتها بـ(القصص القرآني)، وطلب إلينا النظر فيها، واستقراء الأسباب والمقومات التي حكمت

**(١) ينظر د. محمد ممدوح العربي، دولة الرسول (صلى الله عليه وآله )في المدينة:١٥١.**

نهوض وسقوط الأمم السابقة، معواناً لنا للتعرف على هذه المقومات الجارية وأخذ العبرة والدرس، حتى تكون الأمة الخاتمة على بينة من الأمر والهدى، فلا تنتقل إليها علل الأمم السابقة وأسباب انقراضها، فالقرآن الكريم لم يقتصر على رصد التجربة الإسلامية، وإنّما طلب تجاوزها إلى السير في الأرض، والتوغل في تاريخ الحضارات الإنسانية التي سادت ثم بادت، على الرغم من إمكاناتها المادية وبنائها العمراني، قال تعالى: ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[١]. إنّ هذا السير في الأرض، يُعدّ من فروض الكفاية [٢]، ولاكتشاف المقومات الفكرية والتعرف إلى كيفية التعامل معها في ضوء القرآن الكريم واكتشاف المقومات والقوانين الفاعلة في الحضارة الإنسانية اقتضت الضرورة تفصيل القول في الرؤية الكونية والعقدية وطبيعة نظرتها للكون والحياة والإنسان، ثم بيان أثر القانون الصالح في بناء الحضارة وهو هنا متمثلا في الشريعة الإسلامية، ثم الوقوف عند دعوة الإسلام وتحفيزه للهمم في تأكيده على العلم والتفكر والاستفادة من تجارب التاريخ.

**(١)غافر : ٨٢.**

**(٢) ينظر: د. مصطفى إبراهيم الزلمي، أصول الفقه في نسيجه الجديد:٢٥٩.**

## المبحث الأول: العقيدة وأُسس بناء الحضارة

### المطلب الأول: أهمية العقيدة

إنّ العصر الذي ظهر فيه النّبي (صلى الله عليه وآله وسلم ) عصر الاستبداد والتمييز العنصري والامتيازات الظالمة ، عصر العنصرية والطبقية . قال الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام ) في وصف ذلك العصر : "بعثه والنّاس ضلّال في حيرة ، وحاطبون في فتنة ، قد استهوتهم الأهواء ، واستزلتهم الكبرياء ، واستخفتهم الجاهلية الجهلاء ، حيارى في زلزال من الأمر ، وبلاء من الجهل"[١] فتصور ديناً شعاره المساواة بين الناس والقضاء على التبعيض العرقي والطبقي كيف ينسجم مع مثل ذلك العصر ؟ فمحتوى الدعوة التوحيد من جميع الجهات ، وإلغاء الامتيازات الظالمة ، وتوحيد عالم الإنسانية ، ومكافحة الظلم والجور ، وإقامة حكومة عالمية ، والدفاع عن المستضعفين ، واعتبار التقوى والطهارة والأمانة من أهم معايير القيم الإنسانية[٢].

فنلاحظ أن أول أساس لبناء الحضارة الإسلامية الذي جعله الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ومحل للتجمع ، وطرح الأفكار ، والثقافة الإسلامية ، وأن المسجد النبوي كان محلا لتنزيه العقيدة وإعطاء الدروس الفقهية والأخلاقية، وبهذا يتبين أهمية المسجد في الإسلام، حتى أصبحت بعض الخصوصيات لبعض المساجد لأهميتها في النفوس ولها تأثير مباشر على الحضارة الإسلامية ، كالمسجد الحرام والمسجد النبوي ومسجد الكوفة ، ولذلك فان العقيدة السليمة لها اثر واضح في قيام الحضارة والتمكين في الأرض، مثلما أي العقيدة الفاسدة لها اثرها أيضا في تدهور الأمم والحضارات وانهيارها، وشواهد القران على ذلك كثيرة يأتي بعضها.

كما إن "جوهر القرآن الكريم هو العقيدة التي تقوم على وحدانية الله تعالى وحدانية مطلقة في الذات لا شريك له، وفي الصفات فلا شبيه له، فلا تشبه صفاته المخلوقين، وفي الأفعال فهو وحده خالق الكون ومدير قوانينه، وفي العبادة فهو المعبود وحده لا شريك له في عبادته. وتطلق "العقيدة

---

(١)الشريف الرضي محمد بن الحسين، نهج البلاغة: خطبة ٩٤ ، ٢٣١.

(٢)ينظر: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، دروس في العقائد الإسلامية:١٨١.

على كل فكرة كلية عن الكون والإنسان والحياة، وهي كذلك الإيمان المطابق للواقع الثابت بالدليل العقلي" [١].

والعقيدة والإيمان نزعة أصلية وأمر فطريّ لدى الإنسان فلا يمكن أن تستقيم حياة الإنسان وتستمر مستقرة متزنة دون الإيمان ومن هنا نلاحظ ما يعانيه الإنسان المعاصر من قلق نفسي بسبب الفراغ الروحي الذي يعانيه وانغماسه بالحياة المادية فقط ,وتنكره لكل بعد عقائدي غيبي يعطي للحياة معنى وجدوى فالعقيدة إذن أساسها التوحيد والإيمان، ولأهمية العقيدة يرى سيد قطب" أنّ البشرية بدأت حياتها مؤمنة موحدة ثم انحرفت إلى جاهلية ضالة مشركة بفعل عدة عوامل متشابكة كامنة داخل الإنسان ونابعة من تركيبه النفسي، العقلي والجسدي، وفي العناصر الخارجية التي يتعامل معها كالبيئة، وبعد الانحراف يأتي الرسول بذات الحقيقة، وإنّ أجيالاً من ذرية آدم بعد استخلافه في الأرض ولدت مسلمة وعاشت مسلمة، حيث كانت عقيدة التوحيد عقيدته وعقيدة زوجه وأبنائه، ثم انحرفوا بنفس العوامل الذاتية والخارجية التي انحرفت بها البشرية عبر التاريخ" [٢].

قال تعالى: ﴿**كَانَ النَّاس أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾[٣].

وجاء في تفسير النسفي :أن معنى" كان الناس أمة واحدة "متفقين على دين الإسلام من آدم إلى نوح (عليهم السلام) ,ثم اختلف الناس " بغيا بينهم" أي :حسدا بينهم وظلما لأنفسهم وغيرهم لحرصهم على الدنيا الحرص الذميم [٤].

---

**(١) عز الدين الخطيب التميمي وآخرون، نظرات في الثقافة الإسلامية: ٥٩ – ٦٠.**

**(٢) ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن :٣٤١٣.**

**(٣) البقرة: ٢١٣.**

**(٤) النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن حمد، تفسير النسفي:١/٨٠.**

**المطلب الثاني : علاقة العقيدة بالحضارة**

بَيّن ابن خلدون أثر الدين في بناء الحضارة بقوله: " إنّ الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذي في أهل العصبية، وتفرد الوجهة إلى الحق فإذا حصل لهم الاستبصار في أمرهم، لم يقف لهم شيء ؛لأنّ الوجهة واحدة والمطلوب متساو عندهم وهم مستميتون عليه، وأهل الدولة التي هم طالبوها وإن كانوا أضعافهم، فأغراضهم متباينة بالباطل وتخاذلهم لتقية الموت حاصل فلا يقاومونهم وإن كانوا أكثر منهم"[١]، ثم يشير إلى كيفية سقوط الدولة في حال التخلي عن الدين فيقول: " إذا حالت صبغة الدين وفسدت ينتقض الأمر ويصير الغلب على العصبية وحدها دون زيادة الدين، فتغلب الدولة "[٢]

والقرآن الكريم يشير إلى أثر انحراف العقيدة في سقوط الجماعات والأمم في قوله تعالى:﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[٣].

وفي هذه الآيات حديث عن مصارع الغابرين من الأمم التي بعضها ما تزال لها آثار باقية تحكي قصتها وإنجازاتها الحضارية في النقوش والمتاحف وبعضها الآخر حوته الكتب والروايات، قوله تعالى أيضا في سياق سقوط الأمم ﴿**وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا**﴾[٤] إذ تنتهي هذه الآية إلى توجيه التحذير الأخير من خلال التذكير بالعاقبة المؤلمة المُرّة لمن ظلم من السابقين ليكون مصيرهم عبرة لمن يسمع قالت: إنّ هذه المدن والقرى أمامكم، ولكم أن تشاهدا خرائبها والدمار والذي حل فيها، وقد أهلكنا أهلها بما ارتكبوا من ظلم[٥]، وفي القرآن الكريم دعوات توجه العقول إلى التأمل والسير في الأرض للكشف عن دلائل الوجود ومعرفة حقائق التاريخ وسنن الله في الخلق والقرآن وتخاطب النفس البشرية في أنقى حالاتها وأطهر طبيعتها وفطرتها، وهنا جاءت الآية تصوب رأي الذين يرون الكثرة والقوة المادية من أسباب التحضر وعوامل الصمود والثبات أمام عاديات الزمن والدهر، فهؤلاء المُخبَر عنهم قد أصبحوا قصصاً تُحكى وأخباراً تروى رغم قوتهم

---

**(١) عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون : ٢١٤.**

**(٢) المصدر نفسه.**

**(٣)غافر: ٨٢.**

**(٤)الكهف: من الآية ٥٩.**

**(٥) ينظر: ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل: ٩/ ٣١٠.**

المادية، وأثبتت التجارب التاريخية أنّ هذه العوامل عادة هي عوامل غرور وزهو بباطل إن لم تكن أسباب شقاء وتعاسة لكثير من الأمم [١].

وفي مقابل ذلك يبين القرآن الكريم أثر الاستقامة والعقيدة الصالحة في نزول الخيرات وهي أساس التمكين وقيام الحضارة قال تعالى: ﴿ **وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا**﴾[٢] "والمراد بالطريقة طريقة الإسلام، والاستقامة عليها لزومها والثبات على ما تقتضيه من الإيمان بالله وآياته، والماء الغدق الكثير منه، و يستفاد من السياق أنّ قوله: " لأسقيناهم ماء غدقا " مثل أريد به التوسعة في الرزق "[٣].

فالاستقامة تجعل المؤمن شديد الارتباط بربه، مستشعرا بقيمته أولا, لأنّ الله سخر له ما في الكون، وثانيا يشعر بالمسؤولية الملقاة على عاتقه وهي تعمير الأرض ونشر الخير والصلاح فيها، فإذا اكتمل الإيمان وقوي زادت العقيدة التي تؤدي دورا كبيرا في بناء المجتمعات وتكوين الأمم وقيام الحضارات، ولعل أفضل دليل يثبت دورها هو ما فعلته العقيدة الإسلامية في أهلها، إذ حررتهم من عبودية الرغبات، والإذلال للجبابرة والطغاة [٤].

فالحضارة من هنا لا تظهر ولا تبعث إلّا بالعقيدة الدينية كما ذكر مالك بن نبي إذ قال : "الحضارة لا تظهر في أمة من الأمم إلّا في صورة وحي يهبط من السماء، يكون الميناء شريعة ومنهاجا، أو هي على الأقل تقوم أسسها في توجيه الناس نحو معبود غيبي فكأنّما قدر للإنسان ألّا تشرق عليه شمس الحضارة إلّا حيث يمتد نظره إلى ما وراء حياته الأرضية"[٥].

ابن نبي "أنّ تحليل السّبل التي من شأنها أن تسهم في تحديد الكيفيّة التي تبني بها الأمم حضاراتها، يتأتّى بمعرفة أسس البناء وإدراك عوامل الهدم وفهمهما فهما دقيقا من خلال النّظر في تاريخ الحضارات السّابقة، فهي كالسّلسلة الواحدة والأمم حلقاتها كما شبّهها ابن نبي، فكلّ أمّة من هذه الأمم مجبرة على القيام بدورها ضمن الحلقة الخاصّة بها ضمن إطار زمني محدّد والتّاريخ كفيل بالحكم عليها من حيثُ نجاحها أو فشلها"، ويرى ابن نبي "أنّ تكوين الحضارة إنّما يكون في

---

**(١) ينظر: محمد هيشور، سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها:١١٠.**

**(٢)الجن: ١٦.**

**(٣) محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن: ٢٠/ ٤٦.**

**(٤) ينظر: محمد هيشور، سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها:١٧٥.**

**(٥) مالك بن نبي، النهضة وشروطها:٨٤.**

نفس الظّروف والشّروط التي قامت بها الحضارة الأولى مستشهدا على ذلك بالحضارة الإسلاميّة في عصورها الزّاهرة، لذا فإنّ خوض أي أمة حضاريا متوقف على قوة عقيدتها الدينية الثابتة في نفوس أبنائها، فبفضل العقيدة استطاع بدو الصحاري العربية أن يفتحوا قسما من أرض الحضارات كانت لها سطوة على الأمم وهيمنة كبيرة على الشعوب"[١].

ويتوصل الباحث إلى أنّ العقيدة السليمة واحدة من أقوى الدوافع لحركة التاريخ وأساس هام لبناء الدول والحضارات لكونها تصحح الرؤية الكونية للإنسان، هذه الرؤية التي يكون الإيمان بالله تعالى من أقوى ركائزها، فلا تكون الأسباب الطبيعية نهاية المطاف وإنّما يوجد مسبب الأسباب، فلا يصيب اليأس والإحباط الإنسان ويبقى متوقد الهمة والعزيمة في السعي والعمل.

## المبحث الثاني مسايرة الشريعة لحياة الإنسان ومصالحه

### المطلب الأول: أهمية التشريع الإسلامي في الحياة

كان موقف الإنسان الحتمي أن يقطع الحياة بأصنافه ، سواء قلنا أن ذلك يقتضيه طبيعته وغريزته ، أو من حيث الحاجة في شؤونه ومعيشه ، وهذا استدعى الحاجة إلى التشريع. التي تحدد له العلاقة مع الآخرين في المجتمع الذي يعيش فيه من أجل منعه من السلوك الشاذ الذي يطلق العنان للشهوة وحب الذات والتسويف والإسراف في تنفيذ الرغبات والقضاء على العلل ومواجهة المشاكل وتوجيه الاهتمامات والفوائد ، تنظيم الحياة لتحقيق السعادة فيها ، وإقامة العدل، والحفاظ على حقوق الناس الشخصية والنوعية ، والحفاظ على الأمن العام ، وقيادتهم إلى مدارج العُلوية والكمال ، واستلهام المُثُل ، وتحقيق الرخاء والسعادة في كلا العالمين. وهذا التشريع، وإن كانت العقول قد حددته لأممهم حسب علمهم ومعرفتهم ، إلا أنه بلا شك التشريع الإلهي ، لأنه مبني على أعظم عقلية غيبية تدرك مصير الأعمال ومصالح الأفعال ومفاسدها [٢]

إنّ الدين الإسلامي متوازنا معتدلا يراعي جميع مناحي الحياة ويضبطها بإيقاع ينسجم مع الفطرة الإنسانية من حّب للتعلم والتملك والإبداع، بل ويشجع على ذلك مع وجود ضوابط تراعي

---

**(١)مالك بن نبي ،النهضة وشروطها: ٨٤.**

**(٢)ينظر: الدكتور الشيخ عباس كاشف الغطاء، المدخل إلى الشريعة الإسلامية:١٣**

حقوق المجتمع والبيئة ، بل وحتى باقي المخلوقات، نجده يذكر باباً من أبواب النشاط الإنساني ويلحقه بمجموعة من الضوابط التي تخصه دون تقييد للحريات بشكل يقتل الإبداع و إنّما يحفظ توازن المجتمع ويضبط أموره ونشاطه، فلم يسخر المجتمع كله لبناء معابد أو تمجيد أشخاص وإنمّا وضع هدفا عاما وهو قيام هذا الدين ولكل أن يعمل على هذا من موقعه فالطبيب والمهندس والمعلم كلهم يبدعون في مجالاتهم من أجل دينهم ومن أجل إقامته ولكن كما قلنا دون تحديد مطلق وضوابط مكبلة للإبداع [١].

لذا فأنّ التشريع الإسلامي تشريع شامل يعنى بكافة مناحي الحياة ويتدخل في أدق تفاصيلها لينظمها وليحتكم إليها في أي خلاف مهما صغر أو كبر، فالغاية من التشريع **"**هي تعليم الناس دستور السماء بما فيه من عقيدة وعبادة وأخلاق ومعاملات، ونظام سياسي واجتماعي واقتصادي وتربوي وجهادي وتعلمي، ثم وجوب العمل بما تعلموه وتطبيق ذلك تطبيقًا كاملا في جميع مرافق الحياة، وأنّ تحكيم غير ذلك في مجال علاقات الأفراد والأسر والجماعة يعد كفرًا وظلمًا وفسقًا**"**[٢].

يجب التحذير من أمر مهم وهو محاربة الإلحاد والتبشير بالإسلام في عقائده وفروعه. اعتاد المبشرون والملحدون على دعوة الدول الإسلامية إلى نبذ الأحكام والأحكام السماوية ، وكانوا ينوون تحطيم أسس الشريعة الإسلامية وحل صفتها الدينية بحجة اختلاف الآراء فيها ، وأن الإسلام نظري وليس واقعي. وأنه لا يتماشى مع الركبتين. الحضارة ،ولا يمكن لدولة أن تأخذها كمبدأ لسلوكها ومسارها في خضم هذه الحياة العملية. يجب أن نتصرف وفقًا للقوانين الغربية والتشريعات الدولية[٣].

إنّ من مقاصد الشريعة أن تكون نافذة في الأمة، إذ لا تحصل المنفعة المقصودة منه كاملة بدون نفوذها، وإن أعظم باعث على احترام الشريعة ونفوذها خطاب الله تعالى للأمة قال الله تعالى ﴿**قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا**﴾[٤] ومما يدل على نفوذ الشريعة في الأمة وأنه يجب عليها أن تطيعها أدلة كثيرة، وقال الله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا**﴾ [٤].

---

**(١)ينظر: يوسف القرضاوي , المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية :١٣.**

**(٢) د. محمد حسن أبو يحيى، أهداف التشريع الإسلامي:٦.**

**(٣) ينظر: الشيخ علي كاشف الغطاء، أدوار علم الفقه وأطواره:١ ٢٤٤١ -٢٤٥**

**(٤) المائدة: من الآية(١٥)**

**(٤)الأحزاب: ٣٦.**

ولقد سلكت الشريعة الإسلامية مسلكين لتحصيل ذلك:

١. المسلك الأول: مسلك الحزم في إقامة أحكام الشريعة. وقد يتطلب ذلك استخدام القوة أو السلطة في تطبيق التشريع أو منع تعطيل تطبيقه في الكثير من الحالات خصوصا في حالات النزاعات الداخلية في المجتمع وهذا ما يتم دراسته في الفصل الأول المبحث الثاني.
٢. المسلك الثاني: مسلك التيسير والرحمة بقدر لا يفضي إلى انعدام مقاصد الشريعة. بمعنى محاولة التقريب بين الناس ومحاولة حل النزاعات بشكل ودي مبني على التسامح وإسقاط الحق في بعض الحالات.

فالدين الإسلامي هو دين سماوي رباني ابتداء، وكل مصادر التشريع في الدين الإسلامي هي مصادر ربانية دلّ رب العالمين الناس عليها عن طريق كتاب سماوي وهو القرآن الكريم ومن وحي الله عز وجل إلى نبيه وهي السنة النبوية، وقد أمر الله عز وجل الناس بداية بإتباع القران الكريم والسنة المطهرة للوصول إلى أي شيء يتعلق بحياتهم أو آخرتهم.[١]

كما في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا**﴾[٢] ، فإنَّ حقيقة الانتخاب في النظام الإسلامي في رؤية أهل البيت (عليهم السلام) نفي للإستبداد عبر الحاكمية الإلهية ، فيكون حقيقة الانتخاب ذات قيمة معرفية وتحضيضاً على القيام بالمسئولية ,فمقتضى مالكية الله سبحانه للمخلوقين ولأفعالهم أن مبدأ وأصل الولاية الله تعالى وأن كل الولايات تتشعب من ولايته (الولاية الله الحق) وهذا أصل.

غاية الأمر حيث جعل للإنسان الاختيار لا القسر كانت الولاية الربانية عليه من نمط تكويني غير قاسر ونمط تشريعي اعتباري قانوني.

فمنطق التوحيد ومنطق الشريعة الإلهية يبني على أن أصل الولاية لله وأن كل شعبة لا بد وأن تنتهي إلى ذلك الأصل.[٣]

---

**(١) ينظر :يوسف القرضاوي، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية: ٢٣.**

**(٢) النساء : ٥٩**

**(٣) ينظر:الشيخ محمد السند، أسس النظام السياسي عند الأمامية :٣٣١.**

فمن خلال ما يختاره الله تعالى للولي الذي تجب طاعته ,يتم توضيح الشريعة وبيان أحكامها على جميع المستويات من نظام للدولة الإسلامية ومن شمولية وأخلاقية وفقهية .

وبذلك نقدم أهم خصائص التشريع الإسلامي على نحو الإيجاز والتي تتمثل الشخصية المعنوية للدولة، ووظائفها، وغاياتها .

**المطلب الثاني: أهم خصائص التشريع الإسلامي:**

تميز التشريع الإسلامي بمجموعة من الخصائص يمكن الوقوف عند بعضها وهي :

أولاً :إنّ السياسة عنصر جوهري في مفهومه، يتكامل به هذا التشريع فعلًا منذ نزوله على الأرض من قبل أنّ نظام الدين لا يتم إلّا بنظام الدنيا، فليست السياسة إذن أمرا عارضة على هذا التشريع، بما ثبت أن التشريع ظاهرة حضارية إنسانية وعالمية .

ثانياً : يتسم بالشمول، والتوازن :فالإسلام بعدم فصله بين الدين والدنيا، ولا بين الدنيا والآخرة، وبما يوثق من الصلة المحكمة بينهما، بحيث يجعل الدنيا طريقاً إلى الآخرة، ومطية لها (ومن فقد المطية فقد الوصول) ويعتبر شاملاً موضوعيا من حيث أنه تناول شؤون الدين والدنيا والآخرة، وإنسانيا من حيث انه خاطب البشر جميعا وليس فيه إجبار إلا البرهان يجبر العقل، وفطريا , من حيث انه يخاطب الروح ، وزمانيا فلأنه التشريع الخالد إلى يوم القيامة.[١]

فقد سئل الإمام الحسن بن علي (عليه السلام )عن السياسة فقال : (عليه السلام) **"**هي أنّ ترعى حقوق الله ، وحقوق الأحياء ، وحقوق الأموات . فأما حقوق الله : فأداء ما طلب، والاجتناب عما نهى. وأما حقوق الأحياء : فهي أن تقوم بواجبك نحو إخوانك ، ولا تتأخر عن خدمة أمتك، وأن تخلص لولي الأمر ما أخلص لأمته ، وأن ترفع عقيرتك في وجهه إذا ما خلا عن الطريق السوي . وأما حقوق الأموات : فهي أن تذكر خيراتهم وتتغاضى عن مساوئهم فإن لهم ربًا يحاسبهم**"**.[٢]

ثالثاً: إن الدولة في هذا التشريع تفوق في وظائفها الإيجابية الشاملة ,أي دولة حديثة:

---

**(١) ينظر :د .فتحي الدريني، خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم: ٢٢٤-٢٢٣ .**

**(٢) السيد حسن الحسيني الشيرازي، موسوعة الكلمة: ٦١٧.**

ذلك أنّ اختصاصات الدولة في هذا التشريع، بشمولها لوجوه النشاط الحيوي كافة الذي يتعلق بجميع مجالات الحياة، حتى ما يتصل منها بنوع المأكل والمشرب والملبس للإنسان الفرد في خاصة نفسه، ووجوب إقامة مرافق الدولة وولاياتها العامة، ومؤسساتها، والإشراف المباشر على تصرفات الأفراد فيما يتعلق بما منحوا من حريات عامة وحقوق خاصة، وتنفيذ ما أنيط بها من تحقيق ما تقتضيه المصالح الحيوية للأمة، وما يوجبه مبدأ التكافل السياسي والاجتماعي والاقتصادي الملزم، عن طريق التشريعات، سواء بين الأفراد بعضهم قبل بعض، أو بين الأفراد والدولة، أو بين الأمة والدولة في شخصيتهما المعنوية، تحقيقا للمصالح الحيوية للدولة.(١)

إذن القرآن الكريم أنطوى على مبادئ وأشار إلى عوامل موضوعية وأخرى تطبيقية مثلت المقومات الأساسية لنشأة الحضارة الإنسانية ورقيها, ولذلك نكاد نجمل هذه السياسة في عبارة قصيرة للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) يقول: **"**الناس إمّا أخ في الدين أو نظير في الخلق**"**(٢) فشعاره إذا هو **"** مساواة **"** مساواة بين جميع الناس وإن تباينوا في الأديان واختلفوا في العناصر والألوان.

مساواة ميسرة لا تشق على إنسان ، معلومة لا تغمض على إنسان.

قاصدة بغير تقصير,سمحة بغير مغالاة ,نسبية بغير إطلاق, تعيش في الممكن المتاح وأكد هذا مرات ومرات، فكان مما قاله في هذا المجال:

**"**إنما أنتم إخوان على دين الله ، ما فرق بينكم إلا خبث السرائر**"**(٣).

وإن عملية بناء الكون وتهيئة الأرضية الصالحة للحياة على الأرض، قد سبقت خلق آدم(عليه السلام) بأزمان لا يعلمها إلّا الله، وما دامت المقاييس الآدمية تجيء دائما نسبية قاصرة محدودة إزاء خلق الله، فليس لنا أن نطمح للإحاطة الكاملة والتفسير الشامل لقضية التكوين هذه، وليس لنا كذلك أن نفترض نظريات لا جدوى من ورائها وكل ما بينه القرآن عن امتداد عملية الخلق هذه في عصورنا التاريخية الراهنة والمقبلة، كذلك أن الكون ماض في حركته نحو الاتساع الدائم بإرادة الله ﴿**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾(٤)، وأن تنعكس، في

---

**(١) ينظر :د .فتحي الدريني، خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم: ٢٢٣-٢٢٤.**

**(٢) الشريف الرضي ،نهج البلاغة: ٦٤٣.**

**(٣) المصدر السابق خطبة ١١٢: ٢١٧.**

**(٤) الذاريات :٤٧.**

التصور الإسلامي، على حركة التأريخ البشري نفسه، ومصير الإنسان في العالم، قبل أن يجيء اليوم الذي أعلن عنه القرآن مرارا حيث نطوي السماوات كطي السجل للكتاب[١]، وتكف الحياة والتأريخ البشري عن (الاستمرار) تمهيدا ليوم الحساب[٢]، وتبدأ صفحة جديدة في تأريخ الخلق الإلهي الدائم ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا** ﴾[٣]

إن النظر في كتاب الله للتأمل والتفكر ودراسة الآيات المباركة في العناصر التي تدعم بناء الحضارة للإنسان وهذا يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالدور المتوقع من الإنسان ، والعمل والجدوى والنظام والأعمار والغرض. التي أُرسل من أجلها ، وجميعها قواعد أساسية لأي نشاط حضاري فعال وهادف ومنظم ومتطور على الأرض قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا** ﴾[٤].

نجد أنّ المقومات المنهجية تؤكد جميعها على ضرورة بناء نظريات في العمارة وتخطيط المدن بالمقام الأول على القرآن الكريم وضع القوانين والضوابط المستنبطة من القواعد الكلية، والاجتهاد في وضع التفصيلات لهذا القانون والنظريات من خلال التعامل مع مصادر التشريع .

ويمكن التفريق بين التشريع الإسلامي والقوانين الوضعية :

١. القانون الوضعي هو منظمة بشرية يصنعها الناس. لا ينبغي مقارنتها بالتشريع الإلهي الذي جاء من عند الله ، بسبب الاختلاف بين الخالق والمخلوق ، ولن تقارن العقول ما صنعه الناس بما صنعه رب الناس.
٢. الذين وضعوا القانون هم بشر ، يخضعون للأهواء والميول ، وتغلب عليهم العواطف البشرية ، فيقعون تحت تأثير هذه العوامل التي تحيدهم عن تقدير الحقيقة ، والوقوف على شؤون الحياة بعدالة. وبغض النظر عن مدى ارتفاع الناس في سلم المعرفة فهم غير قادرين على فهم وقائع الأمور ، وأنهم يحيطونها بالأخبار ، وبالتالي فإن القوانين الوضعية عرضة للتغيير والتغيير ، وليس لديهم. معيار ثابت للحكم ، فربما يصبح ما هو شرعي اليوم محرما غدا ، وبذلك تختلف موازين الحياة ومعايير الخير والشر ،

---

**(١) ينظر :السيد مرتضى الرضوي، أراء المعاصرين حول أثار الأمامية :١٠٥ – ١٠٦.**

**(٢) ينظر :عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ:١٧٦.**

**(٣) الأنبياء :١٠٤.**

**(٤)هود : ٧.**

ويلونها لون الإنسان وتغير ميوله وانفعالاته ، بحيث لا تزال حياة الإنسان في حالة اضطراب مستمر. كما نراه اليوم في حياة الأمم التي تحكم بغير ما أنزل الله[١] .

والشريعة وحي الهي منزه عن ذلك كله، فهي تنزيل الحكيم العليم، الذي يعلم أحوال عباده، وما يصلح معاشهم ومعادهم، وما يحقق لهم الخير في دنياهم وأخراهم ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾[٢] ، وهو سبحانه خالٍ من كل النواقص التي تصيب الخلق. وهذا يتطلب توضيح شيئين: الأول: أن معرفته بكل شيء غيره ، سبحانه وتعالى ، هي حقيقة واقعة متجذرة لا تحتاج المعرفة إلى المعلوم ، وهي أيضًا ليست حقيقة إضافية يحتاجها في إثباتها وإقرارها. تجذير المعلوم فلا وجه عليه. من أجل الالتزام بحقيقة أن المعرفة اللانهائية مكثفة وواسعة ، فإنها تحتاج إلى المعرفة اللامحدودة. الثاني: استحالة تحقيق المعلوم خارجياً إلا بعد مرتبة العلم به قبل وجوده ، خارجياً من حيث أصل وج. وذلك فيما يتعلق بتنظيم الخلق ودقة التصنيع وجودة الأنظمة بالضرورة. وعليه فإن قول تعالى: (أَلا يَعْلَمُ...) هو تذكير وإرشاد لشيء لازم بداهة العقل أن كل ما خلقه الله من خلق الذرة وما تحتها وما فوق. إنها علامة على وجود المعرفة التي تتجلى في نفسها بالضرورة. في رواية مشرفة عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) (في بيان معاني أسمائه العلي ، والتمييز بين معاني أسمائه سبحانه وتعالى وبينهم). قال: (وأما اللطيف) فليس تافهاً ولا صغيراً. ولكن هذا مبني على الخلاص في الأشياء ، والامتناع عن التجاوز ... هكذا لطف الله تبارك. وتعالى . عن أن يدرك بحد ويحد بوصف وأما الخبير، فالذي لا يعزب عنه شيء ولا يفوته [٣]

وقد بينت الشريعة الإسلامية الأصول الكلية التي تقوم عليها حياة البشر، ولا سبيل الأخذ فيها بالرأي المجرد عن الدليل والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يتبع إلا الوحي ﴿**إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ**﴾[٤] ، ولا يكون حكمه إلا بما علم عن الله ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا**﴾[٥]، وانتزاع

---

**(١) مناع القطان ،تاريخ التشريع الإسلامي ،١٩-٢٠**

**(٢) الملك: ١٤.**

**(٣) محمد باقر الملكي الميانجي، مناهج البيان في تفسير القرآن: ١٢٩ ١٨-١٩.**

**(٤) الأحقاف: ٩.**

**(٥) النساء: ١٠٥.**

التشريع من أيدي البشر، ورده إلى الله ورسوله، يضع لنا شريعة ربانية ثابتة المقياس لا يعتريها خلل أو قصور.

٣. القانون الوضعي هو نظام ذو قواعد محدودة يلبي حاجة المجموعة لتنظيم حياتهم الحالية ، ويتطور مع تطورها. لقد نشأ أولاً في نظام الأسرة ، ثم في النظام القبلي ، ولم يتحول إلى نظريات علمية إلا في القرن التاسع عشر ، وولد التشريع السماوي بشكل عام متكاملًا ويلبي متطلبات الحياة. ، نسيج محكم ، صافي المورد.

٤. قواعد القانون الوضعي مؤقتة لفئة معينة في حقبة معينة ، تحتاج إلى التغيير كلما تطورت الجماعة وتتجدد مطالبها ، وأحكام الشريعة الإسلامية بالذات لم تأت على شعب بلا شعب ، أو لعصر بلا عصر لكنها قواعد عامة وثابتة ومستقرة تسد حاجات الجماعة وترفع مستواها في كل عصر. لقد مرت حقبة ونحو أربعة عشر قرنا من الشريعة الإسلامية ، تغيرت خلالها أوضاع الجماعات ، واختفت مئات القوانين والأنظمة ، وقلبت مبادئها رأسا على عقب ، ولا يزال هذا القانون مستحدثًا وصالحًا لكل فرد، وتحمل نصوصه عناصر النمو والتقدم.

٥. يتعامل القانون الوضعي فقط مع المعاملات المدنية في الشؤون الاجتماعية والاقتصادية التي تقوم عليها سلطة الدولة ، إذا استبعدنا ما يتعلق بالعلاقات الدولية ، ولا علاقة له بعقيدة التوحيد ومتطلباته ، وأنظمة الحياة المختلفة في شتى مرافقها[١].

٦. والقوانين الوضعية تهمل المسائل الأخلاقية، وتقصر المخالفة على ما فيه ضرر مباشر للأفراد، أو إخلال بالأمن والنظام العام، فلا تعاقب القوانين الوضعية على الزنا إلّا إذا أحد الطرفين أكره الآخر ، أو أن الزنا كان بغير موافقته الكاملة ، لأن الزنا في هاتين الحالتين يضر بشكل مباشر بالأفراد ، كما أنه يؤثر على الأمن العام ، ومعظم القوانين الوضعية لا تعاقب على شرب الخمر ,ولم تعاقب السكر في حد ذاته ، بل عاقبوا السكران إذا وجدوه على الطريق ، فيكون عقاب السكر في الطريق العام ، لأن وجوده في هذه الحالة يعرّض الناس للأذية، لا عقوبة السكر في حد ذاته كرذيلة ، ولا لشرب الخمر ، باعتبار أن شربه مضر بالصحة ، ومفسد للأخلاق. الشريعة الإسلامية قانون

---

[١] **مناع القطان ،تاريخ التشريع الإسلامي ،١٩-٢٠**

أخلاقي ، والأخلاق في الإسلام ليست من الأخلاق الحميدة لتجميل صاحبها ، بل هي من واجبات الدين ، لأن الأخلاق في الإسلام هدف تربوي للعبادة ، والتزام أخلاقي في المعاملات ، مما يجعل للناس. حياة مبنية على الخير[١]، وقد حث الإسلام الإنسان على الفضائل ودعا إلى المثل العليا ، وأثنى على الأخلاق الحميدة.، وقال الله في نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم): ﴿**إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [٢].

في القاموس: الخلق ... بالضم و بضمتين: السجية والطبع والمروءة والدين.[٣] وهو أيضا: الخلق . "بضم اللام وسكونها . وهو: الدين والطبع والسجية"[٤]. وفي البرهان، عن ابن بابوية مسندا، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر ( عليه السّلام ) في قول الله – عز و جل : « وإنك لعلى خلق عظيم» قال: « هو الإسلام.» وفيه أيضاً، عن علي بن إبراهيم، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر . (عليه السلام): قوله « إنك لعلى خلق عظيم»؛ أي: على دين عظيم.[٥] .

٧. القوانين الوضعية تفقد قوتها على النفس البشرية ، لأن قوة العقوبة وحدها لا تكفي لردع المجرم. لذلك يعمل واضعو القانون على إرضاء الجماهير وإقناعهم بصحة الأنظمة التي يضعونها حتى يمتثلوا لها. ومع ذلك ، يدرك الناس أن القوانين الوضعية ليس لها سلطة إلا إذا وقع المرء تحت العقوبة. والقبض عليه متلبسًا بجريمته ،إذ لا علاقة لها بالحياة الآخرة، فيكون المجال فسيحاً للخروج على القانون بوسائل الحيلة والدهاء. فلا يقف دون وصول الناس إلى أغراضهم السيئة قانون مهما كان دقيقاً[٦].

فالشريعة الإسلامية تمتاز على القوانين الوضعية بثلاث ميزات جوهرية:

---

**(١) عبد القادر عودة, التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي:٢٠١١.**

**(٢) القلم:٤.**

**(٣)الفيروز أبادى، القاموس المحيط:٢٣٢**

**(٤) مجموعة من المؤلفين ، موسوعة الأخلاق الإسلامية: ٢|١**

**(٥) الزركشي، البرهان في علوم القرآن: ٤٥٥١٥**

**(٦)ينظر: محمد باقر الملكي الميانجي، مناهج البيان في تفسير القرآن: ١٢٩ ٤٠-٤١.**

الميزة الأولى : الكمال, تتميز الشريعة الإسلامية عن القوانين الوضعية بالكمال. أي أنها أكملت جميع القواعد والمبادئ والنظريات التي تحتاجها الشريعة الكاملة ، وهي غنية بالمبادئ والنظريات التي تضمن تلبية احتياجات المجموعة في الحاضر والمستقبل البعيد.

الميزة الثانية: السمو, تتميز الشريعة الإسلامية على القوانين الوضعية بسموها. أي أن قواعدها ومبادئها أعلى دائمًا من مستوى المجموعة ؛ وأن هناك مبادئ ونظريات تحافظ على هذا المستوى الرفيع ، ومن خلاله ارتفع مستوى المجتمع.

الميزة الثالثة: الدوام, تتميز الشريعة الإسلامية عن القوانين الوضعية بالدوام أي بالثبات ، حيث أن نصوصه لا تقبل التعديل والتغيير مهما مرت السنين والأزمات ، ومع ذلك فهي تظل صالحة في كل زمان ومكان..

هذه هي الميزات الجوهرية للشريعة الإسلامية ، وعلى الرغم من تنوعها ، فإنها ترجع إلى أصل واحد نشأت فيه جميعها ، بحيث يعتبر كل منها أثرا من آثارها ، وهذا المبدأ هو أن الشريعة الإسلامية. من عند الله ومن صنعه. تلك الصفات متوفرة دائمًا في ما يصنعه الخالق ، ولا يتوفر أي منها في المخلوق [١].

تنبثق الشريعة الإسلامية من فكرة ما هو مباح وما هو محرم ، والإيمان بالآخرة ، وتثقيف الضمير البشري ليكون رقيبًا على المسلم في السر والعلن. وإنه يخشى عقاب الله الآخروي أكثر من خوفه من العقاب الدنيوي. أثره في هذا العالم هو أداء الواجب ، أو المنفعة من الحل والحيازة ، أو إنشاء الحق أو إزالته ، أو توقيع العقوبة ، أو ترتيب المسؤولية ، ولكن هذا الفعل ينتج عنه الأثر في الدنيا له أثر آخر يترتب عليه في الآخرة ، وهو الثواب أو العقوبة في الآخرة.، ومن يتتبع آيات الأحكام يجد كثيراً منها قد رُتِّبَ عليه جزاءان: جزاء دنيوي وجزاء آخروي ففي القتل [٢] يقول تعالى: ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا**﴾[٣]، وفي قطع الطريق أو الحرابة يقول تعالى: ﴿**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ**

---

**(١) ينظر: عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي:٢٤-٢٥.**

**(٢) ينظر : فاطمة السيد علي السباك ,دراسات إسلامية الشريعة والتشريع وخصائص الشريعة الإسلامية:٣**

**(٣) النساء :٩٣.**

**الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾** [١]، وفي إشاعة الفاحشة ورمي المحصنات يقول جل شأنه: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾** [٢]، ذوو العيوب يحبون إشاعة معايب الناس: ليتسع لهم الغدر في معايبهم، عن الأمام(عليه السلام ) **"**لو وجدت مؤمناً على فاحشة لسترته بثوبي، وقال (عليه السلام ) بثوبه هكذا **"**[٣].

إلى غير ذلك من الآيات، وبذلك يقيم الإسلام من داخل النفس البشرية رقابة على تعاليمه، بحيث يرعاها المسلم في جوف الليل، كما يرعاها في وضح النهار، والأدلة الظاهرة، لإثبات الحق في القضاء لا تجعل هذا الحق حلالاً لمستحقه إلا إذا كان حقاً له في الواقع [٤].

أن كل ممارسة ، سواء كانت داخلية أو خارجية ، يمكن أن تكون عبادة إذا كانت هناك نية مؤمنة وراءها تسعى إلى جعل كل نشاط في الحياة وسيلة يقترب بها الإنسان من الله ، ويعبده ، ويتذكر وجوده الشامل القادر المريد، هذه القاعدة الشاملة التي تضم، فيما تضم، الشعائر الإسلامية الخمس نفسها مضافاً إليها كل الفاعليات الأخرى، كما أنّ مقومات الحضارة هي تلك الضوابط أو القوانين التي تتحكم في عملية التحضر، ولقد أكد القرآن الكريم أن الساحة التاريخية والاجتماعية للأمم لها سنن وضوابط مثل سائر الساحات الكونية الأخرى الفيزيائية والكيميائية والفلكية والحيوانية والنباتية [٥].

وبهذه الدوافع جاءت الدعوة في القرآن للسير في الأرض لمعرفة سنن الله، في السابقين، وإدراك عواقبهم في الإصلاح والعدل، وفي حالات الفساد والظلم ومن سمة المقومات أنها ثابتة لا تتغير بعوامل الزمان والمكان ومن هذا قوله تعالى: ﴿**قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ**﴾[٦].

---

**(١) المائدة: ٣٣.**

**(٢) النور: ١٩.**

**(٣) علي عاشور، تفسير القرآن الكريم برواية الإمام علي(عليه السلام): ٣٥١.**

**(٤) ينظر: مناع القطان، تاريخ التشريع الإسلامي: ٢٢.**

**(٥) والمقصود بالساحة التاريخية الساحة التي تحتوي تلك الحوادث والقضايا التي يهتم بها المؤرخون.**

**(٦) آل عمران:( ١٣٧ – ١٣٨)**

السنن هي جمع سنة ، وهي الطريقة التي يتبعها المجتمع ، والأمر بالسير في الأرض إلى مكان اعتبار بآثار الماضين من الأمم الغابرة ، والملوك والفراعنة المستبدون. لم ينفعهم فيها مرتفعات قصورهم ، ولا ذخائر كنوزهم ، ولا عروشهم ، ولا جموعهم ، وقد جعلهم الله الأحاديث التي يعتبرها المعتبرون ويفككها الحمقى. وإما حفظ آثارهم وكثرة تماثيلهم ، والسعي لإظهار عظمتهم ومجدهم الدنيوي الظاهر في أيامهم ،ما لا يعتني به القرآن، في حين قوله تعالى :

﴿هذا بيان للناس ﴾، الآية تقسم باعتبار التأثير فهو بلاغ وإبانة للبعض وهدى وموعظة للآخرين [١].

إنَّ غياب فكرة ربط الأحداث اليومية والعالمية والنفسية والاجتماعية بالعناصر الكونية التي تجري على أساسها الحياة وفق الفكر الإنساني ، الناتج عن بُعد الإنسان عن الله وفشل هذه الفكرة في الظهور من منظور اجتماعي. أو البيئة الثقافية التي ينتمي إليها ، أدت إلى فشل الإنسان في إثبات العناصر الإلهية للوجود المرتبطة بالإرادة. لذا فإن الحركة التاريخية والاجتماعية والقدرة البشرية والإرادة الإلهية متوازنة بين المكونات العادية وطلاقة الإرادة الإلهية. هذه حقيقة ثابتة في مجرى الحياة منذ الخلق الأول. في قوله تعالى: ﴿**قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾[٢].

وهكذا تكون المقومات فَعالّة في حياة الناس وتقلباتهم الحضارية من خلال الروح البشرية. تعتمد صحة أي سنة (قانون) على وجود المقدمات التي يتم على أساسها تحديد النتائج ، وهناك أسباب تؤدي إلى الأسباب (قانون العقل). كل ذلك مرتبط بالإرادة الإلهية المطلقة ، وشهادته الذاتية لنفسه تؤدي إلى شهود ضد الآخر ، على سبيل المثال ، التعسف في توقيع بعض المواقع الصناعية بالمدن في المخططات. الأساسية، يجري عليه ضوء يصيب المدينة أقترن بسوء دراسة وتوقيع هذه المناطق، وإن العبادة عهد أخذه الله على بني آدم، فقال تعالى: ﴿**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ**﴾[٣]، وهي طاعة الله وامتثال أوامره ونواهيه في جميع مجالات الحياة، مع منتهى الإخلاص والتسليم والتعظيم والمحبة له[٤].

---

**(١) ينظر:العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن:٢١١٢.**

**(٢) آل عمران: ١٣٧.**

**(٣) يس: ٦٠.**

**(٤) ينظر: المسيب وآخرون ، نظرات في المقالة الإسلامية:١٨٥.**

ولقد تكررت الدعوة إلى العبادة و الاستغفار, والتقوى في القرآن كثيرا، وكانت هذه المفاهيم الثلاثة محور الرسالات التي دعا إليها الأنبياء والرسل. يقول تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ (١).وهكذا كانت العبادة من الغايات التي دعا إليها الرسل، والغاية الكبرى التي خلق من أجلها الجن والإنس، فقال تعالى: ﴿**وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ (٢).

**المبحث الثالث الحث على العلم والتفكر والاستفادة من تجارب الأمم**

**المطلب الأول: الحث على العلم والتفكر**

أنّ دعوة القرآن الكريم إلى التفكر والتدبر وتشغيل العقل من المنطلقات الأساسية لبناء الإنسان والحضارة؛ لأنّها تصحح رؤيته المعرفية للحياة والوجود، قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ (٣). وقال تعالى في كتابه الكريم: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾ (٤).

فهذه الآيات وغيرها تقرر أنّ الله خلق الكون عونا للإنسان لأداء رسالته، وجعله مسخرا له، لذلك حاول الإنسان منذ أقدم العصور تعليل الظواهر الطبيعية والأحداث الاجتماعية والتاريخية، وإيجاد مبررات ومسوغات لوقوعها، بالنظر لهذا الكون والتأمل فيه تتبين قيمة الإنسان وتفضيل الله على سائر الكائنات التي خلقت من أجل خدمته، ونظرا لقيمة الإنسان وتكريم الله له فقد أناط به مهمة الاستخلاف في الأرض (٥).

---

**(١) الأنبياء: ٢٥.**

**(٢) الذاريات (٥٥ -٥٦).**

**(٣) البقرة: ١٦٤.**

**(٤) آل عمران: ١٩٠.**

**(٥) ينظر: محمد هيشور، سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها: ١٥٠ - ١٥٢.**

وحمل الإنسان المسؤولية من يوم وجد نفسه على الأرض. فقال الله تعالى: ﴿ **قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾[١] وعمل القرآن الكريم مع الإنسان يبدأ بكشف الحقائق الهامة الكامنة في ذاته، ويبرر القرآن هذه الحقائق الذاتية أمام فكر البشر ومشاعره، بدعوته إلى التدبر في نفسه، والنظر في الأرض والسير فيها والاعتبار بحوادث الدهر ومصائر الشعوب، فإذا انتبه الإنسان إلى الحقائق الموجودة في هذا الكون والكامنة في نفسه، وعرف أنها سنن الله في التحضر، أدرك دوره في الحياة وواجبه تجاه نفسه وتجاه الله وتجاه الناس وتجاه الوجود عامة[٢].

وفي سياق الحث على تشغيل العقل جعل للعلم منزلة كبيرة فلقد دعا الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله إلى طلب العلم والقراءة وكرم أداءهما من أُولى آية نزلت في كتاب الله تعالى على قلب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ﴿**اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَم الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ [٣].

والعلم " هو إدراك الشيء على حقيقته إدراكا جازما " [٤] ويُعدُّ الإسلام أُولى عقيدة كرمت العلم والعلماء، فلقد أعلى الله عز وحل من مكانة العلماء ورفع شأنهم، قال تعالى: ﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾[٥].

والرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) جعل مقام طالب العلم في صف المجاهدين لإعلاء كلمة الله ناحية الأجر والمنزلة،

روى الترمذي عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: "من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع"[٦].

---

**(١) البقرة:٣٨.**

**(٢) ينظر: محمد سعيد رمضان البوطي ، الإسلام ملاد المجتمعات الإنسانة : ١٩٨٤/٤.**

**(٣) العلق: (٣ – ٥).**

**(٤) أسامة سليمان ، تفسير القرآن الكريم: ٣١٢.**

**(٥) المجادلة: ١١.**

**(٦) الترمذي ،سنن الترمذي:٣٢٥١٤ ،رقم الحديث(٢٦٤٧).**

وكما كرم الله العلم كرم أدواته أيضا، فأول شيء أقسم به الله في القرآن تكريما له وتعظيما لشأنه هو القلم، يقول تعالى: ﴿**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ**﴾ (١). وذهب جمهور المفسرين إلى **"**أن النون هي الدواة، وأقسم كذلك بالرق المنشور و هو الوسيلة التي تحتفظ بالكتابة **"**(٢)، يقول سبحانه وتعالى: ﴿**وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ**﴾ (٣)، وعن فضل العلم وردت آيات عديدة وأحاديث كثيرة كلها تحل العلماء وتعلي من شأنهم قال رسول الله (صل الله عليه وآله وسلم): **"** إذا مات ابن آدم، انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له **"** (٤).

**"**والعلم هو أشرف الفضائل ، وأكرمها ، وأغلى ما يملكه الإنسان. إنه أساس الحضارة ، ومنبع أمجاد الأمم ، ولقب سموها وتفوقها في الحياة ، ورائدها في المساعي الأبدية ، وشرف العالمين. والعلماء هم ورثة الأنبياء ، وخزينة العلم ، ودعاة الحق ، وأنصار الدين**"** (٥) .من أجل ذلك تظافرت الآيات والأخبار على تكريم العلم والعلماء ، والإشادة بمقامهما الرفيع . قال تعالى :﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾(٦) وقال تعالى :﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾(٧) وقال تعالى :﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾(8) وعن أبي عبد الله (عليه السلام ) قال : قال رسول الله( صلى الله عليه وآله وسلم): **"**من سلك طريقاً يطلب فيه علماً ، سلك الله به طريقاً إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً به ، وانه يستغفر لطالب العلم من في السماء ومن في الأرض ، حتى الحوت في البحر**"**(٩)

---

**(١) القلم : ١.**

**(٢) أحمد على الملا، أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية:١١٢-١١٣.**

**(٣) الطور: (١ - ٣).**

**(٤) مرتضى الزبيدي ، تخريج أحاديث إحياء علوم الدين:٨١١١.**

**(٦)السيد مهدي الصدر، أخلاق أهل البيت (عليهم السلام): ٢٢٩.**

**(٧) الزمر : ٩ .**

**(٨)المجادلة : ١١.**

**(٩) فاطر : ٢٨ .**

**(٩) الكليني ،الكافي، باب ثواب العلم والمتعلم :٣٤١١.**

فالعلم نافع ينال صاحبه الأجر عنه في حياته وحتى بعد مماته، ونظراً لقيمته وأهميته جعل الله قداسة العلم مصارعة لقداسة العبادة، لأنه يعتبر العلم في ذاته من أسمى العبادات، ودليل ذلك أن القرآن الكريم دائم التذكير بالعقل و التدبر و التفكير، وقد ذكر العقل باسمه وأفعاله زهاء الخمسين مرة، وذكر العلم في مواضع من آياته تنافر المائة مرة وذكرت مشتقاته أضعاف ذلك، وجاء في ذكر "أولي الألباب" أي أصحاب، العقول بضع عشرة مرة، وذكر في " أولى النهى" أي أمدار العقول في آخر سورة طه، وجاء في القرآن أيضا ذكر الحكمة مرات كثيرة[١].

والعلم في القرآن ليس خاصاً، بل يتصف بالشمولية، فهو يشمل كل علم نافع سواء كان علما دينتا أو دنيويا، نظرنا أو تحرستا مادام أنه في خدمة الدين، ومادام أنّه يرفع منار الحضارة. فالله لم يقيد العباد يطلب علم عدد وإنما أطلق لفظ العلم ليشمل كل ما ينفع الأمة [٢]. يقول الله تعالى: ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾ [٣].

وما يلاحظ على العلم في الإسلام هو أنّه ليس محددا بمرحلة عمرية، بل أمر الله الإنسان بطلبه منذ الولادة حتى الوفاة. جاء في الأثر: " أطلب العلم من المهد إلى اللحد"، ولقد حرم الله سبحانه التقليد الأعمى الذي لا يقوم على حجة ولا يستند إلى دليل لان ذلك رفض صريح لاستعمال العقل والفكر، وتعطيل للمواهب وتفضيل للاسترخاء والسير في طريق الجهل والضلال. قال(صلى الله عليه وآله وسلم )" كن عالما أو متعلما أو محبا أو متبعا ولاتكن الخامس فتهلك "[٤].

فقد كان الإسلام ثورة علمية حقيقية في بيئة ما الفت روح العلم، وما تعودت عليه، حتى آن المرحلة السابقة لنزول القرآن الكريم تسمى الجاهلية، فصفة الجهل ترتبط بما قبل الإسلام، ثم جاء الإسلام لتبدأ مرحلة العلم وليدخل العرب مرحلة جديدة في التاريخ، مرحلة ثورية أقامت واحدة من اعظم الحضارات عبر التاريخ.

---

**(١) ينظر: محمد عبد السلام الخفاجي ،الإسلام والحضارة الإنسانية: ١٣٧.**

**(٢) ينظر: عبد الله ناصع علوان ،معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النهضة الأوروبية:٨.**

**(٣) طه: ١١٤.**

**(٤) الفيض الكاشاني ،الوافي ،باب العقل والعلم والتوحيد ،رقم الحديث (١١٧).**

بل إنّ هذه الحضارة مهدت لقيام الحضارة الأوربية الحديثة بما أورثته لها من مناهج تفكير وعلوم تجريبية كانت نتيجة جهود جبارة لمئات العلماء المسلمين في مختلف حقول المعارف عبر حركات الترجمة التي كانت الموقظ الفعلي لسبات العقل الأوروبي(١).

والإسلام جعل محاولة اكتشاف سر العالم على المستويين المعنوي، والمادي؛ عملا من أعمال البر، والتقوى، بل مطلباً رئيساً من مطالبها، وإذا تخلى العلم عن رسالته وهدفه، أو صواب في غير اتجاهه ووجهته؛ فإنّه يصبح وبالا على الإنسان، وتصاراً للحياة، ومعولا من معاول الهم في الحضارات؛ وسببا من أسباب انهيارها؛ وقد احتفت الآيات القرآنية، بإعلاء منازل العلماء، وبيان رفعتهم، ومداد العلماء المسفوح على القراطيس؛ يقربهم من الجليل العليم الخبير؛ ويرفعهم إلى مقام الشهادة مع الكريم والملائكة الأبرار ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾(٢)، وقال تعالى :﴿ **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾(٣).

وقد ورد في الحديث عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم )انه قال: **"**ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة**"** (٤)وقارن القرآن الكريم بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون فقال: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾(٥).وقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**﴾(٦).

**السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾(٧). وإذا كانت الحضارة بنت العلم فليس ثمة شك في أنّ العلم يدفع إلى الإبداع، والتفكر، والتدبر، وكل من الإبداع، والتفكر، والتدبر والمعرفة لا تنتهي حتى النهاية إنه باب مفتوح. ، قال تعالى:﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾(٨),وقيل: ما أمر،

---

**(١) ينظر: راغب السرجاني، العلم وبناء الحضارة: ٩.**

**(٢) آل عمران: ١٨.**

**(٣) المجادلة: ١١.**

**(٤) سنن أبن ماجه، كتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم ، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم الحديث(٢٢٣).**

**(٥) الزمر: ٩.**

**(٦) فاطر: ٢٨.**

**(٧) الأسراء: ٣٦.**

**(٨) طه: ١١٤.**

ورسوله، مطلب الزيادة في شيء إلا في العلم، فالعلم حلية العقل؛ وبه يهتدي إلى اكتشاف الأشياء, وسبر أغوارها؛ وتحليل جزئياتها. والقرآن الكريم فتح أبواب العلم النافع على مصراعيها؛ فدعوته للنظر في آفاق الكون الرحيب والتدبر في الخلق؛ كل ذلك ينشأ منه علم زاخر، قال: ﴿**أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ**﴾(١).

ولم يكن لمجتمع حاجة لشيء أقوى من حاجته للعلم والتعلم والتعليم، وإن الحضارات لم تظهر في التاريخ البشري إلا يوم أصبح الإنسان قادرا على اكتساب العلوم والمعارف والاستفادة منها في نفع نفسه وغيره. ولم تتطور إلّا بتطور العلوم، ولم تتدهور أيضا إلّا بتوقف العلوم. فالحضارة متوقفة على العلم وجودا أو عدما(٢).

والعلم في الحضارة البناءة هو منهج، وطريق؛ تستشرف به غيوب المستقبل، وأسلوب من أساليب التعامل مع الأشياء، من البحث والنظر، وربط النتيجة بالسبب، وطريقة من طرائق التفكير التي بها تشاد الحضارة. فقال عز وجل : ﴿**أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ**﴾(٣)، والعلم ينبت حضارة، وينشئ معرفة، ومن هنا نعلم أنّ العلم الشامل الذي دعا إليه الله في كتابه وحث عليه الرسول صلى الله عليه وسلم مفتاح كبير من مفاتيح الحضارة خلال العصور وعبر التاريخ فلا نهوض حضاري أنساني إلا به(٤).

ومن مزايا القرآن الكريم العديدة ميزة ذكر العقل والاعتماد عليه في مسألة العقيدة ومسألة المسؤولية والتنازل. في كتب الأديان إشارات صريحة أو مضمونة للعقل أو للتمييز ، لكنها تأتي على شكل عرض غير مقصود ، وقد يلمح القارئ أحيانًا إلى شيء من ازدراء العقل أو تحذير منه ، لأن المنحدر الزلق للعقل. المعتقدات وأحد أبواب الادعاء والإنكار ، ولكن القرآن الكريم لا يذكر العقل إلا في مكان التمجيد والتحذير من وجوب التصرف فيه والرجوع إليه ، ولا تأت الإشارة إليه. عرضاً أو موجزاً في سياق الآية ، بل يأتي في كل مكان من مواضعه مؤكداً وبشكل قاطع باللفظ

---

**(١) الأعراف: من الآية ١٨٥.**

**(٢) ينظر: جريدة المحجة، العلم ودوره في بناء الحضارة، العدد: ٤٧٠، لسنة: ٢٠١٧. الموقع: http://almahajjafes.net**

**(٣) الغاشية: (١٧ – ٢٠).**

**(٤) عمار توفيق أحمد، مقومات الحضارة وعوامل أفولها من منظور القرآن الكريم: ٣٣.**

والدلالة ، ويتكرر في كل معرض للأوامر والنواهي يحث فيه المؤمن على الحكم على عقله أو لومه ,وقبول الحجر عليه ، وتكرار الإشارة إليه. العقل بمعنى واحد من معانيه التي فسره علماء النفس من أصحاب العلوم الحديثة ، بل يشمل الوظائف العقلية للإنسان في أفعاله وخصائصه المختلفة ، ويميز عمدا بين هذه الوظائف والخصائص في أماكن ومناسبات الخطاب ، فيكون خطاب العقل لا يقتصر على العقل الفطن ، ولا على العقل المدرك ، ولا بالعقل الذي يؤتمن عليه التأمل الصادق والحكم الصحيح. وظيفة ، وهناك العديد من الأشياء التي لا تحتاج إلى تفصيلها في هذا السياق العام ، فهي جميعًا ما يمكن أن يشمله العقل التوزيعي ، والعقل المدرك ، والعقل المفكر الذي يقوم بالموازنة والحكم على المعاني والأشياء. فالعقل بمفهومه العام ، هو مَلَكٌ يُؤتمن عليه الرادع الأخلاقي أو منع ما هو محظور وشر ، ومن هنا اشتقاقه من الجوهر الذي يؤخذ منه العقل ، ومن شهرة العقل. تم العثور عليه بهذا الاسم تقريبًا في اللغات البشرية الرئيسية التي يتحدث بها مئات الملايين من الناس. إن كلمة "ما تبقى" وما خرج من جوهرها في اللغات الجرمانية تدل على معنى الحذر واللامبالاة ، وتدعو الغافل الذي يحتاج إلى التنبيه والحذر [١].

من خصائص العقل قدرة الإدراك التي يُؤتمن عليها الفهم والتخيل ، ومن الضروري فهم الدافع الأخلاقي وفهم أسبابه ونتائجه. وتتحد نتائجه وأحكامه وهذه الخصائص في مجملها بملكة الحكم ، وتتعلق بها ملكة الحكمة ، وتتعلق أيضًا بالعقل الفطن إذا انتهت حكمة الحكيم بمعرفة ما هو صالح وما هو طالح. ما هو الشر ، وما يسأل عنه وما يرفض. إنه نقيض التنشئة الكاملة في الإنسان العاقل ، ووظيفة العقلانية أعلى من وظيفة العقل الفطن ، والعقل المدرك ، والعقل الحكيم، لأنها تؤدي كل هذه الوظائف ولديها مزيد من النضج والاكتمال ، و التمييز مع ميزة العقلانية حيث لا يوجد نقص أو خلل ، وقد يأتي الحكيم من قلة الوعي ، وقد يأتي العقل الفطن من عدم الحكمة ، ولكن العقل العقلاني يحفظ العقل من هذا وذاك ، والواجب. التفكير في القرآن الكريم يشمل العقل البشري بكل وظائفه وكل خصائصه وتداعياته. [٢] فهو يخاطب العقل الوازع والعقل المدرك والعقل الحكيم والعقل الرشيد، ولا يذكر العقل عرضا مقتضبا بل يذكره مقصودا مفصلا على نحو لا نظير له في كتاب من كتب الأديان، فمن خطابه إلى العقل عامة – ومنه ما ينطوي على العقل الوازع

**(١) ينظر: عباس محمود العقاد، التفكير عقيدة إسلامية:٨ – ٩.**

**(٢) المصدر نفسه :١٣.**

– قوله تعالى ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾[١]، روى الثعلبي بإسناده عن محمد بن الحنفية، عن أبيه علي بن أبي طالب: "إن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) كان إذا قام من الليل يسوك ثم ينظر إلى السماء ثم يقول: ﴿ إن في خلق السموات والأرض . .. ﴾ وورد عن الأئمة من آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم )الأمر بقراءتها وقت القيام بالليل للصلاة وفي الضجعة بعد ركعتي الفجر» [٢].

﴿ **وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون** ﴾ [٣]، ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُم كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾[٤]،﴿**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**﴾ [٥]، ومنه ما يخاطب العقل وينطوي على العقل الوازع كقوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾ [٦]، ومنه في: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[٧]، ومنه بعد بيان حق المطلقات: ﴿**كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ**

---

**(١) البقرة: ١٦٤.**

**(٢) علي عاشور، تفسير القرآن الكريم برواية الإمام علي(عليه السلام): ٢٥.**

**(٣) المؤمنون: ٨٠.**

**(٤) الروم (٢٥– ٢٨).**

**(٥) العنكبوت: ٤٣.**

**(٦) الملك: ١٠.**

**(٧) الأنعام: ١٥١.**

**تَعْقِلُونَ﴾** [١].ومنه في: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾[٢]، ومنه، بيانا لأسباب الشقاق والتدابير بين الأمم: ﴿**تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ**﴾[٣].

**المطلب الثاني: الحث على الاستفادة من تجارب الأمم السابقة**

إنّ الأمم والشعوب الماضية التي شكلت حركة التاريخ لا يجب النظر إليها على أنهّا مجرد أمم انقضت وقائعها وحوادث دون إدراك ومعرفة القوانين التي تحكمها، وإنّما علينا الاعتبار والاتعاظ بما حدث لها، واستخلاص الدروس التي تفيد، وفي القرآن الكريم ذكرت الكثير من القصص التي ركزت على العبر والعظات، ولم يكن هناك اهتمام بالمقومات التاريخية من حيث الزمان والمكان، وهذا ما عمم فائدة العبرة وجعل تأثيرها ودورها كبير في النفوس والمجتمع، وقد ذكرت كثير من قصص الأنبياء والأقوام وأمراض الأمم النفسية والعقدية من شرك ووثنية وظلم، وما لذلك[٤].

ونجد في القرآن الكريم معان للاعتبار؛ فمن حيث كون العبر عاملا تربويا فقد قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ**﴾ [٥].

ومن ناحية النظر إلى الزمان كيف يتقلب ويدور، قال تعالى: ﴿**يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ**﴾ [٦].

ولقد كان لآثار الماضين مما اكتشفه الدارسون دورا في صقل المواهب وتأكيد المعارف الصحيحة، وبيان الصحيح والفاسد منها، ولا تزال تجارب السابقين تكشف للاحقين أخطاءهم وتريهم سلبيات أعمالهم، وتقودهم نحو الأحسن، وما دعوة القرآن الكريم للنظر في عواقب السابقين وأخبارهم

---

**(١) البقرة: ٢٤٢.**

**(٢) يوسف: ١٠٩.**

**(٣)الحشر: ١٤.**

**(٤) ينظر: محمود محمد شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا: ١٦١- ١٦٢.**

**(٥) النازعات: ٢٥.**

**(٦) النور: ٤٤.**

إلا دليل على علم الله بأن الإنسان عادة ما يعتبر من هو أكثر منه وأشد قوة وأعظم شأنا، مثل قوم عاد وثمود [١].

وإنّ النظر في آثار الغابرين نظرة التأمل والتفكر تهز القلوب الغافلة، فحينما تحول العقول والقلوب في مصارع القرون، وتطالع العيون آثارهم ومساكنهم، حينئذ تتحول هذه الظواهر كلها وهذه الآثار التي ذكرت عن الأمم السابقة إلى عوامل تربية وبناء الأمم والمجتمعات، ومعلوم أنّ النفس البشرية شديدة الحساسية لمصارع الغابرين، وأقل يقظة فيها وأقل تفتحا كافيان لاستعادة الذكريات والتصورات الموحية في مثل هذه المواقف المؤثرة [٢].

فأخبار الأمم السابقة وآثارهم التي أحصاها القرآن الكريم عبرة لمن أراد بناء الأمم وتأسيس الحضارات الإنسانية؛ لأنّ ما أخطأوا فيه سيتجاوزه اللاحقون، وما خلفوه من آثار سيحولونه إلى عوامل ترقى بالأفراد وترقي شعرهم وتطورها، وإنّ عمارة الأرض التي أرادها الله للإنسان أن يكون خليفته في الأرض، فمنحه القدرة العقلية على التعلم والمقدرة الجسدية على التنفيذ والعمل والأبداع، والإرادة (الحرة) لاختيار أسلوب الحياة التي يقوده إليها فكره ودوافعه النفسية والجسدية. ولكي لا يحس الأنسان (بالدونية) ولا تدور في خواطره أية فكرة عن (سلبية) دوره في العالم، رفعت مكانته إلى أعلى مصاف وطلب من الملائكة أن يسجدوا له, وتلك هي أسس تقود ولا ريب إلى دور الإنسان في العالم كقوة فاعلة، مفكرة، مريدة، منفذة، مستقلة، مفضلة، الأمور التي لابد منها لأي أبداع حضاري على الأرض. فإذا ما أضفنا إلى هذا من أن العالم قد مهد تمهيداً للدور البشري على أرضيته، وما سنشير إليه فيما بعد من أبعاد (الصراع) التي لابد منها (للحركة التاريخية)، ومن خطورة التعاليم التي كانت تتنزل حيناً بعد حين لكي (تضبط) و(تنظم) حركة الإنسان في الأرض، أدركنا كم هي عميقة شاملة متكاملة الأسس التي منحت للبشرية لكي تعتمدها في ممارسة خلافتها العمرانية أو الحضارية في العالم، وأنّ الله تبارك وتعالى يريد أن يسلم للمخلوق الجديد آدم عليه السلام، زمام هذه الأرض وأطلاق يده فيها، يبدع فيها عن طريق التكوين والتحليل والتركيب

**(١) ينظر: محمد هيشور، سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطه : ١٥٢ – ١٥٥.**

**(٢) ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن:٦٦.**

والتحوير والتبديل، وكشف طاقات وكنوز هذه الأرض، وتسخير كل ذلك في المهمة الملقاة على آدم وذريته [١].

وقد وهب طاقات واستعدادات توازي وتعادل ما في هذه الأرض من طاقات وكنوز وخامات.. إنّ منزلة الإنسان في الوجود منزلة عظيمة، وهو يمتاز بقدرات فائقة على التعلم والتعليم وهذه القدرات تعينه على اكتساب المعارف وتنميتها واستثمارها، هي من مرشحات الخلافة في الأرض, لأنه خير من يعمرها ويقيم الحضارة فيها، أمّا الملائكة فتجيد التسبيح لله تعالى، وتحسن وتجيد العبادة، تطيع ولا تعصي، ولكن متطلبات التحضر والعمران هي العلم المتطور المتجدد دائماً، وهذا ما يحسنه الإنسان، ولا تحسنه الملائكة، ومن هنا وقع الاختيار على الإنسان دون الملائكة [٢].

إنّ مسألة الاستخلاف تبدو من خلال الآيات مرتبطة بالإبداع ومجانبة الإفساد في الأرض، وتلقي المقومات والتعاليم والشرائع عن الله والالتزام الكامل بها خلال ممارسة الجهد البشري في العالم.. والعلاقة بين هذين الطرفين علاقة أساسية متبادلة، بحيث أن افتقاد أي منهما سيؤول إلى الخراب والضياع في الدنيا والآخرة، ويقود إلى عملية استبدال للجماعة البشرية بغيرها ممن تقدر على الإمساك بالخيط من طرفيه: للإبداع والعلم، والتلقي الدائم عن الله لضبط وتوجيه الأرض إلى مسالكها الصحية التي تجعل الإنسان يقف دائماً بمواجهة خالقه كخليفة مفوض عنه لإعمار العالم[٣].

قال تعالى: ﴿ **وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**﴾[٤].

ذكرت الآيات الكريمة قصة نبي الله صالح (عليه السلام) وقومه وهم ثمود، وهو(عليه السلام ) ثالث الأنبياء القائمين بدعوة التوحيد المناهضين على الوثنية،إذ دعا ثمود إلى التوحيد وتحمل الأذى والمحنة في جنب الله حتى قضى بينه وبين قومه بهلاكهم ونجاته ونجاة من معه من المؤمنين، حيث قوله تعالى : ﴿ **وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ**﴾ تقدم الكلام في نظيرة الآية في قصة هود، قوله تعالى :﴿ **هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ**

---

**(١)ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن: ٦٧.**

**(٢) ينظر: د. نعمان عبد الرزاق السامرائي، نحن والحضارة والشهود: ٤٧ – ٥٠.**

**(٣) ينظر: عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ: ١٩٣-١٩٤.**

**(٤) هود : ٦١.**

**فِيهَا**﴾ قال الراغب الإنشاء إيجاد الشيء وتربيته وأكثر ما يقال ذلك في الحيوان قال : و هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار .. انتهى، وقال : العمارة ضد الخراب يقال : عمر أرضه يعمرها عمارة قال : ( وعمارة المسجد الحرام، يقال : عمرته فعمر فهو معمور قال : « وعمروها أكثر مما عمروها، والبيت المعمور، وأعمرته الأرض واستعمرته إذا فرضت إليه العمارة قال : « واستعمر كم فيها، فالعمارة تحويل الأرض الى حال تصلح بها أن ينتفع من فوائدها المترقبة منها كعمارة الدار للسكنى والمسجد للعبادة والزرع للحرث والحديقة لاجتناء فاكهتها والتنزه فيها والاستعمار هو طلب العمارة بأن يطلب من الإنسان أن يحمل الأرض عامرة تصلح لأن ينتفع بما يطلب من فوائدها(١).

وواضح بين في أكثر من آية ﴿**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا**﴾(٢).

والقرآن الكريم لا يكتفي بتقديم هذه الصور الكالحة عن الإفساد الروحي والمادي وعما يؤول إليه من دمار لحضارة الإنسان، ولرقيه وتقدمه وسعادته، ومن عرقلة لدوره في العالم كخليفة عن الله فيه، ولكنّه يطلب من الجماعة المؤمنة أن (تتحرك) لوقفه بأسرع ما تستطيع وبأقصى ما تطيق. ومن خلال تحقق الشرطين السالفين: الإصلاح ووقف الفساد ومجابهته على كل المستويات، واستناداً إلى التعاليم الإلهية التي يجيء بها الأنبياء حيناً بعد حين، تمارس الجماعة البشرية المؤمنة خلافتها في الأرض، وتواصل (الحضارة) تقدمها ونموها من خلال إرادة الإنسان، وموقفه الفوقي على الكائنات، وقدراته التي منحه الله إياها على التصور والتخيل والتخطيط والتنفيذ، والفعل، والابتكار، والإبداع.. قدرات على مستوى العقل والروح والعاطفة والوجدان والجسد على السواء.. وليس ثمة شيء في العالم أو قوة في الكون، غير قوة الله وحده، بقادرة على إنّ تصد الإنسان عن أهدافه ومطامحه التي قرر أن يسعى إليها (٣).

وهذا تباين نوعي حاسم بين الجماعة البشرية المريدة القديرة الفاعلة، وبين كتلة العلم والطبيعة التي لا تملك قدرة ذاتية ولا فعلاً مرسوماً لمجابهة الإنسان، إنها أساساً، وفق المعطيات القرآنية، قد سخرت له تسخيراً، وأن الله سبحانه قد حدد أبعادها وقوانينها ونظمها وأحجامها بما يتلاءم والمهمة

---

**(١) ينظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن:٣ ٣١٧\-٣١٨.**

**(٢) الأعراف ٥٦.**

**(٣) ينظر: عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ: ١٩٩.**

الأساسية لخلافة الإنسان في العالم، وقدرته على التعامل مع الطبيعة تعاملاً إيجابيا فاعلاً، وإذا ما أردنا إنّ نعتمد اصطلاحات (توينبي) ومقاييسه الحضارية في مسألة النمو الحضاري هذه، فأنّنا سنرى في العالم (تحدياً مناسباً) للإنسان، ليس (معجزاً) ولا هو دون الحد المطلوب لإثارة التوتر البشري للرد.. وكأنّ إرادة الله سبحانه قد شاءت أن تقف به عند هذا الحد لكي يحقق المدى الأقصى من الحوار الخلاق بينه وبين خليفته في الأرض، فلم يشأ إنّ يمهد العالم تمهيداً كاملاً ويكشف للإنسان عن قوانينه وأسراره الكلية؛ لأنّ هذا نقيض عملية الاستخلاف والتحضر والإبداع التي تتطلب مقاومة وتحدياً واستجابة ودأباً وإبداعا، ولأنّه يقود الإنسان إلى مواقع السلبية المطلقة ويسلمه إلى كسل لا تقره مهمة الإنسان على الأرض أساساً[١].

نخلص ممّا تقدم إلى إنّ القرآن الكريم تضمن العناصر النظرية اللازمة لبناء كل حضارة ابتداء من الرؤية الكونية الصحيحة التي تصحح مسار نظرة الأنسان إلى نفسه والى أخيه الإنسان وإلى العالم وهذا ما تكفلته العقيدة الإسلامية، فالعرب لم يروا النور ولم يخرجوا من حالة التخلف إلى التحضر ألّا بعد تجاوز عقائدهم الفاسدة بعبادة الأوثان وعاداتهم السيئة مثل وأد البنات.

ثم التشريعات والقوانين السليمة من الظلم والتجاوز والتي تكفل حقوق الإنسان كمخلوق مكرم من رب العالمين، فهذه التشريعات من أهم مقومات الحضارة فحتى الحضارات القديمة ما كانت لتنمو وتزدهر من دون قوانين متطورة قياسا بما موجود في عصورها بحسب ما جاء من خلال المخطوطات والمكتشفات الإثرية، لأنّ تنظيم شؤون الإنسان من أهم الأسس لتطوير حياته.

ومن العناصر الأساسية لبناء الحضارة هي تفجير طاقات الإنسان العلمية عبر حثه على طلب العلم والتفكر واستعمال العقل ودراسة أحوال الأمم واخذ العبرة من تجارب التاريخ.

كل هذه مقدمات نظرية لابد منها للنهوض لأي حضارة وقد حث عليها القرآن وأكدتها تشريعات الإسلام وتعاليمه.

---

**(١)ينظر: عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ: ٢٠٠.**

# الفصل الثاني

# المقومات الأخلاقية

# لنشأة الحضارة في الإسلام

## توطئة:

إنّ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة المَبَيّنة له، وضعا المقومات الأخلاقية الضابطة لمسيرة الحياة على أصعدتها المتعددة، وشرعا المبادئ العامة لكل شيء، وتركا أمر وضع الخطط والبرامج للعقل البشري المتخصص في شعب المعرفة المتعددة، شريطة أن يتحقق بالمرجعية الشرعية في القرآن الكريم، ويهتدي في أنشطته المتعددة بهدايات الوحي، بحيث تكون هذه المقومات أيضاً هي معيار التقويم والتصويب والتسديد والمراجعة لكل فعل ونشاط، مادي أو معنوي، ليجيء مؤسساً على الرؤية الإسلامية، ولعل في النماذج التاريخية التي عرض لها القرآن الكريم فيما أصطلح على تسميتها بـ(القصص القرآني)، وطلب إلينا النظر فيها، واستقراء الأسباب والسنن التي حكمت نهوض الأمم السابقة وسقوطها معواناً لنا للتعرف على هذه المقومات الجارية وأخذ العبرة والدرس، حتى تكون الأمة الخاتمة على بينة من الأمر وهدى، فلا تنتقل إليها علل الأمم السابقة وأسباب انقراضها، فالقرآن الكريم لم يقتصر على رصد التجربة الإسلامية، وإنّما طلب تجاوزها إلى السير في الأرض، والتوغل في تاريخ الحضارات التي سادت ثم بادت، على الرغم من إمكاناتها المادية وبنائها العمراني، قال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا**﴾[١]، إذ أن هذا السير في الأرض، يُعدّ من فروض الكفاية، أو من الفروض الحضارية التي أمر بها القرآن[٢]، لاكتشاف السنن الفاعلة، والتعرف إلى كيفية التعامل معها من خلال المقومات الأخلاقية التي ترسمها تلك السنن وحسن تسخيرها، وإنّ ذلك لم يأخذ البعد المطلوب من العقل المسلم، على الرغم من الأمر الإلهي للسير في الأرض، وتعليل هذا السير بهدفه الذي يحقق التبين والاهتداء، والاتعاظ بالأحوال، وأخذ العبرة والدرس، وتحقيق الوقاية الحضارية: ﴿ **قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ هَٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[٣]، إنّ دراسة المقومات الأخلاقية التي وجدت وفقاً للسنن الإلهية في القرآن الكريم وما يتبع ذلك من دراسة الفضائل التي تؤدي إلى بناء الحضارة، والرذائل التي تؤثر سلباً فيها وتؤدي إلى سقوط الحضارة اقتضى تقسيم الفصل على مبحثين:

---

**(١) الروم: ٩.**

**(٢) ينظر: د. مصطفى إبراهيم الزلمي، أصول الفقه في نسيجه الجديد:٥/٢٥٩.**

**(٣) آل عمران: (١٣٧ – ١٣٨).**

المبحث الأول: دور الفضائل في بناء الحضارة

المبحث الثاني: أثر الرذائل في سقوط الحضارة

**المبحث الأول :دور الفضائل في بناء الحضارة**

إنّ الحديث عن دور الفضائل في بناء الحضارة التي أمرت بها السنن الربانية الإنسان بوصفه محور التغيرات في الحياة ومسؤول عن بعض ما يجري فيها، وما يحدث من أسباب وعوامل تؤدي وفق سنن الوجود إلى أهداف ونتائج في حياة الأمم، وبهذا المفهوم تظهر السنن فاعلة في حياة الناس وتقلباتهم الحضارية من خلال فضائلهم وأخلاقهم وإنّها مرتبطة أشد الارتباط بالإنسان في استقامته فمن خلال تطبيق الفضائل والعمل الصالح والقول السديد والسلوك الفاضل يظهر الإصلاح في الأرض، ومن جهة أخرى أيضا السنن الكونية مرتبطة بالإنسان في انحرافه العقيدي، وفسوقه الأخلاقي، وفساد أعماله وأقواله وخروجه عن سنن التحضر والحياة الصحيحة، وحينئذ يُظهر هذا الإنسان الفساد في الأرض فتؤول الحضارات إلى الدمار والمجتمعات إلى البوار والانحلال، وكل يجري إلى أجل مسمى وفق سنن الله في الوجود التي لا تحيد ولا تميل عن خطها[١].

وبهذه الدوافع جاءت الدعوة في القرآن الكريم للسير في الأرض لمعرفة سنن الله، في السابقين، وإدراك عواقبهم في الإصلاح والعدل، وفي حالات الفساد والظلم ومن سمة السنن أنّها ثابتة لا تتغير بعوامل الزمان والمكان ومن هذا قوله تعالى: ﴿**قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ هَٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[٢] كذلك فإنّ فكرة ربط المقومات الأخلاقية الحسنة بالسنن الكونية سيؤدي ذلك إلى اهتداء الإنسان في تطبيق السنن الربانية في الوجود المقترنة بالمشيئة الإلهية المطلقة، وبالتالي تكون الحركة التاريخية والاجتماعية والقدرة البشرية والإرادة الربانية في توازن بين السنن العادية وطلاقة المشيئة الإلهية وهذه حقيقة ثابتة في سير الحياة منذ الخليقة الأولى، ممّا يؤدي إلى بناء حضارة قويمة وفق المعطيات القرآنية،

---

**(١) ينظر: هيشور، محمد ،سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها :١٠٢.**

**(٢) آل عمران:( ١٣٧ – ١٣٨).**

ولعل هذه من العبر المقصود اكتشافها من السير في الأرض في قوله تعالى: ﴿**فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾(١).

وفي معرفة سنن الله من السير في الأرض ما يطمئن القلوب المؤمنة أنّ العاقبة لها. وما يحذر من الانزلاق مع المكذبين والأرض والتاريخ كله مسرح لنشاط البشرية (٢).

وعلى أثر معرفة هذه السنن يتجاوب الناس مع نداء الحق فيدركون النتيجة ﴿ **قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** ﴾(٣)أي مضت قوانين إلهية مما سنه الله من السنن التي تجري على خلقه وبإرادته وقدرته ومنها ما هو خاص بالأنبياء والمرسلين ومنها ما هو خاص بالمؤمنين وما هو عام في شؤون الأمم وتقلباتهم نحو الوحدة والتفكك والتحضر، والتخلف والسعادة والشقا، وهذه حقائق واردة في الكتاب لا يعرفها إلّا عالم به ومن اكتشفها استطاع أن يعرف الحاضر ويتحسس المستقبل(٤).

ويمكن القول إنّ الفضائل هي أساس التحضر، وبدونها يصعب قيام تحضر؛ لأنّ جوهر الفضائل هو البناء و الإعمار ، لذا أكد القرآن الكريم على الفضائل الأخلاقية ودعى، لها وسيقف البحث عند نماذج منها.

**المطلب الأول: الإصلاح**

**"**الصلاح ضد الفساد وأصلح الشيء بعد فساده: أقامه ،والاستصلاح: نقيض الاستفساد**"** فالصلاح (٥) ومن لازم ذلك: مضادة الفساد والإفساد ومقاومته ،لأنّ مقاومة الفساد إصلاح. وقوبل الصلاح في القرآن تارة بالفساد وتارة بالسيئة قوله تعالى: ﴿**خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً**﴾(٦) وقوله: ﴿**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا**﴾(٧)، تلك الفاظ عامة تتضمن كل إفساد قل أو كثر بعد كل إصلاح قل أو كثر، والقصد بالنهي هو على العموم، وتخصيص شيء دون شيء في هذا

---

**(١) آل عمران: ١٣٨.**

**(٢) ينظر: هيشور، محمد، سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها:١٠٣.**

**(٣) آل عمران ١٣٧**

**(٤) ينظر: المصدر نفسه/١٠٤.**

**(٥) قاسم عبد الله القونوي ،أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة :٩١ مادة (صلح).**

**(٦) التوبة: ١٠٢.**

**(٧) الأعراف: ٥٦.**

تحكم، إلّا أن يقال على وجه المثال.. وقال بعض الناس: المراد: ولا تشركوا في الأرض بعد أن أصلحها الله ببعثة الرسل وتقرير الشرائع ووضوح، ملة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ودخل في ذلك: "إصلاح الأديان والأبدان والأقوال والأفعال وسائر الأحوال، فإنّ ذلك كلّه ممّا أصلحه الله، ودخل في النهي عن الإفساد في الأرض النهي عن الإفساد في ذلك كله"(١).

إنّ منهج الإصلاح يعزز بناء الحضارات، من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كفريضة واجبة على كل مسلم، ومن ثم يعززان قيم التعاون والتواصي بالحق والصبر، ممّا يساهمان في إزالة الجهل والمرض وترسيخ القيم الأخلاقية والدينية، سعيا لإقامة المجتمع النظيف الذي يستلذ بالطيبات ويمنع الخبائث. ومن الصفات التي يتصف بها المصلح أن يكون مهتدياً بهدي القرآن متوكلاً على الله راجعاً إليه وإلى شرعه في كل حال، وأن يكون ساعياً في مصالح غيره، قائماً على حقوق الناس بالعدل والقسط، وتتجلى عليه أخلاق الأمانة والعفة والإخلاص والرحمة، صادق القول والفعل ليس متستراً بالدين(٢)،إنّ الإصلاح بين الناس هدف مقدس يدعو إليه الإسلام، وعن الإمام الصادق (عليه السلام )أنّه قال: "المصلح ليس بكذاب" (٣). ومن الآيات القرآنية الدالة على الإصلاح قوله تعالى: ﴿**إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ**﴾(٤)،

وقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ**﴾ (٦)وكذلك

قوله تعالى: ﴿**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾(٧).

وهذا من أجلّ وأعظم عوامل بقاء الأمم واستمرارها على ما هي فيه من قوة وتمكين في الأرض، وأهم أسباب تمكينها واستخلافها فيها، إن لم تكن كذلك، بل هو أهمها على الإطلاق، وهو يشمل:

---

**(١) ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز: ٧٩١٧.**

**(٢) ينظر: الريشهري، محمد، ميزان الحكمة:٢٩٦١٨**

**(٣)الكليني، الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب الكذب،٣٤٢١٢.**

**(٤) هود: من الآية٨٨ .**

**(٥) البقرة : ١١.**

**(٦) البقرة: ٢٥.**

• إصلاح النفوس والمواقف منذ البداية. وذلك بالإيمان بالله وتخصيصه بالعبادة والطاعة ، وإخضاع جميع شروط الأمة لسلطة الشريعة ، والاستمرار. وذلك بتجديد ما فقد من دين، والعودة إلى الله بالتوبة والدعاء.

• لا يتم هذا ولا يوجد – عادة – إلا بوجود مصلحين ومرشدين من هذه الأمم يرشدونهم إلى ربهم منذ البداية ، ويذكرونهم بهذا الهدى ، ويسعون للحفاظ عليه باستمرار.

وهذان أساسان يقوم عليهما هذا العامل ، ولا يمكن دونهما إقامة مكانة لائقة ، ولتوضيح هذا الارتباط أقول: إنه معروف من طبائع البشر والأمم بحكم ما لديهم. اعتادوا على الظلم والجهل ، أنهم لا يقفون على الصواب ، ويتركون الباطل في أمورهم الدينية والدنيوية. من تلقاء أنفسهم ، بل برغبة الآخرين وظلمهم ، وارتكاب الرجاسات والشرور ، واتباع الشهوات كأفراد وجماعات لو تركوا دون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لكان أمرهم قد انتهى بالفساد. والتنافس. لتعارض مصالحها ، أو تجتمع على ما يضرها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، يجب أن تبقى الأمم حتى تبقى أمة قوية وسلطة ، وتستمر لتكون (خيرًا للمصلحة) ، وهم ليسوا كذلك منذ البداية ، ولا يصبرون على استمراره بمفردهم. فقد ثبت أن ما يلزم للأمة أن تكون فيها قوله تعالى: ﴿ **اولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ**﴾[1]، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ولا بد أن يكون أمرهم مطاعا ورأيهم نافذا فيها، وهو ما يمكن نعته بـ: (استعداد الأمة للصلاح والإصلاح)، لا بد من هذا وذاك للبقاء والاستمرار[2].

إذ إنّه يتم توظيف الإصلاح لبناء الحضارة من خلال سلطة سياسية تعتمد رضا المحكومين وقبولهم وهو أمر يتفق مع تصور الإسلام وتصور الديمقراطية ممّا يمنح الحاكم شرعية حكمه للجماعة، وجود مجتمع يعتمد العقائد والأخلاق والقيم الفاضلة، منهج عقلي ناضج يتم به تدبير أمور الحكم والسياسة وتلبية الاحتياجات الأساسية للأمة، اعتماد مبادئ العدل والمساواة والحرية ونبذ التفرقة والمحسوبية والمنسوبية، احترام حقوق الإنسان وحفظ كرامته وضمان أمنه والعيش الكريم، محاربة الظلم والظالمين واجتثاث الفساد والفاسدين، أن يتيح الحكام لشعوبهم الحرية الكاملة

---

**(١) هود: من الآية ١١٦.**

**(٢) ينظر: د. حسين بن صالح آل حميد، سنن الله في الأمم من خلال آيات القرآن الكريم:٢٨٨.**

لان تقول كلمتها وتبدي رأيها في مجمل القضايا التي تهم الوطن والأمة، والقضاء على أزمة الثقة بين الحكام وشعوبهم التي نشأت بسبب فقدان لغة التواصل والحوار بينهما [١].

وقد عرض القرآن الكريم أخبار كثير من هذه الأمم، وبين أنّها ذات قوة وسلطان وتمكين في الأرض, أي أنّها مستجمعه لأسباب الاستخلاف والتمكين المادية، ومع ذلك دمر الله عليها فما الذي كان ينقصها من مؤهلات البقاء والاستمرار؟

وبعبارة أخرى: ماذا عليها أن تواجه من التحديات (الابتلاءات) من أجل البقاء والاستمرار؟ إنّ القرآن يقرر – بواقعية وشمولية . إنَّ هذه المؤهلات المادية هي (إصلاح) محسوب حسابه، وله قيمته بين عوامل البقاء والتمكين، ولكن ليس هو الإصلاح الأهم والأجدر بالتقديم. إنّه من باب إصلاح الوسيلة، وبقي (الإصلاح) الأول والأهم، هو إصلاح الغاية! الغاية من الوجود ومن الاستخلاف والتمكين في الأرض، ومن كل هذه الإصلاحات المادية، ولهذا أمرهم القرآن بإصلاح هذه الغاية، وإحلالها مكانها اللائق بها بين عوامل الاستخلاف والبقاء، وبواقعية وشمولية لا مزيد عليها، يذكر القرآن الإصلاحات المادية الموجودة عند الأمم، ثم يذكر ما هي بحاجة إلى إيجاده، ويبين مكانه الصحيح بالنسبة لما هو موجود بين يديها فكيف عرض القرآن لهذا العامل، بل هذا السبب الأساس؟ لقد عرضه من خلال نماذج تكاد تستوعب التاريخ كله، ومزج شروط وأسباب الاستخلاف والتمكين في الأرض بعوامل البقاء والاستمرار، الذي هو ثمرة التمكين والاستخلاف، وشفع ذلك بنماذج عملية وشواهد من الواقع عبر التاريخ بواقعية وشمولية متميزة، وذلك أقوى في الحجة، وأدعى للتأسي. "وهي سمة من سمات منهج القرآن في عرض السنن[٢].

أمّا إصلاح ذات البين فإنّ الأمم لا تنهض إلاّ بتعاون أبنائها وأنّ التعاون يبعد الإنسان عن الانفرادية والأنانية، وبعد التعاون من ظواهر الروح الجماعية التي غذاها ونماها وأصلها الإسلام في قلوب المسلمين، فقد أمر الله تعالى في كتابه بالتعاون بين المسلمين إلّا أنّ الله عز وجل قيده بأن يكون تعاوناً على البر والتقوى، لا تعاوناً على الإثم والعدوان، قال تعالى: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[٣]، وللتعاون

---

**(١) ينظر: وصال العزاوي، من أين يبدأ الإصلاح؟**

**https://www.google.com/search?q**

**(٢) ينظر: د. حسين بن صالح آل حميد، سنن الله في الأمم من خلال آيات القرآن الكريم: ٢٨٩.**

**(٣) المائدة:٢.**

مظاهر كثيرة جدا، منها التعاون في الفكر والتعاون في الأعمال والتعاون النفسي والوجداني في الأفراح والأحزان والى غير ذلك من أمور كثيرة[١].

كذلك أمر الله تعالى المؤمنين بأن يصلحوا ذات بينهم ويطيعوا الله ورسوله إن كانوا مؤمنين حقاً، قال تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ [٢]، وقد اختلف المفسرون في معنى الآية وموقعها اختلافاً شديداً من جهات : من جهة معنى قوله: (يسألونك عن الأنفال)، وقد نسب إلى أهل البيت ( عليهم السلام ) وبعض آخر كعبد الله بن مسعود وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن مصرف أنّهم قرأوا : ويسألونك عن الأنفال، فقيل : عن زائدة في القراءة المشهورة، وقيل : بل مقدرة في القراءة الشاذة، وقيل : إنّ المراد بالأنفال غنائم الحرب، وقيل : غنائم غزوة بدر خاصة يجعل اللام في الأنفال للعهد، وقيل: الفيء الذي لله والرسول والإمام، وقيل: إنّ الآية منسوخة بآية الخمس، وقيل : بل محكمة، وقد طالت المشاجرة بينهم كما يعلم بالرجوع إلى مطولات التفاسير كتفسيري الرازي والآلوسي وغيرهما والذي ينبغي أن يقال بالاستمداد من السياق : إنّ الآية بسياقها تدل على أنّه كان بين هؤلاء المشار إليهم بقوله :(يسألونك)، تخاصم خاصم به بعضهم بعضا بأخذ كل جانبا من القول لا يرضى به خصمه، والتفريع الذي في قوله : ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ**﴾ يدل على أنّ الخصومة كانت في أمر الأنفال، ولازم ذلك أن يكون السؤال الواقع منهم المحكي في صدر الآية إنّما وقع لقطع الخصومة، كأنّهم تخاصموا في أمر الأنفال ثم راجعوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يسألونه عن حكمها لتنقطع بما يجيبه الخصومة وترتفع عما بينهم[٣].

فمن صفات المؤمنين المتقين أنّهم يصلحون ذات بينهم فإذا نشأ بينهم وبين إخوانهم خصام على أمر من أمور الدنيا أسرعوا في إصلاحه بأنفسهم[٤]، وقد أوجب الله على المؤمنين أن يصلحوا بين الذين يختصمون منهم فقال تعالى مخاطباً إياهم ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ**

---

**(١) ينظر: الميداني ، عبد الرحمن حسن، الأخلاق الإسلامية:٢٠٣.**

**(٢) الأنفال: ١.**

**(٣) ينظر: الميداني، مصدر سابق:٢٣٠.**

**(٤) ينظر:المصدر نفسه.**

**وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾** [١]، ومن خلال التعاون وإصلاح ذات البين يرأب الصدع ويزال الخلاف وتتراضى القلوب فتقوى الأمة وتنهض من جديد.

**المطلب الثاني: العدل**

يُعدُّ العدل من المقومات الأخلاقية المؤدية لبناء الحضارات، فقد أمر الدين الإسلامي بالعدل، وجعله غاية الحكم الإسلامي وهدفه، والعدل هو: إعطاء كل ذي حق حقه كاملا غير منقوص. وهذا العدل مسؤوولية الحاكم، وواجب من الواجبات المفروضة عليه، والأمة لها الحق في أن تحاسب الحاكم إذا ظلم أحدا، ويشمل العدل كل الحقوق المتعلقة بالأرواح والأعراض والحريات والأموال، للمسلم وغير المسلم، وبالعدل تتم المساواة، ويتفاضل الناس بحسب قدراتهم وجهدهم، وإنّ الإسلام سبق كل الذين دعوا إلى العدل، وأرسى دعائمه[٢]، وقد طبق العدل أروع تطبيق في حياة المسلمين، قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً**﴾[٣]، عن أبي إسحاق الثعلبي قال: قال علي(عليه السلام):" حق على الإمام أن يحكم بما أنزل الله ويؤدي الأمانة، فإذا فعل ذلك حق على الرعية أن يسمعوا له ويطيعوا ويجيبوا إذا دعوا "[٤].

وللعدل صور في القرآن الكريم هي:

١. العدل مع المخالف كما في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾[٥].

٢. العدل مع الزوجة كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾[٦].

---

**(١) الحجرات: ١٠.**

**(٢) ينظر: د. مجيد خدوري، مفهوم العدل في الإسلام:٨٩.**

**(٣) النساء: ٥٨.**

**(٤)ابن أبي شيبة الكوفي ،المصنف:٥٦١٧.**

**(٥) المائدة: ٨.**

**(٦) النساء: ١٢٩.**

٣. العدل في التجارة كما في قوله تعالى: ﴿**وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ**﴾(١).

٤. العدل مع الحاكم كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾(٢).

وممَّا وصلنا من تراث المصريّين القدماء من توظيف العدل في بناء الحضارة، إذ كان من مهمَّات الفرعون في مصر إشاعة العدل، ويتجلَّى هذا بوضوح في الخطبة الفصيحة التي ألقاها الفلاح المصري في حضرة الملك بصيغةٍ ناصحةٍ تقترب من الآمرة، والتي بقيت من ذلك التراث القديم؛ إذ يقول فيها: "يا مولاي... أَجْرِ عدلَ مُلْكِ العدل، وأسلك عدالة العدل"... واعمل بحسب القول المأثور الذي خرج من فم رع نفسه... قُلِ الحقَّ، وأْتِ العدل؛ "فالعدل قوَّة"، "والحق شيءٌ عظيم"، فكلاهما راسخٌ رسوخ الجبال الشوامخ"(٣).

في أقدم الشرائع التي وصلتنا –شريعة حمورابي– قام العقاب في أوَّل الأمر على مبدأ قانون القصاص, فإذا كسر إنسانٌ لرجلٍ شريفٍ سنًّا، أو فقأ له عينًا، أو هشم له طرفًا من أطرافه، حلَّ به الأذى نفسه الذي سَبَّبه لغيره، وإذا انهار بيتٌ وقُتل مَنِ اشتراه حُكم بالموت على مهندسه أو بانيه، وإذا تسبَّبَ عن سقوطه موت ابن الشاري، حُكم بالموت على ابن البائع أو الباني, وإذا ضَرَب إنسانٌ بنتًا وماتت لم يُحْكَمْ بالموت على الضارب ,بل حُكِم به على ابنته، ثُمَّ استبدل بهذه العقوبات النوعيَّة شيئاً فشيئا غرامات ماليَّة، وبدأ ذلك بأن أُجيز دفع فديةٍ مالية بدل العقوبة البدنيَّة(٤).

أما الدين الإسلامي فقد حرص كل الحرص على العدل بين الناس في القيمة البشرية، وعدها من الأمور الأساسية والمقومات الأخلاقية التي تساعد على بناء الحضارات، ففي الإسلام الناس سواسية كأسنان المشط، في أصل نشأتهم وتكوينهم، ولا فرق في ذلك بين الذكر والأنثى، ولابين العربي والأعجمي، ولا بين الأبيض والأسود، ولا بين السيد والعبد، ولا بين الغني والفقير؛ لأنّ هؤلاء جميعا ينحدرون من أصل واحد هو آدم، وآدم من تراب' إذ إنّ الإسلام هو النظام الوحيد الذي لا يستثني أحدا، مهما كان شأنه، من المثول أمام القضاء حتى لو كان الخليفة، سواء أحوكم

---

**(١) الأنعام: ١٥٢.**

**(٢) المائدة: ٤٢.**

**(٣) ينظر: أندريه إيمار، وجانين أوبواي ، تاريخ الحضارات العام:٥٣.**

**(٤) ول ديو رانت ، قصة الحضارة :٢٠٧١١.**

بشخصه أم بصفته، كذلك فإنّه ليس هناك أمر ممتنع على القضاء، وفي هذا ضمان أكيد لتقويم الحضارة الإسلامية[١].

وإنّما التفاضل بين الناس بالتقوى، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : "أيها الناس، إنَّ ربكم واحد، وَإِنَّ أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب،أن أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربي فضل على أعجمي إلا بالتقوى "[٢].

ولننظر إلى تعامله (صلى الله عليه وآله وسلم )مع مبدأ المساواة, لندرك عظمته (صلى الله عليه وآله وسلم) فعن أبي أُمامة أنّهُ قال :عير أبو ذرٍّ بلالاً بأمه، فقال يابنَ السوداء .وأنَّ بلالاً أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فأخبره فغضب، فجاء أبو ذرٍّ ولم يشعر، فأَعرض عنه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال :ما أعرضكَ عنّي إلاَّ شيءٌ بلغكَ يا رسول الله قال: «أنت الذي تعير بلالاً بأمه» ؟ وقال النبي (صلى الله عليه واله وسلم): " والذي أنزل الكتاب على محمد أو ماشاء الله أن يحلف ما لأحد عليّ من فضل إلاّ بعمل ,إن أنتم إلاّ كطفّ الصاع"[٣]» [٤].

وقد دلّ القرآن الكريم على ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَه**﴾[٥].

حيث يتم توظيف العدل لبناء الحضارة من خلال تطبيق القانون على الجميع واعتبارهم سواسية ولافرق بينهم في الذنب، لضمان الحقوق والامن في المجتمع.

---

**(١) ينظر: ول ديورانت، قصة الحضارة : ٢٠٩ .**

**(٢) محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار:١٣١\٣٥**

**(٣) طَفُّ الصاعِ: أَي كلكم قريبٌ بعضُكم من بعض؛ فليس لأَحد فضْلٌ على أَحد إِلّا بالتقوى؛ لأَنَّ طَفَّ الصاع قريب من ملئه.**

**(٤) البيهقي، شعب الإيمان:١١\١٢٨.**

**(٥) التوبة: ٧١.**

**المطلب الثالث: الصبر**

قال تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ**﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ**﴾ (٢)، وقوله: ﴿**وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا**﴾(٣)، وقوله: ﴿**وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا**﴾(٤)، وقوله: ﴿**أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا**﴾. إذ تحدث القرآن عن فضائل الصبر كثيرا منها ما يلي:

١- علق الله الفلاح به في قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾(٥)

٢- الإخبار عن مضاعفة أجر الصابرين على غيره: ﴿**أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾ (٦) وقال: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ (٧).

٣- تعليق الإمامة في الدين به وباليقين: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾(٨).

٤- ظفرهم بمعية الله لهم: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾(٩).

٥- إنّه جمع لهم ثلاثة أمور لم تجمع لغيرهم: ﴿**أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾(١٠).

---

**(١) الكهف: ٢٨.**
**(٢) الرعد: ٢٢.**
**(٣) الطور: ٤٨.**
**(٤) الإنسان: ١٢.**
**(٥) آل عمران: ٢٠٠.**
**(٦) القصص: ٥٤.**
**(٧) الزمر: ١٠.**
**(٨) السجدة: ٢٤.**
**(٩) البقرة: ١٥٣.**
**(١٠) البقرة: ١٥٧.**

٦- إنّه جعل الصبر عوناً وعدة، وأمر بالاستعانة به: ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ**﴾(١).

٧- إنّه علق النصر بالصبر والتقوى فقال: ﴿**بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ**﴾(٢).

٨- إنّه تعالى جعل الصبر والتقوى جنة عظيمة من كيد العدو ومكره فما استجن العبد بأعظم منهما: ﴿**إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**﴾(٣).

٩- أن الملائكة تسلم في الجنة على المؤمنين بصبرهم: ﴿**الْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ**﴾(٤).

١٠- إنّه سبحانه رتب المغفرة والأجر الكبير على الصبر والعمل الصالح فقال: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ**﴾(٥).

١١- إنّه سبحانه جعل الصبر على المصائب من عزم الأمور: أي ممّا يعزم من الأمور التي إنّما يعزم على أجلها وأشرفها: ﴿**وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾(٦).

١٢- إنّه سبحانه جعل محبته للصابرين: ﴿**وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾ (٧)

١٣- إنّه تعالى قال عن خصال الخير: إنه لا يلقاها إلا الصابرون: ﴿**وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾(٨).

١٤- إنّه سبحانه أخبر أنما ينتفع بآياته ويتعظ بها الصبار الشكور: ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**﴾ (٩).

---

**(١) البقرة: ٤٥.**

**(٢) آل عمران: ١٢٥.**

**(٣) آل عمران: ١٢٠.**

**(٤) الرعد: ٢٣.**

**(٥) هود: ١١.**

**(٦) الشورى: ٤٣.**

**(٧) آل عمران: ١٤٦.**

**(٨) فصلت: ٣٥.**

**(٩) لقمان: ٣١.**

١٥- إنّه سبحانه أثنى على عبده أيوب أجل الثناء وأجمله لصبره فقال: ﴿**انَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾[١]، فمن لم يصبر فبئس العبد هو.

١٦- إنّه حكم بالخسران التام على كل من لم يؤمن ويعمل الصالحات ولم يكن من أهل الحق والصبر: ﴿**وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾[٢]

قال الإمام الشافعي: "لو فكر الناس كلهم في هذه الآية لَوسَعَتهمُ، وذلك أنّ العبد كماله في تكميل قُوّتَيه: قوة العلم، وقوة العمل، وهما: الإيمان والعمل الصالح وكما هو محتاج لتكميل نفسه فهو محتاج لتكميل غيره، وهو التواصي بالحق، وقاعدة ذلك وساقه إنّما يقوم بالصبر".[٣]

١٧- إنّه سبحانه خص أهل الميمنة بأنّهم أهل الصبر والمرحمة الذين قامت بهم هاتان الخصلتان ووصوا بهما غيرهم فقال تعالى: ﴿**ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ**﴾[٤]

١٨- إيجاب الجزاء لهم بأحسن أعمالهم: ﴿ **مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[٥].

لذلك ومن أجل النهوض بالحضارة لابد من توظيف روح الأخوة وتعميق المحبة بين المسلمين، تلك المحبة المرتبطة بالإيمان والصبر والعقيدة كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[٦]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾[٧]، فعلى المؤمنين أن يكونوا يداً واحدة وقلباً واحداً وان يزيلوا أسباب الفرقة والاختلاف فيما بينهم من خلال حب الخير للآخرين قال(صلى الله عليه وآله وسلم): "من دل على خير فله مثل أجر فاعله" فتبادل المحبة بين المسلمين قاعدة من قواعد الأيمان أو أثر من آثاره القلبية، كما أنها أساس عام

---

**(١) ص: ٤٤.**

**(٢) العصر: (١-٣)**

**(٣) تفسير الإمام الشافعي:١٤٦١١٣.**

**(٤) البلد: ١٧.**

**(٥) النحل: ٩٦.**

**(٦) البخاري، صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب أن يحب لأخيه مايحب لنفسه،١٤١١ ، رقم الحديث(١٣ ).**

**(٧) الحجرات: ١٠.**

من أسس مكارم الأخلاق الاجتماعية، وإنّ شعور الإنسان بمحبته للناس اتجاه كريم نحو الارتباط بالجماعة والاندماج فيها ومشاركتها في السراء والضراء فالمحبة هي الوجه السمح الجميل المشرق للقلوب والنفوس[١].

قال تعالى عزوجل: ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ**﴾[٢]، أي عليك أن تعامل من يلجأ اليك من المشركين برفق ولطف، وامنحه المجال للتفكير حتى يبين له محتوى دعوتك في كمال الإرادة والحرية، فإذا أشرقت أنوار الهداية في قلوبهم فسيؤمنون بدعوتك، ثم تضيف الآية قائلة: «ثم أبلغه مأمنه، وأوصله إلى مكان آمن حتى لا يعترضه أحد في طريقه. وأخيراً فإن الآية تبين علة هذا الحكم، فتقول: «ذلك بأنهم قوم لا يعلمون». فبناء على ذلك لو فتحت أبواب أكتساب المعرفة بوجوهم، فإنّه يؤمل فيهم خروجهم من الوثنية التي هي وليدة الجهل وإلتحاقهم بركب التوحيد الذي هو وليد العلم والمعرفة، وقد ورد في كتب السنة والشيعة أنّ أحد المشركين (عبدة الأصنام) سأل عليا(عليه السلام) بعد إلغاء المعاهدة فقال: يابن أبي طالب، لو أراد أحد أن يواجه النبي بعد هذه المدة «الأشهر الأربعة» ويسأله أو يسمع كلام الله منه، أهو آمن؟ فقال علي: أجل، إن الله يقول: (وإن أحد من المشركين استجارك فاجره)[٣].

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): **"**على كل مسلم صدقة**"**، فقالوا: **"**يا نبي الله، فمن لم يجد؟ قال: يعمل بيده، فينفع نفسه ويتصدق، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: يعين ذا الحاجة الملهوف، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: فليعمل بالمعروف، وليمسك عن الشر، فإنها له صدقة**"**[٤].

وقبل أن يأمر الإسلام المسلمين بالتكافل والمصابرة، وضع لهم الأساس الفكريَّ لقيمة التكافل، فعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله( صلى الله عليه وآله وسلم) : **"**مثل المؤمنين في توادهم

---

**(١) الريشهري ، ميزان الحكمة ،٨٤٨١١ ،رقم الحديث (١٥).**

**(٢) التوبة: ٦.**

**(٣) ينظر: ناصر مكارم الشيرازي، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٥٣٦-٥٣٧.**

**(٤) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الكسوف ، باب بيان أن أسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، ٦٩٩١٢، رقم الحديث(١٠٠٨).**

وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى من عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمىِ "
وهذا في الواقع أدقُّ مَثَلٍ في تصوير ما يجب من أحوال المسلمين بعضهم مع بعض(١).

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم )هو القدوة والمثَلَ في كلِّ أمر، وفي الصبر، ونجدة المكروبين، فعَنْ أنس بن مالك ;قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم )أَحْسَنَ الناس، وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس قِبَلَ الصوت فتلقاهم رسول اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) راجعاً وقد سبقهم إلى الصوت وهُوَ عَلَى فرس لابي طلحة عري في عنقه السيف ،وهو يقول "لم تراعوا لم تراعوا"(٢).

وتعد الوحدة العربية وتكاتفها وصبرها على المحن من المقومات الأخلاقية الأساسية التي ارتكزت عليها الأمة منذ البدء، ذلك أنّ القرآن ما فتئ يحث على الوحدة ونبذ الفرقة في العديد من آياته الكريمة، قال تعالى ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿**وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**﴾(٤)، وقال تعالى أيضا: ﴿**أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ** ﴾ (٥). وأكد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على الوحدة والتعاون والصبر بين المسلمين قال(صلى الله عليه وآله وسلم): "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً"(٦)، وقد أكد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على وحدة الجماعة قال (صلى الله عليه وآله وسلم) " من رأى من أميره شيئاً فكرهه فليصبر عليه فانه ليس أحد يفارق الجماعة شبرا فيموت إلّا مات ميتة جاهلية" (٧). لقد عمل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) منذ دخوله المدينة المنورة على تثبيت أركان الوحدة الإسلامية على أسس راسخة، إذ تعد الوحدة أساس نهضة الأمة وسبيلها للارتقاء، فلابد من تطوير وعي أبنائها من خلال أحداث ثورة فكرية تعيد أمجاد العرب والإسلام، لأن الأمم لا تنهض إلاّ بالأفكار المبنية على روح الأمة

---

**(١) البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ١٠١٨ ، رقم الحديث(٥٦٦٥).**

**(٢)الحاكم النيسابوري ،المستدرك ،٣٦١١٤.**

**(٣) آل عمران: ١٠٣، تفسير ابن كثير:٢/٥٣.**

**(٤) الأنفال: ٤٦، تفسير ابن كثير:٤/٤٥.**

**(٥) الشورى: ١٣، تفسير ابن كثير:٧/١٣٤.**

**(٦) البخاري ، صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب إخاء النبي بين المهاجرين والأنصار،٣١١٥ ، رقم الحديث(٣٧٨٠).**

**(٧)الريشهري ،ميزان الحكمة ،١٢٦١١.**

وعظمتها، فبنهوض الأفكار وتطوير الوعي تنهض كل مظاهر حياة الأمة الاقتصادية والعلمية والثقافية والأخلاقية والتشريعية، والعمل على تعزيز قوة الإرادة في عقول المسلمين وزيادة الثقة في نفوسهم من خلال وضع القدوات الصالحة أمام أعين المسلمين وعلى رأس القدوات الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، كقوله تعالى: ﴿**ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾[١]،وقوله تعالى: ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ**﴾[٢].

ولأن اشد ما تتعرض له الأمة من خطر ويجعلها فريسة للعابثين هو فقدان الوعي فلابد من التركيز على تطوير وعي الأمة من اجل تحقيق نهضتها [٣].

ويمكن توظيف الصبر في بناء الحضارة من خلال بناء مجتمعٍ قويٍّ متكاتف قادرٍ على مواجهة التحدِّيات والأزمات المختلفة، مجتمع حضاري راقٍ، يرحم القويُّ فيه الضعيفَ، ويعطف الغنيُّ على الفقير، ويُعطي القادرُ ذا الحاجة، كما يحرص على بناءِ مجتمعٍ أخلاقيٍّ متقاربٍ ومتحابٍّ ومتعاونٍ على الخير وفعل المعروف.

نستنتج ممّا تقدم إنّ الحضارة الاسلامية تُبنى على مقومات أخلاقية تتكون من مبادئ وتعاليم ترتبط بمبادئ وتعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة هو سبب بقائها وستبقى لقيام الساعة، فما أعظمها من تعاليم و ما أعظمه من دين.

**المبحث الثاني: أثر الرذائل في سقوط الحضارة**

إنّ أثر الرذائل في سقوط الحضارة ركز عليه القرآن الكريم عندما تحدَّث عن سقوط الحضارات، اذ يركز على الأسباب الداخليَّة، ويعدها العاملَ الجوهريَّ في الانحطاط، والمقصود بالسقوط الحضاري ذاك الانهيار الداخليُّ للمجتمعات، وانحطاط عزتِها، وهوانُها على الأمم الأخرى، وذلك عندما تذوب وتضعُفُ معنويًّا وروحيًّا، والثابت في تاريخ الإنسانية أنّ الأمم والإمبراطوريات

**(١) الانفال: ٥٣.**

**(٢) النحل: ١١٢.**

**(٣) ينظر: الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين:٢٦٢.**

والحضارات الغابرة التي جاء ذكرُها في القرآن الكريم لم ينقرضْ نجمُها، ويندثِرْ كيانُها البشريُّ كليَّةً، وإنّما ضعُفَت واستكانت، وغاب تأثيرُها المباشر في الحياة، وأوضحُ مثالٍ على ذلك حضارةُ العرب الهالكة كعاد وثمود، الذين بلغوا شأنًا حضاريًّا عظيمًا، حكى القرآن الكريم بعضَه للاتعاظ والاعتبار، والثابت أنّ هؤلاء العرب وغيرَهم من الأمم البائدة لم يُستأصلُوا استئصالاً كليًّا، وإنّما أهلك اللهُ الظالمين والكافرين منهم، وترك رسُلَهم والذين آمنوا منهم؛ ليستمروا في عمارة الحياة، ويمكن القولُ: إنّ سقوط الحضارة راجعٌ بالأساس إلى فساد أركانِها كلِّها أو أحدِها فكرًا أو سلوكًا، وذلك من خلال بعض الرذائل التي لها دور في هذا السقوط ، اذ سوف يقف البحث عند بعضها[١].

**المطلب الأول: الظلم**

**"**الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه وهو الميل عن القصد**"**[٢]. والظلم أنواع فقد يكون بمعنى الشرك كقوله تعالى: ﴿**انَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾[٣] .

وكقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾[٤].

ولقد كان الظلم أول ما حذر الله منه آدم وزوجه، قال تعالى: ﴿**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فتكونا من الظالمين**﴾[٥].

ومن هنا تُقرَّر سنة الله أن لا سعادة إلاّ في اتباع هدى الحق والشفاء في تركه، وغدا الظلم سنة من سنن الله في إهلاك الاجيال ، وتقرر سببا في سقوط الحضارات وإبادة المدنيات وإزالة

**(١) ابن خلدون , المقدمة : ١٣.**
**(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن :٣ /١٣٤٤.**
**(٣) لقمان : ١٣.**
**(٤) الأنعام: ٨٢.**
**(٥) البقرة: ٣٥.**

الدول والحكومات فقال الله: ﴿**وَما كانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرى بِظُلْمٍ وَأَهْلُها مُصْلِحُونَ وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً واحِدَةً وَلا يَزالُونَ مُخْتَلِفِينَ**﴾(١).

لقد جاء الحديث في هذه الآيات تكملة في التعقيب على مصارع القرى الثاوية والقرى الغابرة يشير من طرف خفي إلى أنّه لو كان في هذه القرون أي الأجيال أولوا بقية يحافظون على دعوة الأنبياء فينهون عن الفساد في الأرض ويصدون العالمين عن الظلم في حق الله والعباد وأنفسهم، ما أخذت تلك القرى بعذاب الاستعمال الذي حل بأمم كثيرة كعاد وثمود وسبأ، ومن سنن الله وعدله ألاّ يأخذ القرى بظلم إن كان أهلها مصلحين، أي كانوا على الاستقامة، ولما كانت القلة المستضعفة على الصلاح والعدل، فأنجاها الله، وأهلك الكثرة الظالمة المترفة، وهذه الآية واحدة من جملة الآيات التي تكشف عن سنة من سنن الله في الأمم والحضارات والتي حل بها عذاب الله فأهلكها هلاك استئصال لو حدث انحلال واختلال(٢).

قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ مِن أَنْباءِ القُرى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنها قائِمٌ وحَصِيد وما ظَلَمْناهم ولَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهم فَما أَغْنَتْ عَنْهم آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَمّا جاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وما زادُوهم غَيْرَ تَتْبِيبٍ وكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إذا أَخَذَ القُرى وهي ظالِمَةٌ إنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾(٣).

ذلك إشارة إلى ما قص من أنباء الأمم الهالكة، وهذه الآيات عائمة وإشارة إلى قرى بائده وحضارات كثيرة ما زالت أنباؤها باقية، وكثير من آثارها معروضة مشاهدة تزحم النفس والخيال فمنهم الغارقون بالطوفان، ومنهم بالعاصفة المدمرة، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من خسفت به وبداره الأرض ، ومنهم من يقدم قومه يوم القيامة، فيرد النار وما كان للناس من علم بهذه الحضارات وأنبأهم القرآن الذي يستهدف بذلك تربية الأمم والشعوب، ومعرفة سنن الله في الحضارات، فما زال منها قائم ترى آثاره وتشهد على ما بلغ أهلها من القوة كبقايا عاد في الأحقاف، وثمود في الحَجر، ومنها حصيد أي كالزرع المحصود "وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم" وظلم النفس هو تعطيل وسائل الإدراك والتدبر فيها، وهي الحواس، وذلك بالتولي عن الحق والتكذيب : به والاستهزاء بالوعيد وعدم استعمال العقل الاستعمال الصحيح وعند ذلك حَلّ بهم ما كان به

---

**(١) هود: (١١٧-١١٨).**

**(٢) ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن:١٢٤٣.**

**(٣)هود: (١٠٠-١٠٢)**

يستهزئون "فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب، وها هي العاقبة تصدق النذر والآلهة التي تشبثوا بها وعبدوها من دون الله، فلم تزدهم إلا خسارة ودمارا "وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة" وبهذا الظلم يأخذ ربك القرى والظلم هنا بمعنى الشرك : أي يكون الأخذ وله طرق شتى حيث تكون الأمة مشركة تدين لغير الله بالطاعة والامتثال ويكون الأخذ بعد الإمهال والابتلاء والاستدراج والنذر وإقامة البراهين والأدلة وإجراء السنن الخارقة، وبهذا تقاد حضارات الأمم الظالمة إلى مصيرها الكالح الذي قدره الله وفق سنة حكيمة عادلة لا تتخلف على مدار الزمان وذلك الأخذ الأليم في الدنيا علامة على العذاب الشديد في الآخرة، "إنّ في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة[١].

إنّ في ذلك لآية "أي فيما قص في هذه السورة أو في أخذ الظالمين "لآية" لعبرة يعتبر بها عن موجبات الهلاك[٢].

وكثيرة تلك القرى التي أهلكها الظلم فها هي عروشها ,أي سقوفها ساقطة وآبارها معطلة، فكانت منظرا موحشا كئيباً مؤثرا في المارين داعيا إلى التأمل في الصور الخالية والمنجزات الذاهبة، قال تعالى: ﴿**فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ [٣].

أي فكم من أهالي قرية أهلكناهم بسبب الظلم وهو الشرك والكفر، وهذه بقاياهم وآثارهم على الأرض تدل على ما وصلوا إليه من تقدم وعمران ، أفلم يرى غيرهم من مشركي مكة في تجارتهم ليكون لهم ما شاهدوه اعتبار وتدبر ﴿فإنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾، أي ليس الخلل في حواسهم وجوارحهم، ولكنها في مشاعرهم وعقولهم باتباع الهوى والغفلة[٤].

ولقد ظلت أخبار مصارع الغابرين وعواقب الظالمين على مر العصور وكر الدهور شاخصة قائمة في أذهان أولى الألباب تتحدث بالعبر وتنطق بالعظات وهي أبلغ من دموع الباكين، ولكن أين العقول المدبرة والقلوب المتعضة، وسنة الله سائرة لا تتبدل ولا تتحول وما زال الظالمون في كل

---

**(١) ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، مصدر سابق: ١٩٣٧.**

**(٢) ينظر: تفسير القاسمي ، محاسن التأويل هود : ١٠٣.**

**(٣) الحج: ( ٤٥-٤٦).**

**(٤) ينظر: تفسير القاسمي، محاسن التأويل : الحج الآيتان( ٤٣ – ٤٤).**

زمان يطلبون العذاب والهلاك بلسان القول أو الحال، وقال الإمام الزمخشري: "إنّ هذه القرية هي بلد بمدين أُمِّرَ عليها صالح (عليه السلام )أحد المؤمنين به فقتلوه، فأهلكهم الله وعَطّلَ بئرهم وخرب قصورهم ﴿فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة﴾أي كم من قرية كانوا مثلكم ظالمين وقد أنذرتهم حينا ثم أخذتهم بالعذاب الشديد".(١)

وفي اليمن قامت حضارة عربية ذات مجد باذخ وعز تليد ولكن بلدها الظلم وأهلكها الأعراض، وفي حديثنا عن هذه الحضارات لا تخرج عن شواهد القرآن الكريم حيث قال تعالى:﴿ **لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ**﴾(٢). وقوله تعالى: ﴿**فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**﴾(٣).

وإنّ التعبير البشري ليعجز عن تبسيط هذه الأوجه البلاغية القرآنية المعجزة التي تنطوي عليها هذه الآيات التي استوعب مناظر تلك الحضارات وذكر علل بوارها ودمارها، وحوت أطوارا تاريخية مرت بها أمم وشعوب هذه المنطقة من الجزيرة العربية، حتى إذا عرف الباحث مصير هذه الحضارة هاله وأدهشه من وصفها واجهه قوله تعالى: ﴿**فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ**﴾ ، وأدركهم الغرق والهلاك بسبب الإعراض والظلم والكفر بالنعم، والآيات صريحة أنّ مدينة سبأ كانت حاضرة زاهرة مستكملة الأدوات، وأنّ مدنها زاخرة بالأشجار، عامرة بالبساتين عن اليمين والشمال، وكان أهلها مهرة في العمارة والنحت يدلنا على ذلك ما خلّفوه من سدود وقصور وحصون ومدائن ومعابد والحياض لخزن المياه، وعرفوا التجارة والزراعة فزرعوا السهول المنبسطة وسفوح الجبال وعنوا بمسائل الري عناية خاصة، وكانت سبأ كلها أعجوبة من أعاجيب الزمان التي لم يجد بها الدهر إلاّ قليلاً، ويشهد التاريخ أنّ شعوب الحضارات اليمنية القديمة كانت من أسبق الأمم إلى بناء السدود وحصر المياه والانتفاع بها في المسقى، ومن البداهة أنّ إقامة هذه المنجزات الحضارية لا تكون إلّا بفكر راق ولا تنتج إلّا بمعرفة علوم هندسية وعلوم عمران ومعارف غزيرة بشئون

---

**(١) سيد قطب، في ظلال القرآن: ٣٤**

**(٢) سبأ:( ١٥-١٦).**

**(٣) سبأ: ١٩.**

الحياة، وما قام السنيون سد مارب – وهو حائط ضخم به منافذ يتسرب منها الماء إلى الجنتين عن يمين وشمال حتى بلغوا في معرفة علوم العمران مبلغاً عظيماً تجاوزا فيه غيرهم[١].

والظاهر أنّ هذه العلوم والمعارف استعملها أهل سبا في غير الحق، بل فيما فيه مسخط الله في كثير من مجالات الحياة، فكانت أسبابا خربت ديارهم وأذهبت حضارتهم وقوتهم، وذلك في قوله تعالى : ﴿**فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ**﴾[٢] وقصة سيل العرم قصة طريقة طويلة وعريضة، دخلتها أقلام شتى وليس هنا محال الخوض في تفاصيلها، وفي قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ**﴾[٣]: يعني أنّ عمرانهم لم يكن محدوداً، وإنّما كان مفصلاً، فالمسافر لا يكاد يخرج من مدينة حتى تبدو له أعلام الأخرى وهذا هو معنى الظهور في الآية.

وفي قوله تعالى: ﴿**سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ**﴾ يرشدنا إلى سعة العمران وامتداده مسافات الليالي والأيام، وأنّ الأمن قد مد ظلاله ورواقه على هذا العمران حيث لا يتم التحضر إلّا في ظل الأمن والاستقرار، أمّا في قوله تعالى: ﴿**فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا**﴾ [٤] فالتعبير على سبيل المجاز والمعنى أنّ أعمالهم وعقيدتهم ومواقفهم هي التي طلبت جزاءهم اللازم لهم وهو من جنس ما فعلوه والمباعدة هي كناية عن محو العمران وخراب القوى المادية الظاهرة وفي هذا ما يشبه الدعاء بلسان الحال لا بلسان القول، وبعد العمران المتلاحم الذي يرتاح فيه المسافر ويأنس في نعيمه السائح، حل بالقوم الخراب الموحش والدمار المخيف الذي صنعه الظلم والإعراض، وهكذا بدل القوم النعم والخيرات بالنقم والمضرات وذلك جزاء الظالمين وعاقبة المعرضين سنة قائمة لا تتبدل ولا تتحول، ولقد فات هؤلاء كغيرهم من ذوي الحضارات الهالكة أن يحصنوا هذه المدنيات الزاخرة والحضارات الزاهية بالإيمان وحبل الاعتصام بالله. ويزينوها بالفضيلة ويزرع فيها روح الاستقامة والعدل للاستمرارية ومن سنة الله أنّ كل حضارة أو مدنية لا تحصن بهذه العوامل والقيم الكريمة، فمصيرها الدمار والخراب العاجل وعاقبة أهلها العذاب والهلاك[٥].

---

**(١) ينظر: محمد توفيق السبع، قيم حضارية: ١/١٩٦.**

**(٢) سبأ: ١٦.**

**(٣) سبأ: ١٨.**

**(٤) سبأ ١٩.**

**(٥) ينظر: الشيخ عبد الحميد بن باديس، عالم التذكر من كلام الحكيم الخبير: ٤٣٦.**

ولقد جعل الله قرى أهلكت بسبب الظلم وهو الكفر بالنعم مثلا في التعذيب وحلول بأس الله، فقال تعالى: ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ**﴾ [١].

ومعنى ﴿ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة ﴾"أي جعل الله القرية التي هذا حالها، مثلا لكل قوم في كل زمان ومكان أنعم الله عليهم بنعمه التي لا تعد ولا تحصى كنعمة الأمن، والاطمئنان وكثرة الأموال ورغد الرزق والعيش، فكفروا وتولوا عن الحق، فأنزل الله عليهم نقمه، ويدخل في هذا المثل أو التحذير أهل مكة وهم أول المخاطبين بالقرآن ,ولأنّ قريتهم مكة كانت آمنة مطمئنة لا يزعجها خوف ولا يقلقها قلة عيش، وهذه القرية التي أذاقها الله لباس الجوع والخوف أي زرع القلق والخوف ونزع منها الأمن والاستقرار وأبدلها السيئة بالحسنة بسبب ما صنع أهلها من الاعتقاد بالباطل والعمل الفاسد، هذه القرية لم تحدد في القرآن بالاسم أو حتى بالإشارة"[٢].

وقال تعالى: ﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾ [٣]، وقوله تعالى: ﴿**وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾ [٤].

تعد العدالة أساسا مهمة لنهضة الأمة وضرورة اجتماعية مهمة في كل زمن، والبحث في العدالة يعني البحث في اعقد معضلة يجابهها الإنسان في الوقت الحاضر، فقيام الثورات والانتفاضات والحروب يرجع في أسبابه الحقيقية إلى فقدان التوازن في مستويات المعيشة بين الناس واستبداد بعضهم على بعض وانتشار الظلم فيما بينهم. والظلم عكس الاستقامة وفي الشريعة عدم الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب عمّا هو محظور، ويقصد بالظلم أيضا الميل إلى الباطل [٥]، وقد حذر الله تعالى من الظلم وأمر بالعدل بين الناس [٦] قال تعالى: ﴿**وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ**

---

**(١) النحل:( ١١٢-١١٣).**

**(٢) تفسير القاسمي، محاسن التأويل النحل: ١١٣.**

**(٣) آل عمران: ٥٧.**

**(٤) آل عمران: ١٤٠.**

**(٥) ينظر: الجرجاني ، التعريفات: ٧٨ – ٧٩.**

**(٦) ينظر: ابن كثير ، تفسير ابن كثير:٢/٢٠٦.**

**النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾** »[١]، وقال تعالى: ﴿**وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُم** ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أهلكنهم لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا**﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ**﴾[٤]، **"**فالظلم ليس سبباً من أسباب الهزيمة والسقوط فحسب، بل **"**هو سبب من أسباب هلاك الأمم وسقوط الدول وانهيار الحضارات وتغير الأحوال**"**[٥].

فبعد أن كان الفعل الحضاري يعتمد على الروح الجماعية وعلى تشارك فئات الأمة المتنوعة في القيم والمصالح، والواجبات والحقوق، وهذا ما كان يحركهم معا قوة واحدة، تبدأ القيم بالانسحاب، وتتضخم المكاسب، فتتعاظم الأنانية وتروج الأخلاق النفعية، وتجد كل ما يمدها بالقدرة على تحقيق غاياتها، فيختل التوازن لصالح من يملك القوة والسلطة، أيا كان مصدرهما.. كل هذا يحرض مظاهر من الانحراف في التكوين الاجتماعي، تتجلى في تفشي صور الظلم متنوعة تسرق فيها الجهود، وتصادر الحقوق، وتعطل المصالح، وهي مع ذلك مظاهر فردية واستثنائية، لأنّ المصلحة في تلك المرحلة تظل ممسكة بعصا التوازن الذي يفرض التكامل على جميع الأطراف، ويهودهم إلى ميثاق مشترك يذعنون إليه لتحقيق مصالحهم المتبادلة، ومع تفاقم أعراض المدنية تتكرس دواعي الظلم، ويتحول إلى ظاهرة عامة لا تتوقف عند حدود السلطة الحاكمة بل تعم مناحي الحياة كلّها، أفرادا ومؤسسات، وهنا تكمن الخطورة، لأنّه إيعاز بأنّ الأمة تموت من الداخل ليس الظلم إلّا الضعف يتستر بالجبروت ويتسلح به، وحين تدخل الحضارة طور المدنية يتسرب الكسل والتواكل، ويستشعر صاحب القوة والقدرة ضعفه، فيحاول أن يحجبه بسياج من الانتهازية وسرقة جهود الآخرين، والحد من نجاحهم خشية منافستهم، ويتفشى الظلم ويروج بالقدر الذي تتعطل فيه الدوافع وتقل الفرص[٦].

---

**(١) النساء: ٥٨.**

**(٢) الشورى: ١٥.**

**(٣) الكهف: ٥٩.**

**(٤) الفجر: (١١-١٤).**

**(٥) رشيد كهوس، سقوط الأندلس من منظور السنن الإلهية:١٤٧.**

**(٦) ينظر: د. بتول أحمد جندية، على عتبات الحضارة، (بحث في السنن عوامل التخلق والانهيار): ٨٦.**

وقد عني الإسلام عناية فائقة بتقرير قاعدة العدالة من قواعد الحكم في الإسلام بوصفها الدعامة الرئيسة في قيام الدولة العربية الإسلامية والحكم الإسلامي فلا وجود للإسلام فعلا في مجتمع يسوده الظلم ولا يعرف العدل [١]. وأمر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بإقامة العدل بين الناس، ,وقد أعد الله للذين يحكمون بالعدل بين الناس منزلة رفيعة يوم القيامة حيث يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلاّ ظله، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):" سبعة يظلهم الله في ضله يوم لا ظل إلاّ ظله " [٢]، وذكر أول هؤلاء السبعة الإمام العادل. وبعد ترك العدل ظلماً في نظر الإسلام والله سبحانه وتعالى حرم الظلم ذم أهله وتوعدهم بالعذاب الشديد يوم القيامة والهلاك في الدنيا، قال تعالى: ﴿**احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ**﴾ [٣]، وقال تعالى: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ**﴾ [٤]، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم)" يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما"[٥]

وإذن فإن الله يكره الظلم إذ يشيع في أي مجتمع من المجتمعات، وإن كان الظالمون فيها مسلمين. وذلك أن الله جل جلاله لا يرضى أن يكون إسلام المسلمين من عباده شفيعاً لهم في ارتكاب الظلم واستلاب حقوق الآخرين. وبعبارة أخرى: تعالى ربنا وتنزه عن أن يرشوه مسلم بإسلامه في مقابل أن يصفح عما قد يرتكبه من المظالم في حق الآخرين، وإذا كان من سنة الله في عباده أن يجزي المجتمعات التي يشيع فيها العدل، في دار الدنيا، ولو كان أهلها كافرين، فإن هذه السنة ذاتها تقضي أن يعاقب المجتمعات التي يشيع فيها الظلم، في دار الدنيا، ولو كان أهلها مسلمين، فلا يقولن قائل إذن: ما لربنا يكرم المجتمعات الغربية، وهي لا تقيم لدينه وزناً، ولا تتقيد من شرعه بحلال ولا حرام، يعبد أمامها مسالك التقدم ويوفر لها القوة ويحقق لها مصادر الثروة والغنى، في حين أنّه يعرض مجتمعاتنا الإسلامية للفقر والضنك ويزجها في أودية التخلف، وهي تعلن إسلامها وتعتز بانتمائها إلى تاريخها الإسلامي؟..، أجل، لا يقولن قائل هذا، فإن ما تتباهي به الدول العربية من انتمائها التقليدي إلى الإسلام، لم يحجز أكثرها من ممارسة الظلم أشكالاً وألواناً في حق شعوبها،

---

**(١) ينظر: أبو فارس ، النظام السياسي في الإسلام: ٥٦ – ٥٧.**

**(٢) الحر العاملي ، وسائل الشيعة،١٩٩١٥، رقم الحديث (٦٣٢٣).**

**(٣) الصافات: ٢٢.**

**(٤) إبراهيم: ٤٢.**

**(٥) المتقي الهندي ،كنز العمال،٩٢٤١١٥،رقم الحديث(٤٣٥٩٠).**

يدخل في ذلك الظلم الاقتصادي والاجتماعي والتفريق الطائفي والانتقاص من الحريات الشخصية.. وإن ما تعلنه الدول الغربية من تحررها من سلطان الأديان، وما يصر عليه كثير منها من علمانية الدستور والمنهج، لم يمنعها من ممارسة أقصى ما تستطيعه من العدالة في التعامل مع شعوبها، ينبئ عن ذلك ضماناتها الاجتماعية الجادة، على كل المستويات، ويدل على ذلك ما تتمتع به قوانينها من هالة القداسة التي تجعل الفئات والطبقات على تفاوتها أمام سلطانها وهيمنتها سواء(١).

إذن الظلم ما زال حقيقة واقعة في بلاد المسلمين وإنّ الشعور بالظلم يجعل الفرد لا يتحمس في الدفاع عن أمته التي لم تطعمه من جوع ولم تؤمنه من خوف إذ إنّ من آثار الفساد وغياب العدل بالحضارة دبّ الوهن والضعف شيئًا فشيئًا، ثم تتهاوى وتسقط، وهو ما حصل فعلًا لمجتمعات عربية وأجنبية وإسلامية في الفترات السابقة والقرون الماضية وخاصة الدولة الأموية والعباسية والأندلسية والعثمانية وغيرها- عندما استفحل فيها الفساد والاستبداد، والتفرقة والنزاعات الداخلية، والاستغلال السيئ للنعمة، وسلب خيرات المجتمعات الأخرى وإذلالها، والإسلام يقدم الحل الأمثل في تحقيق العدالة من خلال إقامة العدالة الاجتماعية وإزالة الفوارق بين الأفراد والطبقات من اجل النهوض بالأمة العربية، وإذا شعر الناس بإقامة العدل في مجتمعهم وسيادته في حياتهم تستقر نفوسهم وتطمئن قلوبهم وتهدأ أحوالهم ويزدهر مجتمعهم ويعمهم الخير والأمن والأمان والسلامة والسلام (٢).

**المطلب الثاني: الترف والمترفين**

قال الله في كتابه الحكيم: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا**﴾(٣)، . العباسي: عن حمران، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله تعالى: (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها) مَشَدّدة منصوبة: تفسيرها: (كثَّرنا) . وقال . لا، قرأتها مخففة، وقال: «تفسيرها أمرنا أكابرها»: في قوله تعالى ( وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها أي كثرنا جبابرتها، ثم قال: قوله: ( من كان يريد العاجلة)- يعني أموال الدنيا -عجلنا له فيها ما

**(١) ينظر: محمد سعيد رمضان البوطي، سنن الله في عباده: ٦٤.**

**(٢) ينظر: أبو فارس، النظام السياسي في الإسلام: ٥٤.**

**(٣) الأسراء: ١٦.**

نشاء لمن يريد في الدنيا ثم جعلنا له جهنم في الآخرة – يصلها مذموماً مدحورا يعني يلقى في النار[١].

قال تعالى: ﴿ **قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ**﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿**قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾[٣]، وقال: ﴿**وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ**﴾[٤]

ومن أسباب هلاك الأمم :انغماسها في الترف، ونسيانها المهمة الأساسية للمال، وعدم معرفتها: أنّ النعيم لا يدرك، بالنعيم وأنّ من طلب الراحة فاتته الراحة، قال تعالى: ﴿ **فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِين وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ**﴾ [٥].

إنّ الوفرة قد تكون علة من علل انهيار الحضارة، وأداة تخلق منافسين للفكرة الحضارية، وتعالج هنا دورها في تشويه خصائص الأمة النفسية؛ تبطل دافعيتها، وتحولها إلى أمة خاملة. يتفق معظم المشتغلين في فلسفة الحضارة على مقولة ابن خلدون بأنّ **"**من عوائق الملك حصول الترف وانغماس القبيل في النعيم**"**[٦] لأنّ هذا الانغماس يشوه الخصائص النفسية لرجل الحضارة الفعال القادر على توجيه التاريخ، وقد لاحظ ابن خلدون أنّ أظهر الفوارق بين أهل الحضر وأهل البادية أن **"**البدو هم المقتصرون على الضروري في أحوالهم العاجزون عما فوقه وأنّ الحضر المعتنون بحاجات الترف والكمال في أحوالهم وعوائدهم...**"**[٧]، والعجز غير الإرادي عن العناية بحاجات الترف بسبب من الفقد أو القلة القسريين، يلازمه قدرة صافية عالية على تفعيل الإرادة والتحكم الذاتي، وتلك هي المهارات اللازمة لتوجيه طاقات الإنسان الداخلية والخارجية نحو الهدف، والتي تحتل أو تذوي مع الانخراط في مجتمع الوفرة، بعد دراسة مستفيضة يؤكد توينبي أنّ السهولة

---

**(١) السيد هاشم الحسيني البحراني، البرهان في تفسير القرآن:١٣ ٥١٥.**

**(٢) الأعراف: ٧٦.**

**(٣) الأعراف: ٦٠.**

**(٤) القصص: ٥٨.**

**(٥) هود: ١١٦.**

**(٦) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون، المقدمة:١/١٧٥.**

**(٧) المصدر نفسه :١/١٥٢. وينظر: توينبي أرنولد، مختصر دراسة للتاريخ:١/١٤٤ – ١٤٥.**

عدو الحضارة[١]، بل إن "الحضارة تقوم على الزهد أو التعفف عن اشباع الغرائز، وإنّ وجودها مشروط باللاإشباع، بالكبت الإرادي أو اللاإرادي للمتطلبات الغريزية القوية"، هذا ما يخبرنا به فرويد[٢]، وهو الحقيقة القوية التي تثبتها أخبار التاريخ، أمّا مجتمع الوفرة فهو، على العكس، يقدم كل ما يعين على الإشباع النهم، وإطلاق الغرائز.. ويشوه معالم الفطرة فتعتاد الذات ارتخاء الإرادة، وتتخامد طاقة الاندفاع، فتختلق الأعذار، وتتواكل على المعيقات والمثبطات، وتتذرع بها إن عهد

الوفرة غاية للحضارة ومصير لها في آن واحد [٣]، وهي الذروة التي تحقق عندها آمالها، وتستنفد غاياتها، لتبدأ في شق طريقها إلى الانحدار في مرحلة المدنية تعيش الحضارة ازدهارا غير مسبوق يصل حد الوفرة والترف في كل شيء، وتجتهد الطاقات لتحقيق أسمى الطموحات، فتشبع الآمال، ويشيع الرضا.. ولكن الرضا[٤] يتحول إلى قناعة وسأم، والسام يغري بالتهالك على اللذات، والإمعان في اقتحام المحظورات، وتتكفل القناعة بتبرير التكاسل، وإيثار الراحة، وقتل الطموح، وتبديد القلق المحفز على النشاط والفاعلية.. وما بين الإفراط والتفريط تضيع الحضارة، حيث تجتهد الوفرة للتغلب على التحديات الطبيعية، وتغرق الأمة بما يزيد عن حاجاتها الضرورية، وتفتح لها أبوابا مشرعة إلى الراحة واللذة، مع قدرة عالية على السيطرة على العالم الواقعي والقوة على إدارته، وباجتماع القوة والوفرة في أمة ما زالت مشبعة بطاقة واندفاع على وشك النفاد، تحاول الأمة أن تستغل الفائض من طاقتها باختلاق تحدياتها الخاصة أو المفتعلة وتوليدها، للحفاظ على مستوى

---

**(١) ينظر: توينبي أرنولد ، مختصر دراسة للتاريخ:١/١٤٧.**

**(٢) فرويد سيجموند ، الحب والحرب والحضارة والموت:٦٣.**

**(٣) يعترض حسين مؤنس على اعتبار الترف مفسدة أو سببا من أسباب التدهور، لأنّ "الترف في ذاته ليس ضررا أو مفسدة، بل مطلب إنساني عام.."، مؤنس، حسين، الحضارة: ٥٥. ولاعتراض مؤنس وجاهته، فغاية الحضارة .كما قلنا. أن تُؤمّن الرفاهية لأبنائها، وكنا قد قلنا أيضا إنّ كل فكرة تحمل نقيضها، فالترف حالة تكنتر خصائص سلبية وإيجابية، وتعامل الذات البشرية مع هذه الحالة هو الذي يدير هذه الخصائص، وعلى العموم فإن الوفرة تؤدي إلى الاستكانة والدعة والبلادة، وأغلب من نجح من الحكام، أو من غيرهم، في دور الوفرة هو من تعالى على إمكانات الترف، واختار هدفا أسمى من لذته، هو بقاء ملكه أو حماية شعبه، وتحقيق هدفه، ومن واجب الإنسان أن يسيطر على الأدوات، لا أن تسيطر عليه، وهو ما يسمى بسياسة "القبض: أي القدرة القبض على الأشياء ومعرفة كيفية استعمالها. كذلك يذكر حسين مؤنس نفسه كتابه الحضارة، ١٥٧.**

**(٤) إنّ الاكتفاء والرضا يقتلان الطموح، فقد سأل أحدهم دليله من الأسكيمو قائلا: فيم تفكره، فكان جوابه: ليس لدي ما يدعو إلى التفكير؛ لأنّ لدي مقدارا كافيا من اللحم. ديو رانت ول، قصة الحضارة: ١/١١**

من التوثر يغري بالطموح والإنجاز، وذلك عبر كثير من النشاطات التي تفيض عن الضروري وتؤول إلى الحاجي أو الكمالي، حيث تكون الضروريات في حالة إشباع قصوى. ويشيع هذا النمط من التحديات في كل شيء في العلوم والفنون، والعلاقات الاجتماعية والتقاليد والأعراف والشعائر، والمتعة والأشياء ما يحولها، رويدا رويدا، إلى شكلانية تتعلق بالزينة والزخرف على حساب الجوهر والمضمون، ويضعف أساسها الوظيفي، ليتحافت، من ثم، أثرها في عالم الواقع وصلتها بالحياة، فتتحجر في أصنام تفقد مع الاستهلاك رونقها.. صحيح أن هذه التحديات المفتعلة تفجر الإبداع، وتحفز التنافس، وأنّ الولع النهم في شتى المجالات يدعم الحركة الاقتصادية، وجريان الثروة.. إلاّ أنّ ذلك كله يكرس آثار الترف السلبية في الخصائص النفسية للأمة، ويغرقها في البلادة والكسل، ويمتص طاقتها الفائضة في طواحين وهمية كان الأجدر أن توجه إلى التحديات الذاتية التي تتعاظم في الداخل انعكاسا وأثرا لحالة الترف المتعاظمة [١].

وأن الله سبحانه في غنى عن العالمين لا تنفعه طاعة الطائعين ولا تضره معصية العاصين، وإنّما يأخذ الله المكذبين برسله بالبأساء والضراء لصالحهم ولحكمة وهي لكي يتضرعو إلى الله ويعودوا عن غيهم وضلالهم إلى الله، ومن طبيعة الشدة توليد القوة في النفوس وتقوية روح المقاومة لدى الأمم والشعوب، ولذلك اقتضت مشيئة الله أن يأخذ أهل كل قرية يرسل إليها رسولا أو نبيا فتكذبه بالبأساء في أنفسهم وأرواحهم والضراء في أبدانهم وأرزاقهم، وذلك استحياء للقلوب واعتصار للأمراض منها، والشدائد والآلام خير مهذب للأرواح وخير مربى للنفوس في معادن الأحرار، وخير مفجر لينابيع الخير الكامنة "ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة" فإذا الرخاء بدل الشدة، والعافية مكان الضر، والأمن مكان الخوف، حتى إذا الحياة نعماء، وخير على خير، وهو ابتلاء واختبار، وحتى إذا كان هذا كله رأبت القوم يأتون البيوت من نوافذها ويفهمون الحقيقة معكوسة وخاطئة، ويقولون قد مس هذا الضراء والسراء آباءنا، وما هي إلا الحياة الدنيا وتقلباتها، والحياة تسير سيرة عادية وراحوا يتلذذون في اليسر ويتذمرون في العسر، ولم يفطنوا إلى سنن الله في الحياة وحسبوا الوجود يسير عفويا، والتاريخ يمضى جزافاً ولا قصد مرسوم له ولا أجل معلوم يحدده وقد أخذوا دورهم في

---

**(١) يكشف كولن ولسون في كتابه سقوط الحضارة أنّ العقبات محفزة للإرادة والحيوية، وكلما زاد كفاح الإنسان زادت حيويته ولهذا استقرت مشكلة الحياة، بالنسبة لي، مسألة اختيار العقبات لحث إرادتي، ثم أدركت أن حضارتنا أي العربية تسير في الاتجاه المعاكس وأنّ كل ثقافاتنا وعلومنا متجهة نحو تمكيننا من ممارسة أقل حد ممكن من إرادتنا.. ولسون، كولن ، سقوط الحضارة : ١١-١٠.**

التاريخ وحفلهم من الحياة بالضراء والسراء كآبائهم وغيرهم من السابقين وكفى أوعندلذ وفي ساعة نشوة النعمة والغفلة السادرة، تأتى سنة الله الجارية "فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون" جزاء بما اغنزوا وبعدوا عن الله وعطلوا الحواس عن التدبر والتأمل والاعتبار، وأطلقوا لشهواتهم العان فما وعوا وماعادوا يتحرجون من منكر ومعصية، ولا يستلذون وطاعة فتساوى عندهم القبح والجمال، والحلال والحرام، والطيب والخبيث، كما نعاهد اليوم هذا في الأمم الضالة والمجتمعات المنحرفة الغاوية، وسنن الله تمضى والتاريخ يتحرك ويجرى دون توقف ولا رجوع، وكان الأحدر بالأمم الضالة والمجتمعات الظالمة أن تتضرع إلى الله وتثوب إليه بمجيئ بأسه وظهور الآيات والنذر في الأنفس والآفاق ولكن العمى عن الحق وقساوة القلوب هي طابع هذه الأمم وسمتها عبر العصور والدهور، وتبقى سادرة في غيها حتى يأتيها أمر الله[١].

قال تعالى: ﴿**وما أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ آبَاءنَا الضَّرَّاء وَالسَّرَّاء فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[٢].

والاستفهام في الآية للتذكير والتعجب من أمر ليس من شأنه أن لا يقع والمعنى أغر أهل القرى ما كانوا فيه من ترف حين كذبوا الرسل واتبعوا غير منهجهم، ووجود النعم وكثرتها ليس دليلاً على دوامها وكم من نعمة غزيرة ومدنيات عاتية وحضارات زاهية انهمت وزالت بسبب كفر أهلها، بعد أن ظنوا خلودها وبقاءها لا لشيء إلاّ لكثرة عدتها وعدد أبنائها، وكثير من الأمم من يجهل التدبير الخفي لله القائم على سنن في الخلق وقوانين في الوجود، لا تختلف ولا تحيد، اغتر الغافلون عنها بظواهر القوة المادية كالغنى والسلطان والترف، وفي كل يوم يَذلُّ الله أقواما أعزاء أقوياء ، ويعزُّ أناسا ضعفاء كانوا أذلاء عند أهل الجاه والمال، ولكن الجهل والغفلة عن سنن الله في الحياة ينسى الناس كل شيء فيغدوا يعملون وفق خطط حائرة ويقيمون الحقائق بتقديرات

---

**(١) ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن: ٣/١٣٣٧ -١٣٣٨.**

**(٢) الأعراف: (٩٤-٩٩).**

ومقاييس، فبعد أن قرر الله تعالى خلال الآيات السابقة مصير تلك القوى المترفة الظالمة وبين سننه الجارية عبر القرون بما يشهد به تاريخ تلك الحضارات السادرة والمجتمعات الثانوية التي غدت بقاياها مناظر يرتعش منها الوجدان وتتحصر عليها القلوب، وآثار تستخلص منها العبر والعظات، وتقرأ فيها سنن الله في الظالمين المكذبين الذين لم يؤمنوا ويتقوا، بل كذبوا، وأشركوا وغرهم ما كانوا فيه من ترف، ويعد ذلك أنذار للأمم اللاحقة(١).

**المطلب الثالث: الإفساد في الأرض**

قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى**﴾(٢). قال تبارك وتعالى: ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ (٣)، وقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُم**﴾ (٤)، وقوله تعالى: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾(٥)، وقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا**﴾(٦)، وقوله تعالى ﴿**مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ**﴾(٧)، وعن النبي **"**أنّه كان إذا أَمَّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصة نفسه ومن معه من المسلمين خيرا، ثم قال: **"**اغزوا بسم الله وفي سبيل الله وقاتلوا من كفر بالله

**(١) ينظر: محمد هيشور، سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها:١٣٣ – ١٣٤.**
**(٢) طه: ١٢٤ – ١٢٧.**
**(٣) البقرة: ١٩٠.**
**(٤) البقرة: ٨٤.**
**(٥) الأعراف: ٥٥.**
**(٦) النساء: ٣٠.**
**(٧) المائدة: ٣٢.**

اغزوا، ولاتعتدوا ، ولا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليدا"[١]، إذ قال تبارك وتعالى في كتابه المجيد: ﴿**وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ**﴾[٢]، كما ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾[٣]. وقوله تعالى:﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا**﴾[٤]، **وقوله تعالى:** ﴿**وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ**﴾[٥].

عن أبي هريرة أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم ) مر على صبرة طعام ,فأدخل يده فيها فنالن أصابعه بللاً .فقال :"ما هذا ياصاحب الطعام ؟ قال: أصابته السماء يارسول الله قال:أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس ,من غش فليس مني"[٦] وعنه (صلى الله عليه وآله وسلم) "لرجل يبيع طعاما، وقد خلط جيدا بقبيح قال: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: أردت أن ينفق، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ميز كل واحد منهما على حدة، ليس في ديننا غش"[٧]. وعنه صلى الله عليه وآله: "من غش مسلما في شراء أو بيع فليس منا، ويحشر يوم القيامة مع اليهود، لأنّهم أغش الخلق للمسلمين" [٨] وعن الإمام علي (عليه السلام): "إن أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربه وإن أغشهم لربه أغشهم لنفسه أعصاهم لربه " [٩]. وعن الإمام الكاظم (عليه السلام): "ملعون من غش مسلما أو ماكره أو غره"[١٠].

---

**(١) مسلم، صحيح مسلم ، باب تأمير الأمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بآداب الغزو،١٥ ١٣٩، رقم الحديث(٣٣٦٤)**

**(٢) هود: ٨٤.**

**(٣) هود: ٨٥ .**

**(٤) النساء: ٥٨ .**

**(٥) المطففين: (١-٣).**

**(٦) الريشهري، ميزان الحكمة ،٢٢٥٨١٣،رقم الحديث (٣٠٦٣)**

**(٧) المتقي الهندي ، كنز العمال، كتاب البيوع، باب في الكسب، ١٥٩١٤، رقم الحديث (٩٩٧٤).**

**(٨) الريشهري ، ميزان الحكمة، باب التحذير من الغش، ٢٢٥٩١٣، رقم الحديث(١٥٠٧٩)**

**(٩) الشريف الرضي، نهج البلاغة ،١٥٠١١، خطبة ٨٦.**

**(١٠) حسين النوري الطبرسي ، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل ، كتاب التجارة، باب تحريم الغش بما يخفى كشوب اللبن والماء،١٨٧١١٣، رقم الحديث(٢١٢٥٤١)**

قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي**﴾[١] **"**أي: خالف أمري، وما أنزلتُه على رسولي، أعرض عنه، وتناساه، وأخذ من غير هداه، كما في قوله تعالى: ﴿**فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا**﴾[٢] أي: في الدنيا، فلا طمأنينةَ له، ولا انشراحَ لصدره، بل صدرُه ضيّقٌ حَرَجٌ لضلاله، وإنْ تنعَّم ظاهرُه، ولَبِس ما شاء وأكل ما شاء، وسكن حيثُ شاء، فإن قلبَه، ما لم يخلص إلى اليقين والهدى، فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبة يتردد، فهذا من ضنك المعيشة**"**[٣].

وهذه آية يُستدلُّ بها على أن (الظلام العقدي) سببٌ داخليٌّ في انحطاط الأمم وفسادها في الأرض؛ حيث يقول تعالى: ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾[٤].

وبيَّن القرآن الكريم أنّ الإفساد في الأرض قد يكون سببُه تقليدَ الأعمى، واتِّباعَ الطواغيت من البشر أو المذاهب الفكرية المحرَّفة عن المنهج الصحيح: ﴿**وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا**﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿**فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا**﴾[٦]، وقوله تعالى :﴿**هُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ** ﴾[٧].

قال الطبري: **"**يقول الله تعالى ذكْرُه: وقال الكافرون يوم القيامة في جهنم: ربنا إنَّا أطعْنا أئمَّتَنا في الضلالة، وكبراءَنا في الشرك كما في قوله تعالى: ﴿**فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا**﴾[٨] يقول: فأزالونا عن محجة الحق، وطريق الهدى والإيمان بك، والإقرار بوحدانيتك وإخلاص طاعتك في الدنيا[٩]**"**.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ**

---

**(١) الأنعام: ٦٨.**

**(٢) طه: ١٢٤.**

**(٣) تفسير ابن كثير، ١٣\ ١٢٠٥.**

**(٤) النحل: ١١٢.**

**(٥) الأحزاب:( ٦٧ – ٦٨).**

**(٦) الحج: ٤٦.**

**(٧) المؤمنون: ٧٨.**

**(٨) الأحزاب: ٦٧.**

**(٩) تفسير الطبري، جامع البيان: ١٨٩\١١٩.**

**أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ**﴾[١] "الآية بظاهر لفظها عامة لا تختص بزمان دون زمان، أو بمكان ، أو بواقعة خاصة، فالمراد بالبر والبحر معناهما المعروف، ويستوعبان سطح الكرة الأرضية، والمراد بالفساد الظاهر المصائب والبلايا الظاهرة فيها الشاملة لمنطقة من مناطق الأرض من الزلازل وقطع الأمطار والسنين والأمراض السارية والحروب والغارات وارتفاع الأمن وبالجملة كل ما يفسد النظام الصالح الجاري في العالم الأرضي سواء كان مستندا إلى اختيار بعض الناس أو غير مستند اليه، فكل ذلك فساد ظاهر في البر أو البحر مخل بطيب العيش الإنساني" وقوله : (بما كسبت أيدي الناس)، "أي بسبب أعمالهم التي يعملونها من شرك ، وأيضا في مباحث النبوة من الجزء الثاني من الكتاب أنّ بين أعمال الناس والحوادث الكونية رابطة مستقيمة بتأثر إحداهما من صلاح الأخرى وفسادها، وقوله : (ليذيقهم بعض الذي عملوا)، اللّام للغاية، أي ظهر ما ظهر لأجل أن يذيقهم الله وبال بعض أعمالهم السيئة ، بل ليذيقهم نفس ما عملوا وقد ظهر في صورة الوبال وإنّما كان بعض ما عملوا؛ لأنّ الله سبحانه برحمته يعفو عن بعض، والآية ناظرة إلى الوبال الدنيوي وإذاقة بعضه لأكله من غير نظر إلى وبال الأعمال الآخروي ، فما قيل : إنّ المراد إذاقة الوبال الدنيوي وتأخير الوبال الاخروي إلى يوم القيامة لا دليل عليه ، ولعله جعل تقدير الكلام، ليذيقهم بعض جزاء ما عملوا مع أن التقدير و( ليذيقهم جزاء بعض ما عملوا)، لأن الذي يحوجنا إلى تقدير المضاف – لو أحوجنا – هو أنّ الراجع اليهم ثانيا في صورة الفساد هو جزاء أعمالهم لا نفس أعمالهم فالذي أذيقوا هو جزاء بعض ما عملوا لا بعض جزاء ما عملوا، وقوله : ( لعلهم يرجعون)، أي يذيقهم ما يذيقهم رجاء أن يرجعوا من شرهم ومعاصيهم إلى التوحيد والطاعة" [٢].

فالفساد لا يظهر تلقائيًّا، واستعلاؤه لا يتمُّ عبثًا، ولا يقع بالصدفة؛ وحاشا لله أن يُقحِم الناسَ في ويلات الفساد عبطًا، إنّما هو سنة الله؛ ﴿**لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا**﴾ من الشر والفساد، ويتألَّمون لما يُصيبُهم منه، ويكتوون بناره: ﴿**لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ إلى الله، وإلى العمل الصالح، وإلى المنهج القويم، ويُحذر الله تعالى الناسَ نهاية هذه الوقفة من أن يُصيبهم ما أصاب مشركي الأمم الغابرة، وأمرهم بالسير في الأرض والنظر ﴿**كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ**﴾، وفي آية أخرى يُعيد القرآن الكريم المعنى نفسَه بصيغة ومعطيات جديدة؛ فيقول تعالى: ﴿**الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ**

---

**(١) سورة الروم: الآية ٤١ – ٤٢.**

**(٢)ينظر: العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن ، ص١٩٦-١٩٧.**

**مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾**(١).

ويعرض القرآن الكريم قصصًا تحوي جملةً من تجارب الأمم الغابرة التي خاضتْ غمارَ الفساد الأخلاقيّ وما اعتراه من فتن، ثم انتهى بها المصيرُ الحتميُّ إلى الإحباط والخسران والبوار، فهؤلاء عاد (قوم هود) أصابَهم الريحُ العقيم؛ لأنهم: **﴿جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾**(٢).

وثمود (قوم صالح) أرسل الله عليهم الصيحةَ؛ بسبب عصيانهم أمرَ نبيِّهم وعقرِهم الناقةَ؛ **﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾**(٣)، وقال تعالى أيضًا: **﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾**(٤).

وقوم نوح جازاهم الله كما في قوله : **﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾**(٥)، وسورة نوح كلُّها تقصُّ قصةَ نوح – عليه السلام – مع قومه، وتصف شوطًا من أشواط المعركة الخالدة بين الخير والشر، والهدى والضلال، والحق والباطل، **"**هذه التجربة تكشف عن صورة من صور البشرية العنيدة الضالة، الذاهبة وراء القيادات المضلِّلة، المستكبرةِ عن الحق، المعرضة عن دلائل الهدى وموحيات الإيمان، المعروضة أمامها في الأنفس والآفاق، المرقومة في كتاب الكون المفتوح، وكتاب النفس المكنون**"**(٦).

وأمّا مدين (قوم نبي الله شعيب) فكانوا يبخسون الناسَ أشياءَهم، وينقضون الميزانَ والمِكْيال، وأَبَوا دعوةَ شعيب – عليه السلام – فحقَّ عليهم عذابُ الله؛ قال – عزَّ وجلَّ: **﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾**(٧).

---

**(١) التوبة: ٦٩.**
**(٢) هود: ٥٩.**
**(٣) هود: ٦٥.**
**(٤) هود: ٦٧.**
**(٥) نوح ٢٥.**
**(٦) سيد قطب، في ظلال القرآن الكريم : ٣٣٨/٧.**
**(٧) الأعراف: ٩١.**

وكانت عاقبة فرعونَ وأتباعِه الغرقَ؛ لانغماسهم في براثين الكفر والشهوات؛ قال تعالى: ﴿**وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ**﴾(١).

ويُعقِّب القرآن الكريم بعد كلِّ قصة بالعبرة والموعظة التي يجب أخذُها من هذه التجارب، وهذه العبرة هي السقوط في شراك الهلاك الشامل والانحطاط الكامل؛ يقول عزَّ وجلَّ: ﴿ **ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾(٢).

ويستمر حديث الفساد إلى الذهن ذلك الاعتقاد بأنّه خاص بالمستويين السياسي والقضائي، ولكن الواقع أن المؤسسة السياسية والإدارية تعطي مؤشرات على الفساد قبل غيرها من المؤسسات. وظهور الفساد في المؤسسة القضائية هو دليل على استشراء الداء في المجتمع ذاته، وانحراف القيم الموجهة له في مستوياته كلها؛ الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية، بل الإبداعية أيضا.. ومع أنّ الفسادين, السياسي والقضائي، أظهر في وعي الناس، لأنّهما الملاذان اللذان يتوقعون منهما النصرة والأمن، ولأنّ أثرهما مادي وقاهر أكثر من غيرهما، فإنّ الفساد النوعي العميق في المستوى الأخلاقي أكثر هدما لبنية الحضارة، ولتماسك الأمة الداخلي، بما أنّه يعطل دافعيتها الذاتية، وينحرف بأخلاقياتها، ويضعف النازع الجماعي فيها، ويفقدها الثقة بجدوى الجهد، ويقتل روح الإبداع فيها، وكل أصناف الفساد والظلم تغرق الأمة في السلبية، وتضخم المثبطات في عيونها، وتمدها بمبررات تتعلق بها في الاعتذار عن استسلامها للواقع، وعدم مقاومة تيار الهدم الجارف، والعادة أن ترد الأمة المنهارة أسباب ضعفها، وواقع الظلم الذي يحيق بها، إلى القيادات السياسية والإدارية بوصفها صاحبة القرار، وفي موقع المسؤولية(٣)!.

إذ "إنّ مشكلة الإفساد تبدأ من الأفراد فالأسرة فالمجتمع وتؤدي بالتالي إلى انهيار الحضارة، وهي لَبِنة أساسية في بناء الإنسان قبل بناء الحضارة هذا الإنسان منذ ولادته يتشرَّب السلوك مِن محيطه الذي يجب تصفيته وتطهيره، وحمايته من المتلوثات التي تفتك بهذه اللبنة من إعلامٍ يحرص

---

**(١) الأنفال: ٥٤.**

**(٢) هود: ( ١٠٠ – ١٠٢).**

**(٣) ينظر: د. بتول احمد جندية،على عتبات الحضارة:٨٧.**

على نشر ثقافة الانحلال، وتغييب الفضيلة ونشر ثقافة مادية أساسها الغاية تبرّر الوسيلة، وبرامج تعليمية فارغة لا تليق بمن يريد أن يبني حضارة تقود العالم، ومن العديد من المحسوبين على المثقفين وهم بيادق لمنظمات ليس من مصالحها أن نَنهض"[١]. وأنّ الحضارة تبقى وتعيش وتستمر ما دامت شبكة العلاقات الاجتماعية سليمة قوية، فإذا فسدت تدهورت الحضارة وسقطت [٢].

قال تعالى:﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿**وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ**﴾[٥].

وللمؤرخ توينبي فكرة عن انحلال الحضارة، فبعد رفضه الاجتياح العسكري[٦]، يرى: **"**أنّ انحلال الحضارة يزامنهُ فساد كبير، يدب في أرواح الناس، وتغير جذري يطرأ على سلوكهم ومشاعرهم وحياتهم كلّها، فيحل مكان الصفات الجيدة، والقوى المبدعة، التي كانوا يتحلون بها، في دور النمو لحضارتهم، يحل مكانها (ثنائية) من النزعات والمواقف العقيمة المتناقضة، وهنا ينكشف ويتعرى الفساد الروحي، كاشفًا عن فوضوية، تعم الأخلاق والعادات، وانحطاط يشمل الآداب والفنون، ثم قد تسعى (الأقلية المسيطرة) إلى فرض فلسفة خاصة، أو دين جديد، مستعملة في ذلك القوة، ولكن دون جدوى ولا فائدة.. تصور جيد، ومن يطبق هذه النظرية على الحضارة الإسلامية في الأندلس، أو العباسية في المشرق، وحتى العثمانية، فسيجد الكثير من الشواهد على صحة هذه

---

**(١) أ. د. مقداد يلجن، علم الأخلاق الإسلامية :٣٤.**

**(٢) ينظر:بن نبي، مالك، ميلاد مجتمع: ٥٤.**

**(٣) البقرة: ٣٠.**

**(٤) البقرة: ٦٠.**

**(٥) ص(٢٧-٢٨).**

**(٦) صديقي، عبد الحميد، تفسير التأريخ: ١٠٦.**

النظرية، إذ إنّ كل متابع لحركة الحضارة يراها كصاعد الجبل، يرتقي ويتسلق"، ويرى (راسبنجلر) أنّ هناك مسائل حتمية تسقط عندها الحضارة هي [١]:

١- القول بأنّ الكون صائر إلى الشيخوخة والزوال، ذلك لا يكون في القريب العاجل، من هنا فتأثيره على سقوط الحضارة بعيد.

٢- يرفض تشبيه الحضارة بالكائن الحي، فالحضارة تولد، ثم تنمو، ثم تشيخ وتموت، هذا لا يسلّم به، ذلك أنّ المجتمعات ليست كائنات عضوية، والمجتمع يمكن أن يجدد شبابه، أما الإنسان فلا.

٣- يرفض فكرة أنّ الحضارة لها دورة كاملة، كما يقول ابن خلدون، ويرى أنّ الدولاب الذي يحمل عربة التحضر، يدور على نفسه، وعندها تندفع العربة نحو الغاية الكبرى، في حركة تقدمية مستمرة.

٤- إنّ العجز عن صد الاعتداءات الخارجية على الحضارة، ليست سببًا لسقوطها، بل دليل على وجود انهيار سابق، كشف العدوان الخارجي عنه، ويمثل لذلك بسقوط الحضارة الرومانية، والأندلسية.

٥- يرى توينبي أنّ النقص في الميادين العلمية والتقنية، ليس علة في سقوط الحضارة، ولكنه مجرد عرض لا أكثر.

ويعرض توينبي نظريته في انحلال الحضارة بشكل واضح، وأستطيع ابتداءً القول: بأنّه أقرب ما يكون للتصور الإسلامي، فهو يرى (أنّ انحلال الحضارة يزامنهُ ويرافقه فساد يدب في أرواح الناس أولاً، وتغير جذري في سلوكهم، وحتى مشاعرهم، وفي كل جوانب حياتهم، فيقوم مكان الصفات الجيدة والقوى المبدعة، التي كانت تفيض بها نفوسهم -في دور النمو- يحل مكانها (ثنائية) من النزعات والمواقف العقيمة والمتناقضة.. وهنا يتعرى الفساد الروحي، ويكشف عن فوضوية تشمل الأخلاق والعادات، وانحطاط يسود الآداب والفنون، مع محاولات عقيمة للتوفيق

**(١) ينظر: خليل، عماد الدين، التفسير الإسلامي للتأريخ: ٨٢ .**

بين المذاهب والأديان المختلفة. وهنا قد تسعى الأقلية المسيطرة في بعض الحالات إلى فرض فلسفة بالقوة، أو دينًا مختارًا، لكنها تفشل في كل ذلك) [١].

ويذكر استثناء واحدًا غير سليم وهو انتشار الإسلام بين الأمم المغلوبة عن طريق القوة أو التساهل.. لقد دخلنا الأندلس بـ (١٢) ألف مقاتل وخرجنا منها مأزومين مهزومين، وعددنا أكثر من ثلاثة ملايين.. إنّ خرافة انتشار الإسلام بالقوة خرافة روج لها الاستعمار ورجاله، كي يبرر غزو القارات كلها ونهبها وسلبها، بل واستمرار السلب حتى اليوم، وليسوِّد وجه الإسلام، كذلك الذي نتصوره أنّ الحضارة الإسلامية قد شاركت فيها أمم وشعوب مسلمة وغير مسلمة، ولم يمنعها ذلك من السقوط، ولكن يمكننا القول: بأنّ حضارة اليوم وبفضل النمو الهائل في العلوم والمعارف، صارت قادرة على معالجة ما يواجهها من مشاكل بطرق علمية سليمة ستطيل من عمرها. لكنها بما حققته من صناعات حربية، ومن أسلحة فتاكة، فمتى ما اشتعلت حرب كونية، كالحرب العالمية الأولى أو الثانية، فإنّ نهاية هذه الحضارة ستقع، وفي مدة قصيرة جدًا، تتناسب مع فتك الأسلحة الجديدة والصواريخ عابرة القارات وغيرها. إنّ حضارة زودت إنسانها بكل وسائل الدمار الشامل، التي لا تبقي ولا تذر، التي لا ترحم إنسانا ولا حيوانا ولا نباتا، لا تترك فيلا ولا بعوضا[٢] ويصور الله جل وعلا نهاية الحضارة، فيقول: ﴿**حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[٣].

قامت الحضارة القرآنية على دعائم أساسية، جعلت منها حضارة عالمية متميزة وفريدة من تاريخ البشرية ومن ذلك، إنّ دوافع القرآن الكريم الحضارية التي تسببت في إخصاب الفكر العربي الإسلامي، فكان نزول القرآن العظيم حدثاً خطيراً في تاريخ العرب بشكل خاص، والأمم بشكل عام، حيث جاء بنظرية كونية سماوية، وكان من آثار القرآن الكريم الفكرية على المجتمع العربي ظهور العلوم القرآنية التي خدمت أغراض القرآن وغاياته، وصورت فلسفته وأثره الحضاري ساهم في تكريس مبادئ الحضارة العالمية، وإنّ لتعاليمه أثر كبير في تغيير المفاهيم والقيم والأخلاق

---

**(١) ينظر: توينبي أرنولد، تاريخ الحضارات والأديان :٨٧- ٨٨.**

**(٢) ينظر: خليل عماد الدين، التفسير الإسلامي للتاريخ :٨٠,**

**(٣) يونس: ٢٤.**

نحو الخير ورفض العصبية القبلية والتوجه نحو الحضارة، والتوجه نحو فكرة الأمة وتأكيد الوحدة بدل التعدد والتجزئة، وجاء بمفهوم القانون وهاجم الاستغلال، والجشع المادي، وأكد على العدالة الإسلامية(١).

نستنتج ممّا تقدم إنّ القرآن الكريم في دعوته إلى الحضارة العالمية، قد اتجه نحو ماضي الإنسانية البعيد، ونحو مستقبلها، كما يعلمها واجبات الحياة وهو يرسم لوحه لمشهد الحضارة المتتابع، ثم يدعونا إلى أن تتأمله، لنستفيد من عواقبه عظة واعتبارا، والتشريع القانوني أمر في غاية الأهمية الحضارية، وهذا ما تلمسه بأنّ القرآن العظيم جاء بحقيقة جديدة في مجال التشريع كانت مطموسة في الجاهلية وهي أنّ التشريع والتحليل والتحريم حق الله سبحانه وتعالى، وأنّ التشريعات القرآنية تشمل جوانب الحياة كلها، والتشريع الذي جاء تشريع جديد مخالف في اغلب الأحيان لما كان مألوفا في الجاهلية.

و"إنّ المواد التشريعية في القرآن الكريم هي المواد المعروفة في أدب العالم باسم القانون، والأصل في التشريع الذي جاء به القرآن أنّ الله تعالى هو المشرع الوحيد، ولي أوامره السيطرة العليا على جوانب الحياة كافة" (٢).

"إنّ الإنسان في القرآن الكريم مرسوم على نمط واضح خلال الآيات القرآنية، فهو الذي يريد، ولا يراد به، يفعل وهو مؤمن بما يفعل، يقول وهو واثق ممّا يقول، لا يضعف أمّا الشهوة المادية، ولا يجبن أمام تسلط المجتمع ومن ثم فهو جدير بان يتحمل التبعية ويسأل عنها؛ وهو في الذروة من الكمال المقدور له، بما استعد له من التكليف، فهو أكرم الخلائق بهذا الاستعداد المنفرد بين الخلائق، وأنّ الإنسان الحضاري الذي أراده الخالق العزيز ليعمر الأرض، ووضعه في قرآنه العزيز إنسان لا يسأل عما يجهل، ولكنه يسأل مما يعلم، وكما وسعة أن يعلم، فما وسعة من علم فهو محاسب عليه" (٣).

إنّ القرآن الكريم رَبَّى العقل على حُسن المحاكمة والاستدلال والجدل لمعرفة الحق، وهذا الأسلوب في التفكير مفاده ترتيب النتائج والمقدمات، واقرأ قول الله تعالى: ﴿ **وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ**

**(١) ينظر: حسن يعقوب الفلاحي، الأصول التاريخية في الفكر العربي، مجلة الإسلام اليوم :٣٨ – ٣٩.**
**(٢) محمد مصطفى الأعظمي، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية:١/٧٨.**
**(٣) فتحي احمد عامر، المعاني الثانية في الأسلوب القرآني:٢٩٧.**

**لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾**[١]، فالقرآن المجيد ترك المتأمل ليجيب بنفسه عن أسئلة القرآن الكريم، ويكون جوابه ليصل إلى النتيجة المطلوبة في الاستدلال أو البرهان، من أجل أن يكسب قلب وعواطف المتأمل إلى جانب الحق، وهذا ما يعرف بالتربية بالاستدلال، وإنّ القرآن الكريم عندما نقل عن الأقوام السابقة أخبار حضارتهم وسبب ضياعها، إنّما كان السبب تجبرهم وقتلهم وبطشهم، ففي سورة القصص تقرأ إنّ القيم الخلقية إن فقدت، وتجبر الناس، وتكبروا فان مصير أولئك الهلاك، فالحضارة ليست تقدما ماديا، بل إنّ القيم الخلقية والاعتقاد بوحدانية الله، والعمل الصالح هي الأساس الحقيقي في بناء الحضارة في حين أن التخلي عن القيم، فمعنى ذلك السقوط الحضاري والهلاك، قال تعالى: ﴿ **وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾**[٢]، وقوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾**[٣]، وإنّ الصورة التي عرضتها الآيات الكريمة عن سقوط الحضارات، إنّما هي تذكير للإنسان الذي يريد بناء الحضارة، فعليه أن يعرف أنّ التقدم المادي على حساب القيم والروح إن فعل ذلك التقدم المادي يكون خطيرا إذا انفرد، وتخلى عن النظرة الشاملة نحو الخير[٤].

نستنتج مما تقدم إن الدين الإسلامي امتاز بأنّه دين الحضارة الإنسانية، فإنّ الواقع يبين للباحث والمفكر والدارس، أنّ الحضارة الإسلامية استمدت كل مقوماتها وعناصر وجودها وأسباب نمائها وازدهارها من الإسلام ذاته،ولكي نلم بالموضوع الماما تاما فإنّ الواقع التاريخي يؤكد أنّ العرب قبل الإسلام حضارة تتمثل في قيام دول اليمن، والعراق وبلاد الشام في وسط الجزيرة، كما تتمثل في المدن التجارية في حين تتمثل تارة أخرى في القيم والأخلاق وفق القول والكلام غير إنّها حضارة منقوصة، حتى إذا نزل القرآن الكريم كان هو السبب في إقامة الحضارة العربية الإسلامية

---

**(١) القصص: ٧٠.**

**(٢) القصص: ٥٨.**

**(٣) القصص: ٥٩.**

**(٤) ينظر: محمد رشيد عويد، واقع الحضارة الغربية:٥٧ – ٥٨.**

العالمية حيث أخرج العرب من الظلمات إلى النور والى الانتشار العالمي، فقام الإسلام في بناء هذه الحضارة على الكلمة متمثلة في القرآن وأصوله الراسخة[١].

**(١) ينظر: بدر الدين أبو غازي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مجلة الثقافة العربية المعاصرة :٧٨ – ٧٩.**

# الفصل الثالث

# المقومات العملية

# لنشأة الحضارة في الإسلام

## توطئة:

يعد الدين الإسلامي دين تسامح وسلام جاء لترسيخ أسس العدالة والمؤاخاة بين الناس ولا فرق فيهم بين عربي وأعجمي، وخير دليل على ذلك هو قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[١] وأيضا قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[٢] ، ومن هنا يمكننا القول إنّ الإسلام جاء لبناء مجتمع متسامح متماسك يدعو للصلاح ويعمر في الأرض ولا يسعى لخرابها يتقبل الاختلاف، ويعمل بروح التعاون عملاً بقوله تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[٣]؛ فالله سبحانه وتعالى في محكم كتابه يرشدنا للتعاون وعدم التفرق ، لأنّ التفرق يوصل إلى الضعف وهو يؤكد ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾[٤]، وتعدُّ هذه الأمور قواعد وضوابط وإرشادات الهيةً واجبة الالتزام لما فيها من صلاح الأنسان والمجتمع وصلاح الدولة التي من شأنها ، ومن هنا نجد الدعوة إلى الاتجاه إلى العمل الصالح الذي يعد طريقاً لتأسيس بنية إنسانية صالحة لتكوين أسرة جيدة تتآلف مع باقي الأسر لتكوين نتاج إنساني في مجتمع صالح يتقبل الاختلاف في الرأي، والشكل، واللغة ، والجنس ولا يفرق بين أحد وآخر تفريقاً عنصرياً، أو طائفياً، أو مذهبياً فالاختلاف بين البشر سواء كان شكلياً أو موضوعياً لا يعني أنّ المختلفين أعداء، أو أنّه ينبغي لأحدهم القضاء على الآخر، فالإسلام منذ مجيئه اهتم بوضع أسس التعايش السلمي، (فلا إكراه في الدين) وقد عقد المسلمون معاهدات التعايش والسلام مع أصحاب الديانات الأخرى منذ فجر الدين الإسلامي, كذلك دعا إلى أعمار الأرض [٥],ونجد ذلك في قوله تعالى: ﴿**هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿**وَلَا تُفْسِدُوا**

---

**(١) الحجرات: ١٣.**

**(٢) الحجرات: ١٠.**

**(٣) المائدة: ٢.**

**(٤) الأنفال: ٤٦.**

**(٥) ينظر: سميح عاطف الزين، معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسن:,٤٤١١**

**(٦) هود:٦.**

**فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾**[١]، وقوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾**[٢]، ومن هنا نجد الدعوات الإلهية لإعمار الأرض ، وعدم الفساد فيها ، وقد سعى المسلمون في إعمار الأرض، والحفاظ على البيئة ، وحماية مكونات الحياة فيها ، فالإسلام شريعة إعمار لا دمار ، ونماء وبناء وليس هدم وفناء ويشدد سبحانه على أهمية إعمار الأرض في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾**[٣]، وقوله سبحانه: ﴿**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾**[٤]

---

**(١) الأعراف: ٥٦.**

**(٢) البقرة: ٢٠٤، ٢٠٥.**

**(٣) البقرة: ٦٠.**

**(٤) الأعراف: ٥٦.**

**المبحث الأول : تحقيق الأمن**

**المطلب الأول: أهمية الأمن**

من الأشياء التي يحتاج إليها الناس جميعاً في معاشهم هو الأمن ، وقد نطقت به جملة من النصوص ، مثل :

١ – رفاهيّة العيش في الأمن

٢ – لا نعمة أهنأ من الأمن

٣ – شرّ البلاد بلد لا أمن فيه ولا خصب

٤ – شرّ الأوطان ما لم يأمن فيه القُطّان (١)

٥ – الخائف لا عيش له (٢)

إذ أكد القرآن الكريم قضايا الأمن في آيات عدة، أبرزها ما جاء في قوله تعالى :

**﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾**(٣) ففي الآية الكريمة ما يؤكد الإيمان يؤدي بصاحبه إلى الطمأنينة وزوال الخوف . لذلك عد القران الكريم عبادة الله تعالى من أسباب الأمن اذ قال تعالى:**﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾**(٤)

فلا يمكن لحضارة على وجه الأرض أن تعيش، دون أن تستقر، ولا يمكن لها أن تستقر وتهنأ, ما لم تستظلّ بظل نظام يحمي بيئتها، ويقيم ميزان العدل بين أطرافها، ويدفع العداة عن حياضها.

وتوّج القرآن الكريم، رحلة الكفاح في بناء الحضارة، وخلاصة السعي البشري، بشتى صنوفه، وأعبائه، وجهده، وجهاده ، بأن جعل الخاتمة السعيدة في أي نظام سياسيّ, تخفق فوقه راية الحق، وتؤصّل في جذوره أسس العدل, وتتَّقِد في أنحائه جذوة

---

**(١) عبد الواحد بن محمد تميمي آمدي ، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم :٤٤٧ ، الرقم ١٠٢٥٣**

**(٢) السيد عبد الكريم الموسوي الاردبيلي، فقه الحدود والتعزيرات: ٣ ٤٩١١.**

**(٣) الأنعام :( ٨١-٨٢).**

**(٤) قريش :( ٣-٤).**

الإيمان ، ويتكامل الإنسان بعبادة ربّه ، ويطمئن دون ذعر ، يكتفي بالسلام والطمأنينة، وهو يحصد ثمار الصبر في المسيرة الصعبة والمشوار الطويل ، بطاعة الله تعالى فتبسط الحضارة عباءتها، وترخي ذيولها، في ظلال الأمن، والأمان، وتقرّ عيونها مرضيّة بنظام سياسي مستقر[١] كما في قوله تعالى:﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[٢].

والاستخلاف له معنى سياسي واضح **"**ليستخلفنهم في الأرض يقول: ليورثنهم أرض المشركين من العرب، والعجم؛ فيجعلهم ملوكها، وساستها[٣]

إن القرآن الكريم معجزة الله الخالدة، وهو أساس العلوم جميعاً، ولا غنى للبشرية عنه في الاهتداء بعلومه ومعارفه، فهو صادر ممّن خلق البشر، ويعلم ما يصلح أحوالهم، ويحقق أمنهم واستقرارهم، قال تعالى: ﴿**الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّنْ جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ**﴾[٤].

بالقرآن الكريم صلاح المجتمع الذي نزل فيه، كما أصلح المجتمعات المتلاحقة من بعده، والتي أخذت بهديه، واستضاءت بنوره، وهو كفيل اليوم بأن يصلح المجتمعات المعاصرة، ويعالج القضايا المتجددة، ومنها أمن المجتمع؛ لأنّه لا يزال وسيظل بحمد الله يحمل كل عناصر النمو والتجدد، الكفيلة بأن تجعله صالحاً للتطبيق في كل مجتمع، وإن اختلفت مقوماته قليلاً أو كثيراً عن مقومات المجتمع الذي نزل فيه القرآن، وسيظل هذا المنهج القرآني على اختلاف الأزمان والأجيال الدواء لكل داء، والحل لكل مشكلة، والعصمة من كل ضلال، ويعدَّ الأمن المجتمعي ضرورة حياتية، وواحداً من مقومات صلاح الدنيا، يقول الماوردي: **"**اعلم أن ما تصلح به الدنيا حتى تصير أحوالها منتظمة وأمورها ملتئمة ستة أشياء هي قواعدها وأن تفرعت وهي: دين متبع، وسلطان قاهر، وعدل شامل، وأمن عام اجتماعي وخصب دائم، وأمل فسيح.،

---

**(١) ينظر: عمار توفيق أحمد بدوي، مقومات بناء الحضارة وعوامل أفولها من منظور القرآن الكريم :٨٦.**

**(٢) النور: ٥٥.**

**(٣) الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن: ١٥٨/١٨.**

**(٤) قريش: ٤.**

ويتحقق الأمن المجتمعي من خلال عدد من الإجراءات والمبادئ التي شرعها القرآن الكريم ، لصيانة المجتمع وحفظ مكوناته"، وقد جعل القرآن الكريم مبدأ العقاب من أبرز هذه المبادئ(١).

والأمن أصطلاحاً: من القواعد الضخمة التي ترسو عليها الحضارة، وتستقر، والأمن المقصود:" أمن عام تطمئن إليه النفوس، وتتيسر فيه الهمم، ويسكن فيه البريء، ويأنس به الضعيف، فليس لخائف راحة، ولا لحاذر طمأنينة(٢)

"والأمن: ضد الخوف، والأمانة : ضدُّ الخِيانة، يقال آمنته المتعدي فهو ضد أخفته، وأَمِن فلانٌ يأمنُ أَمْناً وأَمَناً، وأَمَنةً وأَماناً فَهُوَ أَمِنٌ، والأَمَنةُ: الأَمْنُ؛ وَمِنْهُ: أَمَنَةً نُعاساً"(٣).

فالأمن الاجتماعي هو: "الطمأنينة التي تنفي الخوف والفزع عن الإنسان، فرداً أو جماعة، في ميادين العمران الدنيوي, بل وأيضاً فيما وراء هذه الحياة الدنيا"(٤).

والحضارة التي تنعم بنعمة الأمن كمقوّم أساسي, هي تلك الحضارة التي تنجح في تربية أبنائها على أنّ الأمان للآخرين ينبعث من عقيدة غُرست في النفوس، وأنّ النظام السياسي يأتي بالدرجة الثانية بتشريعاته وسلطانه, ليشهر أسنّة العدل في وجوه العابثين.

**المطلب الثاني: أساليب القرآن الكريم في تحقيق الأمن**

للقرآن الكريم أثر بالغ في تحقيق الأمن العام، وتمثل ذلك فيما يلي:

**أ- حفظ الضروريات الخمس.**

والضروريات هي: حفظ الدين، والنفس، والنسل، والعقل، والمال(٥).

---

**(١) الماوردي، أدب الدنيا والدين:/١٣٣ – ١٣٤.**

**(٢) ينظر: المصدر نفسه:١٥٧.**

**(٣) ابن منظور ، لسان العرب: ٢١/١٣.**

**(٤) محمد عمارة، مقومات الأمن الاجتماعي في الإسلام/٧**

**(٥)ينظر: الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم، الموافقات: ١٢ ٨-١٢.**

وحفظ الضروريات الخمس هو الهدف الأساسي للقرآن الكريم خصوصاً، والشريعة الإسلامية عموماً، إذ جاء الإسلام ليحفظ للإنسان دينه ، ونفسه ، وعرضه ، وعقله وماله، وعدَّ حمايتها من أهم مقاصده التشريعية، فحفظ الإسلام للإنسان دينه الذي كلفه الله به دون غيره من سائر المخلوقات، وعدَّ الفتنة في الدين أشد من القتل، قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ**﴾(١)، وحفظ النفس البشرية، واعتنى بها، فجعل نفس الإنسان مصونة، وحياته معصومة لا تهدر إلا بحق، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا**﴾(٢)، وقال: ﴿**وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالحَقِّ**﴾(٣). وحفظ للإنسان عقله، لأن العقل مناط التكليف، فالإنسان لم يخلق عبثا متروكا لهواه، بل عليه تكاليف في كل لحظة تجاه ربه ، ونفسه ، وأهله ، وجماعة المسلمين والبشرية عامة، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾(٤)، فهو مطالب باليقظة الدائمة ، والوعي المستمر لكي ينهض بهذه التكاليف، وفقدان العقل والوعي لا يخل بأداء التكاليف فحسب، بل يجعله عبئاً على المجتمع ، ومصدر شر وأذى لنفسه و للناس.

واعتنى الإسلام بحماية العرض والنسل، حين نظم طريقة تواجد الإنسان وتناسله عن طريق زواج مشروع، وأقام الأسرة على أسس متينة قوية مترابطة، وحرَّم النيل من أعراض الناس والخروج عن المنهج القويم، إذ يؤدي ذلك إلى انقطاع النسل واختلاط الأنساب، وضياع الأسر، وتفكك الروابط ، وانتشار الأمراض ، وهلاك الناس قال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا**﴾(٥)، وحفظ للإنسان ماله، لأنه قوام الحياة، قال تعالى: ﴿**وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا**﴾(٦)، والمال هو وسيلة التبادل والحصول على

---

(١) البقرة: ٢١٧.

(٢) النساء: ٢٩.

(٣) الإسراء: ٣٣.

(٤) المائدة: ٩٠.

(٥) الإسراء: ٣٢.

(٦) النساء: ٥.

مطالب الحياة، وقد جعل الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم )الموت دفاعا عن المال شهادة فقال: «من قُتل دون ماله فهو شهيد»(١).

فنجد أنّ القرآن الكريم جاء لحماية الضروريات الخمس ،لأن فيها قوام الحياة ، ولا يمكن بقاء الإنسان بدونها، ولا تتوافر معاني الحياة الإنسانية الكريمة إلا بتوافرها، إذ أنّ فقدان واحد منها يخل بحياة الإنسان ويترتب عليه اضطراب أموره(٢).

ولهذا فإنّه ما من مصلحة إنسانية حقيقية ثابتة، إلاّ أن ترجع إلى واحدة من هذه المقاصد الخمس، التي جاء القرآن الكريم لحمايتها، كما إنّ الناظر في العقوبات الشرعية التي جاء القرآن بها، من حدود وقصاص وتعزير يجد أنّها شُرِعت لصيانة هذه الضرورات الخمس الدين ، والنفس، والعقل ، والنسل ، والمال ، والمحافظة عليها، وهذا هو الهدف العام من العقوبات.

ولو قال قائل: إنّ العقوبات في ذاتها مفاسد، فقتل القاتل ورجم الزاني، وقطع السارق تسبب نقصانا لأعضاء المجتمع، فكيف نعالج المفسدة بمفسدة أخرى؟

أُجِيبَ عليه: بأنّ هذه المفاسد – العقوبات – ليست مقصودة لذاتها، بل المقصود هو ما تؤدي إليه، فيجوز أن تدفع المفسدة الكبرى بالمفسدة الصغرى قال تعالى: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ**﴾ (٣) فسماه حياة ؛لأنّه بقتل القاتل يرتدع قاتلون كُثُر عن الإقدام على القتل، فصاروا أحياء بسبب تطبيق حد القصاص (٤).

حيث **"**إنّه ليس للانتقام، وليس لإرواء الأحقاد، وإنّما هو أجل من ذلك وأعلى إنّه للحياة، وفي سبيل الحياة، بل هو ذاته حياة**"** (٥).

وقال العز بن عبد السلام: **"**وربّما كانت أسباب المصالح مفاسد ، فيؤمر بها أو تباح لا لكونها مفاسد, بل لكونها مؤدية إلى المصالح، وذلك كقطع الأيدي المتآكلة حفظا للأرواح، وكالمخاطرة بالأرواح في الجهاد، وكذلك العقوبات الشرعية ليست مطلوبة لكونها مفاسد, بل لكونها المقصودة من شرعها كقطع السارق.... وقتل الجناة

---

**(١) الكليني، الكافي ، باب من قتل دون ماله، رقم الحديث(٣).**

**(٢) ينظر: أبو حامد الغزالي، المستصفى: ١/٢٨٤-٢٨٥.**

**(٣) البقرة: ١٧٩.**

**(٤) ينظر: علي بن عبد الرحمن الحسون، الأهداف التشريعية للعقوبات في الإسلام : ٤ – ٥.**

**(٥) سيد قطب، في ضلال القرآن: ١/١٥٩.**

رجم الزناة وجلدهم وتغريبهم وكذلك التعزيزات، كل هذه مفاسد أوجبها الشرع لتحصيل ما رتب عليها من المصالح الحقيقية، وتسميتها بالمصالح من مجاز تسمية السبب باسم المسبب"[١]، وبذلك نجد أن العقوبات من الوسائل التي جاء بها القرآن الكريم لتحقيق الأمن المجتمعي.

**ب- تطهير المجتمع من الرذيلة وحماية الفضيلة.**

إنّ من أهم مقاصد القرآن الكريم هو بناء المجتمع الإسلامي ليكون مجتمعا طاهرا تسود فيه القيم والآداب السامية والفضائل السلوكية، وتنعدم فيه الرذائل والأعمال المنكرة قال تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [٢]، وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم ): «إنّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» [٣].

وذلك عن طريق غرس مجموعة من القيم والفضائل في نفوس أفراد المجتمع وتقوية الوازع الديني فيهم وتكوينهم تكوينا صالحا بأساليب متنوعة؛ كي يكونوا نزاعين إلى الخير بعيدين عن الشر والانزلاق مع الهوى والشهوات، لأنّ الخلق القويم لأفراد المجتمع هو أساس بقاء الأمة وقيام مجتمعا طاهرا قويا متماسكا، والتاريخ خير شاهد على أن انهدام أكثر الحضارات كان بسبب انغماس أهلها في الشهوات وإغراقها في الرذائل والملذات.

ومع ضرورة التحلي بالآداب السامية والفضائل الخلقية، فإنّ المجتمع لا يخلو من أولئك الشرذمة القلائل، الذين ينساقون مع الشهوات، وينغمسون في الملذات ويهوون في الرذائل والذين لا تنفع معهم الوسائل الإرشادية والرقابة الاجتماعية في مكافحة الرذائل وإبعادهم عنها، فلو ترك هؤلاء وشأنهم لاستفحل الشر وانتشرت الرذائل في المجتمع وسرى فيها الانحراف الخلقي، فمن هنا جاءت الشريعة الإسلامية بفرض العقوبات عليهم، والعقوبات في حمايتها للفضيلة لا ينظر إلى مقدار الجريمة بالنسبة

---

**(١) العز ابن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام: ١٤/١, وينظر:عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي: ٦٩/١.**

**(٢) آل عمران: ١١٠.**

**(٣)الريشهري، ميزان الحكمة، ٨٤١١، رقم الحديث (١١١١).**

للمجني عليه، إنمّا ينظر فيها إلى مقدار آثار الجريمة في المجتمع، وكذلك في إبعاد الرذيلة والمفاسد لا ينظر إلى إرضاء الناس ,أو ملائمتها لأغراضهم، فهي لا تخضع للأوضاع ولا لأعراف الناس بل إلى الأثر الحاصل منها[١].

**ج- الزجر والردع.**

يهدف إلى ردع الجريمة ومنعها ، إذ إنّ العلم بمشروعيتها يزجر الناس ويردعهم عن الإقدام على الجرائم، فمن لم يردع بنصوص العقوبة ويرتكب الجريمة فإن السلطة الحاكمة المسؤولة تفرض العقوبة عليه، فوظيفة العقوبة الردع والزجر والإبعاد عن الجرائم [٢]. والردع نوعان: ردع عام، وردع خاص:

**١- الردع العام:**

يعني أن إيقاع العقوبات على المجرم يزجر الناس ويردعهم عن اقتراف الجرائم، ويمنع كل من تسول له نفسه ارتكابها، ففي إقامة العقوبات تنبيه للناس على أنهّم إن ارتكبوا الجرائم، فقد تلحقهم من العقوبات المؤلمة مثلما أصابت المجرم، والنفس البشرية مجبولة على الابتعاد عن الإيلام، فإذا عرفت أنّ مقارفة الجرائم تفضي إلى نزول العقوبة بها كفّت عن الإجرام [٣].

فإقامة العقوبات تساعد الناس على مقاومة دوافع الجرائم الداخلية والخارجية وتعينهم على السيطرة عليها، وإلى هذا المعنى يشير قوله تعالى: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [٤]، ومّما يؤكد معنى الردع العام حثُّ القرآن الكريم على شهود طائفة من الناس إقامة الحدود والعقوبات إذ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [٥]، ونلاحظ أنّ فكرة الردع العام هدفاً من أهداف

العقوبة تتجه إلى الناس عامة[٦]

---

**(١) ينظر: علي منصور، نظام التجريم والعقاب في الإسلام: ٦٣/١ .**

**(٢) أبو يعلى محمد الفراء، الأحكام السلطانية:٢٢.**

**(٣) ينظر: المصدر نفسه:٢٢٢.**

**(٤) البقرة: ١٧٩.**

**(٥) النور: ٢.**

**(٦) ينظر: علي بن عبد الرحمن الحسون، الأهداف التشريعية للعقوبات في الإسلام : ٨.**

**٢- الردع الخاص:**

ومعناه"هو إقامة العقوبات على المجرم على ما اقترفه من الجريمة يهدف إلى ردع الجاني، حتى لا يعود إلى ارتكاب الجريمة مرة أخرى، فإن العقوبة وألمها وما يترتب عليها من أذى مادي ومعنوي تصده عن العودة مرة أخرى إلى اقتراف الجريمة "(١).

وطابع فكرة الردع الخاص طابع علاجي يتجه إلى الفرد الذي اندفع إلى ارتكاب الجريمة.

أنّ الردع الخاص بوصفه أحد أهداف العقوبة موجود في بعض عقوبات الحدود، وتغريم الدية، ومعظم العقوبات المالية، وأغلب عقوبات التعزير، غير أنه غير متصور في عقوبة الردة ، وعقوبة القصاص في صورة القتل، وعقوبة الزنى للمحصن، وعقوبة الحرابة في صورة القتل (٢).

**د- رحمة بالأمة وبالمجرمين.**

العقوبات الشرعية كلّها رحمة من الله لعباده، فمبدأ الرحمة واحد من أهم أهداف العقوبات الشرعية فهذه العقوبات تحمي الأسس الثابتة والضرورية لحفظ كيان الأمة، وتبني عليها المصالح الحقيقية الثابتة، التي بدونها يختل بنيان الأمة وينهار، فالعقوبات تكفل المحافظة على أمن المجتمع وتحقق الاستقرار والهدوء التام له، وتحمى حقوق الأفراد وحرياتهم التامة.

ورحمة الله بالأمة تبدو جليةً في نظام القصاص، الذي يعطي المجني عليه ، أو أولياءه الحق في التمسك باستيفاء القصاص، وله أثره الكبير في فكرة الردع العام وفي منع تداعي ردود الأفعال العشوائية تجاه الجريمة، فهو بهذا يحفظ على المجتمع الكثير من دماء أبنائه، والتي يمكن أن تُسفك بدون حق، وصدق الله إذ قال: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾(٣).

---

**(١) زين الدين ابن نجيم، البحر الرائق شرح كنز الدقائق: ٣/٥.**

**(٢) ينظر: علي الحسون، الأهداف التشريعية للعقوبات في الإسلام: ٨.**

**(٣) البقرة: ١٧٩.**

وكذلك تظهر رحمة الله بالجماعة في حد السرقة، والحرابة ، وحد القذف، والزنا وحد شرب الخمر، إذ أن هذه الحدود تؤدي إلى حماية أموالهم وأعراضهم، وتحقق للمجتمع أمنه واستقراره.

والرحمة وإنّ كانت للأمة بالدرجة الأولى، غير أنّها تشمل الجاني نفسه، إذ إنّ المجرم لا يعرف مصلحة نفسه، فيهوي في دياجير الجرائم التي تؤذيه في دنياه وأخراه، فهو بذلك يحقق رغبة عاجلة تهفو إليها نفسه الأمارة بالسوء ولا ينظر إلى عواقب ما يصنع، وأنه ضرر عليه، فتأتي العقوبات لتقام عليه رحمةً له وشفقةً عليه لئلا يستمر في هذه القاذورات المؤذية له، وهو وإن كان يشعر أن العقاب أذى وألم، فإنّ أذى الجرائم في واقع الأمر لو استمر عليها يكون أشد وأقسى على نفسه وحياته. ومثل العقوبات في هذا كمثل الطبيب يسقي المريض الدواء المر أو يقطع منه عضوا ليسلم باقي الأعضاء رحمة بالمريض، وكذلك العقوبات هي رحمة بالأمة وبالمجرمين [١].

وكذلك فرحمة الله بالجاني في جرائم الحدود تبدو في اشتراط وسائل إثبات لا تدع معها مجالا للشك في ارتكاب الجريمة، بل إنّ بعض الوسائل يندر توافرها في بعض الجرائم كالزنا، ومبدأ درء الحدود بالشبهات المعتبر لدى الفقهاء هو أحد مظاهر الرحمة بالجاني.

وفي جرائم القصاص تبدو رحمة الله بالجاني في تخيير المجني عليه، أو أوليائه بين القصاص والدية ، والعفو مع تحبيب العفو إليه.

وفضلاً عن ذلك فإنّ الرحمة تستمر مع المجرم حتى في أثناء إقامة الحد عليه من اشتراط آلة ماضية في القصاص، وكون السوط الذي يضرب به الجاني متوسطا والتوسط في الضرب نفسه بحيث لا يجرح جلد الجاني ومنها حسم العروق عند القطع وهكذا، فالعقوبات الشرعية كلها رحمة بالأمة وبالمجرمين على درجات يوازن فيها بين مصلحة المعتدي ومصلحة الجماعة[٢].

---

**(١) ينظر: محمد أبو زهرة، فلسفة العقوبة في الفقه الإسلامي:١٣.**

**(٢) ينظر: فخر الدين عثمان الزيلعي، تبيين الحقائق:١٦٣**

ذ- **وقاية المجتمع من العقاب القدري الدنيوي والآخروي.**

الفساد لا يستشري فجأة، بل يبدأ صغيراً، فإذا لم يواجه بحزم يأخذ بالزيادة حتى يعم، وهو يبدأ خفية مع التزام الحذر من جانب مقترفيه، فإذا لم يُضرب على أيديهم، ازدادوا جرأة وجاهروا به، واجتمعوا على الرافضين للفساد، فاضطهدوهم وهو ما يظهر جلياً في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا**﴾[١]، فضرب لنا القرآن مثلاً للقرى التي أهلكها ذنوب أهلها، ورفضهم إتباع الرسل ، وتكذيبهم لهم.

ومن هذه الأمثلة قوم لوط(عليه السلام) ظهرت على قريتهم علامة الغنى الفاحش، والترف الشديد، ثم الانغماس في الشهوات، حتى أصابهم الملل، فبداؤا يبحثون عن الجديد الذي يشبع أهوائهم وشهواتهم، فوجدوا ضالتهم في الغلمان ﴿**أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ**﴾[٢]، ثم توسعوا وأضافوا الرجال في قوله تعالى: ﴿**إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ**﴾[٣]، ثم أصبحت الفاحشة علنية كما في قوله تعالى: ﴿**وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ. أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**﴾[٤]، وبعد أن كانت خفية أصبحت علنية في أنديتهم، وانصرفوا تماماً عن النساء، ما دفع هؤلاء النسوة إلى السحاق، وبالتالي استحقاقهم جميعاً للعقاب القدري الدنيوي والأخروي، وما الفساد الأخلاقي إلا نوع من أنواع الفساد الكثيرة[٥].

قال الله تعالى: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ**﴾[٦] يترتب على عدم الأخذ بمبدأ العقاب وإقامة الحدود كارثة تعصف بالمجتمع كله كما أشار إلى ذلك النبي(صلى الله عليه واله

---

**(١) الإسراء: ١٦.**

**(٢) الشعراء: ١٦٥.**

**(٣) الأعراف: ٨١.**

**(٤) النمل: ٥٤،٥٥.**

**(٥)ينظر: الجمل، أحمد محمد عبد العظيم، المقاصد الشرعية للعقوبات الإسلامية، تاريخ الزيارة ٢٠٢٢/٥/٢٢.**

**https://www.eastlaws.com/**

**(٦) المائدة:( ٧٩-٧٨).**

وسلم ) في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما، عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم ) قال: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعا»(١).

والأخذ بمبدئ العقوبة بصرامة ودون تهاون أو تمييز بين أفراد المجتمع هو الضامن، بل هو الصمام للحفاظ على المجتمعات وتجنيبها ويل الهلاك والدمار، الذي كانت هي سببا في حدوثه بإقصاء مبدئ العقاب القائم على أساسه العدالة والأخلاق، واستبداله بآراء ومذاهب تخالف هذا المبدئ (٢).

لقد كان للقرآن الكريم أثره البالغ في تحقيق الأمن الخاص والذي تمثل فيما يلي:

**١- إرضاء المجني عليه.**

إرضاء المجني عليه، وإذهاب غيظه ونقمته، ودفع أخذه بالثأر الذي قد لا يكون عادلاً إذ ترك معاقبة الجاني تؤدي غالبًا أو قاطعًا إلى الانتقام الذي يؤدي إلى التجاوز والاعتداء في غالب الأحيان، ولذلك وضعت العقوبات وضبطت الحدود والتعازير من أجل تحقيق النظام بردع المخالفين، وإرضاء المعتدي عليهم بميزان العدل والمساواة والإنصاف (٣).

قال العلامة ابن عاشور: **"**فمقصد الشريعة من تشريع الحدود والقصاص والتعزيز، وأُروش الجنايات ثلاثة أمور: تأديب الجاني، وإرضاء المجني عليه، وزجر المقتدي بالجناة**"** (٤).

**٢- الجبر للخلل الناجم عن ارتكاب الجريمة.**

إنّ مما تسعى إليها وتجتهد إلى تحقيقه، العقوبات الشرعية عموماً ، والعقوبات المالية خصوصاً هو جبر النقص والخلل الحاصل من اقتراف الجريمة، وهذا الجبر على نوعين: الجبر لجانب المجني عليه، والجبر لجانب الجاني وهو الذي أقدم على الجريمة.

---

**(١)البخاري، صحيح البخاري ، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، رقم الحديث(٢٣٦١).**

**(٢) ينظر: الجمل، مصدر سابق: تاريخ الزيارة ٢٠٢٢/٥/٢٢.**

**https://www.eastlaws.com/**

**(٣) ينظر: نور الدين بن مختار الخادمي، علم المقاصد الشرعية :١٨٨-١٨٧.**

**(٤) ابن عاشور، مقاصد الشريعة :٢٠٥.**

**أ – الجبر لجانب المجني عليه.**

العقوبات الشرعية تراعي جانب المجني عليه، وتهدف إلى جبر حقه الذي انتهكه الجاني وتسعى إلى شفاء غيظه بأخذ حقه وجبر النقص الحاصل عليه ويظهر هذا الهدف جليا في عقوبات القصاص(١).

ولتحقيق هذا الهدف قرر النظام الجزائي الإسلامي عقوبات التعويض والرشاوي إذا تعذر تنفيذ عقوبات الثأر لعدم إمكان المساواة بين الجريمة والعقوبة أو لأي سبب من الأسباب الأخرى(٢).

ولا يشك أحد في أنّ العناية بالجبر بجانب المجنى عليه وشفاء غيظه له أثره البالغ في منع فكرة الانتقام وردود الفعل، فإنه لا يفكر في الانتقام ولا يسرف في الاعتداء(٣) كما نص عليه القرآن بقوله: ﴿**وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا**﴾(٤).

**ب – الجبر لجانب الجاني.**

إنّ العقوبات الشرعية التي تقام على الجاني تهدف إلى جبر الذنب الذي ارتكبه الجاني وجبر ما انثلم من دين المرء الذي اقتحم المعصية، فالعقوبات هي كفارات للذنوب التي اقترفها الجاني، وهذا ما ذهب إليه أكثر العلماء(٥)، ومما استدلوا به حديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عن عَبَادة بن الصامت (صلي الله عليه وآله وسلم) ، وكان شهد بدرا وهو أحد النقباء في ليلة العقبة أن رسول الله(صلى الله عليه واله وسلم )قال وحوله عصابة من أصحابه: «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف. فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه». فبايعناه على ذلك(٦).

---

**(١) ينظر: علي بن عبد الرحمن الحسون، الأهداف التشريعية للعقوبات في الإسلام :٨ – ٩.**

**(٢) ينظر: أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، المغني :٤٩٧/١٢.**

**(٣) ينظر:محمد أبو زهرة، فلسفة العقوبة في الفقه الإسلامي:٣٥– ٤٥.**

**(٤) الإسراء: ٣٣.**

**(٥) ينظر: أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، شرح النووي على صحيح مسلم :٢٢٤/١١.**

**(٦)المتقي الهندي، كنز العمال ،١٠٠١١، رقم الحديث(٤٤٦).**

**٣- مجازاة الجاني بالمثل.**

إنّ من الأهداف التي ترمي إليها العقوبات الشرعية مجازاة الجاني بالجزاء المكافئ للجريمة فيتحمله الجاني جزاء جريمته(١).

وهذا هو العدل الذي ينشده الناس في حياتهم ، فلكل إنسان حقوق وعليه واجبات، ولابد من الموازنة بينها، فإذا اختل هذا التوازن بالاعتداء على حقوق الآخرين، أو الإخلال بالواجبات وجب حسم ذلك بالعقوبة العادلة التي تعيد التوازن وتحقق العدل(٢).

ويدل على فكرة اعتبار الجزاء غاية للعقوبات تصريح القرآن الكريم في العقوبة في جرائم الحدود بأنها الجزاء المقابل للجريمة. قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ. إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾(٣)، وقال الله تعالى: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿**فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ**﴾(٥) فبمجرد حصول الجريمة يثبت العقاب حتى وإنّ كان الشارع أعطى المجني عليه حق المطالبة عموما وحق تنفيذ القصاص خصوصا فإنه لا يعني أنّ العقاب لا يتأتى إلّا بذلك، فالعقاب يوجد ,لأنّه مقابل للجريمة الحاصلة ومساو لها في الدرجة الأولى ثم هو أخذ بحق المجني عليه(٦).

ومّما يؤكد كون العقوبة في مقابل الجريمة وجزاء لها أنّ الشرع الشريف لا يعاقب إلّا من كان مكلفّا ، أي: بالغاً عاقلاً مختاراً ، ومدركًا لمعاني الجريمة ونتائجها ، أي مسؤولاًعن جريمته، وهو ما يعبر عنه بالمسؤولية الجنائية ثم إن من لوازم المسؤولية الجنائية أنّ العقوبة شخصية وهو ما يعبر عنه بمبدأ شخصية العقوبة، فلا يسأل عن الجريمة إلّا مرتكبها، ولا يؤخذ المرء بجريرة

---

**(١) ينظر: محمد سليم العوا، في أصول النظام الجنائي الإسلامي :٦٤ – ٦٦.**

**(٢)ينظر: محمد الأحمد، حكم الحبس:٧٣.**

**(٣) المائدة:( ٣٣-٣٤).**

**(٤) المائدة: ٣٨.**

**(٥) البقرة: ١٩٤.**

**(٦) ينظر: أبو المعاطي حافظ، النظام العقابي الإسلامي:١٤٤.**

غيره مهما كانت القرابة أو الصداقة بينهما[١]، وقد قرر القرآن الكريم هذا المبدأ العادل فقال تعالى: ﴿**وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**﴾[٢]، وقال: ﴿**مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ**﴾[٣].

ومما يؤكد كون العقوبة في مقابل الجريمة وجزاء لها "أن الشرع لا يعاقب على الجريمة إلّا بعد ثبوتها ثبوتا لا شك فيه، ولذلك قرر مبدأ سقوط العقوبة بالشبهات "[٤].

**٤- إصلاح الجاني.**

"إنّ العقوبات الشرعية تهدف إلى إصلاح الجاني وتقويم سلوكه، ومنعه من العودة إلى الإجرام مرة أخرى"[٥]، فإصلاح حال الجاني هدف مهم من أهداف العقوبات الشرعية، سواء كان ذلك في أثناء تنفيذ العقوبة، أو بعدها فيجب أن يكون هدف مقرر للعقوبة ومنفذها هو الإصلاح ، وأن يكون عمله لله، وليس للتشفي، فإن قَصَدَ التشفي فهو آثم. وينبغي أن يبيّن للجاني خطأهُ ويبين له أنّه إن تاب وأناب بعد العقاب، فإن المجتمع سوف يرحب به ولا يؤذيه, بل يَعُدُّهُ عضواً صالحا نافعا، فلا يتعامل معه بموجب سوابقه, بل بموجب واقعه الذي هو فيه.

ومن الأمور التي يظهر فيها ما يقصده الشارع من إصلاح الجاني هو: أنّ الشريعة قد ندبت إلى الستر إذ قال النبي(صلى الله عليه وآله وسلم): «لا يستر عبدٌ عبداً في الدنيا إلّا ستره الله يوم القيامة» [٦]، وندبت إلى التوبة في كل الجرائم التي لم يكشف أمرها باعتبارها مطهرة للذنب ﴿**إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾[٧]، وقضت بإسقاط العقوبة في جريمة الحرابة إذا تاب قبل القدرة عليه ﴿**إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[٨]، كل ما سبق يؤكد أن الهدف الأساسي للعقوبات هو إصلاح الجاني وتقويم حاله وليس تقييد الناس وإيقاع العقوبات عليهم[٩].

---

**(١) ينظر: عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي :١٨٣/١.**

**(٢) فاطر: ١٨.**

**(٣) النساء: ١٢٣.**

**(٤)كمال الدين محمد ابن الهمام، فتح القدير : ٢٤٩/٥.**

**(٥) محمد سليم العوا، في أصول النظام الجنائي الإسلامي:٦٩.**

**(٦) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب بشارة من ستر الله تعالى عيبه في الدنيا بأن يستر عيبه في الآخرة، رقم الحديث (٤٥٩٩).**

**(٧) الفرقان: ٧٠.**

**(٨) المائدة: ٣٤.**

**(٩) ينظر: فكري عكاز، فلسفة العقوبة في الشريعة الإسلامية والقانون:٥٠.**

## المبحث الثاني: الدعوة إلى عمارة الأرض

### المطلب الأول: أهمية عمارة الأرض في الإسلام

حين نتأمل في آيات القرآن الحكيم، نرى مجموعة كبيرة من الآيات الكريمة قد تصل إلى العشرات، تتحدث عن مهمة أساسية للإنسان في هذه الحياة، وهي مهمة إعمار الأرض، واستثمار الخيرات التي أودعها الله سبحانه وتعالى في هذا الكون.

قال الله سبحانه وتعالى ﴿**هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**﴾[1] () يقول هو ابتدأ خلقكم من الأرض وإنما قال ذلك؟ لأنه خَلَق آدم من الأرض، فخرج الخطاب لهم ، (واستعمركم فيها) يقول جعلكم عماراً فيها فكان المعنى :أسكنكم فيها أيام حياتكم[٢] وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير هذه الآية ، وأما وجه العمارة فقوله " هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها " فأعلمنا سبحانه أنه قد أمرهم بالعمارة ليكون ذلك سببا لمعايشهم بما يخرج من الأرض من الحب والثمرات ، وما شاكل ذلك مما جعله الله تعالى معايش للخلق[٣]

فقد عني الدين الإسلامي بعمارة الأرض ورعاية الكون عناية خاصة وأولاها اهتماما مشهودا، فالله سبحانه وتعالى خلق الكون، وهيأ فيه الظروف المثلى للحياة السعيدة المستقرة، ثم استخلف فيه الإنسان ، ليقوم بإعماره على الوجه الأكمل الذي يحقق به مرضاة ربه ، وخدمة بني جنسه ، وخدمة الكون من حوله؛ قال تعالى: **(هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا)** والخلافة هنا هي المظهريّة الأجلى لذاته تعالى في صفاته الجمال والجلال, ليكون هذه الإنسان خلّاقا مبدعا تتجلّى على يديه أسرار الكون وخبايا الوجود . وأوكله عمارة الأرض وإحياء معالمها[٤],

وعندما عرض القرآن الكريم قصة بدء الخليقة والنشأة الأولى أشار في سياق ذلك إلى أنّ أكبر مهدد لاستمرار الحياة الطبيعية على هذا الكوكب الوليد إنما يأتي من سفك الدماء والإفساد في الأرض, يقول سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ**﴾ [٥]فالإفساد الذي هو ضد الإعمار أكبر خطر يهدد الحياة، وهو البند الأول من المهددات التي استشعرها

---

**(١) هود: ٦١**

**(٢) الطبري، جامع البيان :٢٢٨١٣.**

**(٣)العلامة المجلسي، بحار الأنوار:٩ ١ ٤٩.**

**(٤) ينظر: محمد هادي معرفة، التفسير الأثري الجامع: ١٢ ٢٠٦.**

**(٥) البقرة، ٣٠.**

الملائكة الكرام في أثناء الحوار عن الأرض وخليفتها، ومن ثم فقد حذر المولى تعالى أشد تحذير من هذه الماحقة المدمرة, قال تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾[١]، وقال: ﴿**وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ**﴾ [٢]، وقال: ﴿**وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾ [٣]، وقال تعالى: ﴿**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا** ﴾ [٤]، وجرَّم إراقة الدماء بغير حق أيمّا تجريم، وحَّرم الاعتداء على الممتلكات الخاصة أو على مالكيها.

وفي سياق التشريع القانوني وضعت أشد عقوبة وأقساها في الإسلام بوجه المفسدين في الأرض يقول تعالى: ﴿**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾[٥].

والمتأمل في فقه العمارة في الإسلام يجدها اجتهادا معقدا يتعامل مع أعادة البناء من جميع أبعادها وعلى جميع المستويات، فقد بدأ بإعمار أهم كائن في الكون والذي لا شك أنه أكبر مؤثر في ما حوله من كائنات ألا وهو الإنسان، فاهتم بإعمار نفس الإنسان أولا، وتزكية إيمانه قبل كل شيء، وتعزيز روح التضحية والجهاد في النفس الإنسانية حتى تسمو إلى عوالم الإيثار، وقد أخبر سبحانه وتعالى أن هذا الإعمار لا يعدله حتى إعمار أفضل بيت من بيوت الله في الأرض [٦], قال تعالى: ﴿ **أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ**﴾ [٧]، فالإعمار المعنوي للنفوس هو الأساس الذي ينبني عليه إعمار الأرض، ولا يمكن أن نؤسس لحضارة إنسانية وارفة الظلال إلا بإعمار وتزكية الجانب الخلقي والإنساني فيها، قال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا**

---

**(١) المائدة: ٦٤.**

**(٢) البقرة: ٢٠٥.**

**(٣) البقرة: ٦٠.**

**(٤) الأعراف: ٥٦.**

**(٥) المائدة: ٣٣.**

**(٦) ينظر: الدكتور خالد عزب، فقه العمران الإسلامي ، العمارة والمجتمع والدولة في الحضارةالاسلامية:٦٥**

**(٧) التوبة: ١٩.**

**عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾**(١).

**المطلب الثاني: عمارة الأرض ومفهوم الاستحلاف**

إنّ عمارة الأرض التي أرادها الله للإنسان أن يكون خليفته في الأرض، فمنحه القدرة العقلية على التعلم المقدرة الجسدية على التنفيذ والعمل والإبداع، والإرادة الحرة لاختيار أسلوب الحياة التي يقوده إليها فكرة ودوافعه النفسية والجسدية.. ولكي لا يحس الإنسان بالدونية، ولا تدور في خواطره أية فكرة عن سلبية دوره في العالم، رفعت مكانته إلى أعلى مصاف، وطلب من الملائكة أن يسجدوا له. وتلك هي أسس تقود ولا ريب إلى دور الإنسان في العالم كقوة فاعلة، مفكرة، مريدة، منفذة، مستقلة، مفضلة، الأمور التي لابد منها لأي أبداع حضاري على الأرض. فإذا ما أضفنا إلى هذا أن العالم قد مهد تمهيداً للدور البشري على الأرض، وما سنشير إليه فيما بعد من أبعاد الصراع التي لابد منها للحركة التأريخية، ومن خطورة التعاليم التي كانت تتنزل حيناً بعد حين لكي تضبط و تنظم حركة الإنسان في الأرض، أدركنا عمق الأسس التي أرساها الله جل وعلا للبشرية وسنحول تلك الأسس وتكاملها من أجل أن تمارس خلافتها العمرانية أو الحضارية في العالم.

أنّ الله تبارك وتعالى يريد أن يسلم للمخلوق الجديد آدم عليه السلام، زمام هذه الأرض وأطلاق يده فيها، يبدع فيها عن طريق التكوين والتحليل والتركيب والتحوير والتبديل، وكشف طاقات وكنوز هذه الأرض، وتسخير كل ذلك في المهمة الملقاة على آدم وذريته (٢).

وقد وهب طاقات واستعدادات توازي وتعادل ما في هذه الأرض من طاقات وكنوز وخامات.. إن منزلة الإنسان في الوجود منزلة عظيمة، وهو يمتاز بقدرات فائقة على التعلم والتعليم، وهذه القدرات تعينه على اكتساب المعارف وتنميتها واستثمارها، هي من مرشحات الخلافة في الأرض، لأنّه خير من يعمرها ويقيم الحضارة فيها، أمّا الملائكة فتجيد التسبيح لله تعالى، وتحسن وتجيد العبادة، تطيع ولا تعصي، ولكن

---

**(١) الروم: ٩.**

**(٢) ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن:٦٧.**

متطلبات التحضر والعمران العلم المتطور المتجدد دائماً، وهذا ما يُحسنه الإنسان، ولا تحسنه الملائكة، ومن هنا وقع الاختيار على الإنسان دون الملائكة [١].

إنّ مسألة الاستخلاف تتكرر أكثر من مرة في القرآن الكريم: ﴿**ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**﴾ [٢].

إنّ مسألة الاستخلاف تبدو في الآيات مرتبطة بالخيط الطويل العادل من طرفيه: العمل ، والإبداع ومجانبة الإفساد في الأرض، وتلقي المقومات والتعاليم والشرائع عن الله ، والالتزام الكامل بها عند ممارسة الجهد البشري في العالم.. والعلاقة بين هذين الطرفين علاقة أساسية متبادلة، بحيث إنّ افتقاد أي منهما سيؤول بالعالم إلى الخراب، وبالإنسان إلى الضياع في الدنيا والآخرة، ويقود إلى عملية استبدال للجماعة البشرية بغيرها ممّن تقدر على الإمساك بالخيط من طرفيه: العمل والجهد والأبداع، والتلقي الدائم عن الله لضبط وتوجيه هذا العمل والجهد والأبداع في مسالكه الصحية التي تجعل الإنسان يقف دائماً بمواجهة خالقه كخليفة مفوض عنه لإعمار العالم [٣].

قال تعالى: ﴿**يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**﴾ [٤]. ويبلغ من تشديد القرآن الكريم على الجهد البشري لإعمار العالم على عين الله وتوجيهه، أن ترد اللفظة بتصريفاتها المختلفة فيما يزيد على الثلاثمائة والخمسين موضعاً، وهو ينسجم تماماً مع فكرتي الاستخلاف ، والاستعمار الأرضي، فالقرآن يندد بكل عمل أو نشاط خاطئ من شأنه أن يؤول إلى الفساد في الأرض، وإلى هدم وتدمير المكتسبات التي يصنعها الفعل الصالح بالصبر والدأب والمثابرة، وهو من موقفه هذا يسعى إلى حماية منجزات الإنسان الحضارية ووقف كل ما يعوق مسيرتها ونموها، وملاحقة أي محاولة لأنزال الدمار بها من الداخل تحت أي شعار كانت، وهذه الحماية الحضارية لا تنصب كما هو الحال في كثير من التجارب الوضعية على الجوانب المادية من الإنجاز البشري [٥].

---

**(١) ينظر: د. نعمان عبد الرزاق السامرائي:٥٠-٤٧.**

**(٢) يونس: ١٤.**

**(٣) ينظر: خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ:١٩٣-١٩٤.**

**(٤)هود: ٦١.**

**(٥) ينظر: خليل، التفسير الإسلامي للتأريخ:١٩٥-١٩٦.**

وهذا واضح في أكثر من آية منها قوله تعالى: ﴿**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا**﴾ [١]. والقرآن الكريم لا يكتفي بتقديم هذه الصور المؤلمة عن الإفساد الروحي والمادي وعما يؤول إليه من دمار لحضارة الإنسان، ولرقيه وتقدمه وسعادته، ومن عرقلة لدوره في العالم كخليفة عن الله فيه، ولكنّه يطلب من الجماعة المؤمنة أن تتحرك لوقفه بأسرع ما تستطيع وبأقصى ما تطيق. عند تحقق الشرطين السالفين: الإصلاح، ووقف الفساد ومجابهته على كل المستويات، واستناداً إلى التعاليم الإلهية التي يجيء بها الأنبياء حيناً بعد حين، تمارس الجماعة البشرية المؤمنة خلافتها في الأرض، وتواصل الحضارة تقدمها ونموها بإرادة الإنسان، وموقفه الفوقي على الكائنات، وقدراته التي منحه الله إياها على التصور، والتخيل ، والتخطيط ، والتنفيذ، والفعل، والابتكار، والإبداع.. قدرات على مستوى العقل ، والروح ، والعاطفة ، والوجدان ، والجسد على السواء.. وليس ثمة شيء في العالم أو قوة في الكون، غير قوة الله وحده، بقادرة على ان تصد الإنسان عن أهدافه ومطامحه التي قرر أنّ يسعى إليها [٢].

وهذا تباين نوعي حاسم بين الجماعة البشرية المريدة القديرة الفاعلة،وبين كتلة الطبيعة التي لا تملك قدرة ذاتية ولا فعلاً مرسوماً لمجابهة الإنسان. إنها أساساً، وفق المعطيات القرآنية، قد سخرت له تسخيراً، وأن الله سبحانه قد حدد أبعادها وقوانينها ونظمها وأحجامها بما يتلاءم والمهمة الأساسية لخلافة الإنسان في العالم، وقدرته على التعامل مع الطبيعة تعاملاً إيجابيا فاعلاً [٣].

وإذا ما أردنا إنّ نعتمد اصطلاحات توينبي ومقاييسه الحضارية في مسألة النمو الحضاري هذه، فإننا نجد في العالم تحدياً مناسباً للإنسان، ليس معجزاً، ولا هو دون الحد المطلوب لإثارة التوتر البشري للرد.. وكأنّ إرادة الله سبحانه قد شاءت أن تقف به عند هذا الحد لكي يحقق المدى الأقصى من الحوار الخلاق بينه وبين خليفته في الأرض، فلم يشأ أنّ يمهد العالم تمهيداً كاملاً ، ويكشف للإنسان عن قوانينه ، وأسراره بالكلية ، لأنّ هذا نقيض عملية الاستخلاف ، والتحضر، والإبداع التي تتطلب مقاومة وتحدياً واستجابة ، ودأباً وإبداعاً، ولأنّه يقود الإنسان إلى مواقع السلبية المطلقة،

---

**(١) الأعراف: ٥٦.**

**(٢) ينظر: خليل، التفسير الإسلامي للتأريخ:١٩٩.**

**(٣) ينظر: المصدر نفسه :١٩٩.**

ويسلمه إلى كسل لا تقره مهمة الإنسان على الأرض أساساً، إذ تبين لنا أنّ الأرض مصدر الخيرات، ووسيلة الإنتاج لكن الإنتاج، في الزراعة وغيره يتم بعمل الإنسان، ويتوقف على تفكيره وتقديره، وتخطيطه ، وسعيه، وإنفاقه لذلك دعاه الإسلام إلى أنّ يقوم بهذه الأعمال، وحثه على مباشرتها، وأثابه على أدائها ،لأنّها تعود بالنفع والخير عليه وعلى الأمة أجمع، وعلى الكون والمخلوقات بصورة أعم في تعمير الأرض والاستخلاف فيها، وبما أنّ معظم الناس لا يملكون الأرض، وأنّ معظم الكرة الأرضية مهجورة، فقد دعاهم الإسلام إلى إصلاح الأراضي البور، وإحياء الأرض الميتة، لزيادة رقعة الأرض المزروعة والمعمورة ولتخفيف الضغط على الأماكن القريبة من المدن والقرى، ولإزاله الاختلافات والنزاعات على أرض محصورة، وبقعة محدودة، ولحماية الملكية المحترمة، وصيانة الأرض المستثمرة في أيدي أصحابها، وينطلق الآخرون إلى أرض جديدة، قد تفوق الأولى في عطائها وخيراتها، كما تفوقها في السعة ,ورغب الشرع الحنيف بالغرس والزرع عامة [١]، فقال عليه الصلاة والسلام: "ما من مسلم يغرس غرسا، أو يزرع زرعا فيأكل منه طير، أو إنسان، أو بهيمة، إلاّ كان له به صدقة "[٢].

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم):" ما من مسلم يغرس غرسا إلاّ كان ما أكل منه له صدقة، وما سرق منه له صدقة ، ولا يرزؤه أحد ألا كان له صدقة"[٣].

قال النووي:" في هذه الأحاديث فضيلة الغرس وفضيلة الزرع، وأنّ أجرها على ذلك مستمر ما دام الغرس والزرع، وما تولد منه إلى يوم القيامة."... ثم قال: " وقد اختلف العلماء في أطيب المكاسب وأفضلها، فقيل التجارة، وقيل الصنعه باليد، وقيل الزراعة، وهو الصحيح "[٤].

قال السرخسي: " وأكثر مشايخنا رحمهم الله على أنّ الزراعة أفضل من التجارة؛ لأنّها أعم نفعا، فبعمل الزراعة يحصل ما يقيم المرء به طلبه، ويتقوى على طاعة الله. ولأن الصدقة في الزراعة أظهر " [٥].

---

**(١) توينبي أرنولد، تاريخ الحضارات والأديان :١٢٥١١**

**(٢) البخاري صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس، إذا أكل منه ،رقم الحديث(٢٣٢٠).**

**(٣) المتقي الهندي،كنز العمال، ٨٩٢١٣ ،رقم الحديث(٩٠٥٨).**

**(٤) النووي ،شرح النووي على صحيح مسلم :٣١٣/١٠.**

**(٥) محمد بن الحسن الشيباني، الكسب بشرح السرخسي:٦٤.**

وأكد القائلون بتفصيل الزراعة رأيهم "بأنّ الاكتساب بالزراعة يتضمن التفويض لله تعالى، والتوكل الكامل عليه، بعد أخذ الأهمية وحرث الأرض وسقايتها، واتقاء آفاتها، ثم يتوقف المحصول والإنتاج على إرادة الله"[١].

ورغب رسول الله( صلى الله عليه وآله وسلم) في البناء على الأرض والغراس فيها، فقال عليه الصلاة والسلام:" من بني بنيانا من غير ظلم ولا اعتداء، أو غرس غرسا من غير ظلم ولا اعتداء كان له أجر جار ما انتفع به خلق الله تعالى" [٢].

وروى محمد بن الحسن قال: " وفي الآثار أنّ آدم (عليه السلام ) لما هبط إلى الأرض أتاه جبرائيل عليه السلام بالحنطة، وأمره بأن يزرعها، فزرعها وسقاها وحصدها، ودرسها وطحنها وخبرها"[٣]، وأنّ إصلاح الأرض وإعمارها وزراعتها لاتعود بالنفع على صاحبها فحسب، بل يمتد نفعها إلى الناس أجمع، وكل ماكان نفعه أعم فهو أفضل، لقوله( صلى الله عليه وآله وسلم):" خير الناس أنفعهم للناس"، ولذلك قال بعض الفقهاء: "الاشتغال بالكسب أفضل من التفرغ للعبادة، والمقصود بالعبادة، معناها الخاص كالنوافل والاذكار "[٤].

وهذه النصوص والآثار التي تبين فضل الزراعة والبناء والإعمار تشمل الأراضي المملوكة للأشخاص ليقوموا بشأنها، ويسعوا لزراعتها واعمارها والبناء عليها، كما تشمل الأراضي الميتة التي لا يملكها أحد، ولم يستفد منها انسان، فتدعو الشريعة إلى إصلاح هذه الأرض وإحيائها بالبناء والعمارة والزراعة والغرس، فتزيد رقعة الأرض المعمورة وتتوسع مساحة الأرض المزروعة، وتقل الأراضي المهملة، ويزيد الاستثمار، والإنتاج، ويعم الخير والنفع، ويفتح المجال أمام الناس للعمل، ويقل عدد العاطلين، وهو ما يسهم في القضاء على البطالة، وتخفيف الفقر في المجتمع، ويدفع أخطار القحط، والموت جوعا، وهو ما أراده الشرع باسم " إحياء الموات "، حتى قال العلماء إنّ الزراعة من فروض الكفاية، لأنّ أمر الدين والدنيا والمعايش كلّها لا تقوم إلاّ بها، وكل مالا يتم

---

**(١) محمد أبو زهرة، في المجتمع الإنساني في ظل الإسلام :٤٤.**

**(٢)أحمد بن حنبل ،مسند أحمد، حديث معاذ بن أنس الجهني ،رقم الحديث(١٥٦١٦).**

**(٣) محمد بن الحسن الشيباني، الكسب:٣٥.**

**(٤) رواه القضاعي عن جابر، الفتح الكبير:٩٨١٢.**

الواجب إلاّ به فهو واجب، فإن تركها كل الناس أثموا، وإن فعلها بعضهم سقط الحرج والإثم عن الباقين[١].

**المبحث الثالث: الحث على العمل الصالح**

**المطلب الأول: مفهوم العمل الصالح**

العمل لغة: "محركة المهنة والفعل، وجمعه: أعمال. عمل، كفرح، عمل عملا وأعمله واستعمله غيره. واعتمل: عمل بنفسه"[٢]، فقيل "العمل لغيره والاعتماد لنفسه كما يقال اختدم إذا خدم نفسه، واقترأ إذا قرأ السلام على نفسه، واستعمل فلان غيره إذا سأله أن يعمله له، واستعمله عمل به أو طلب إليه العمل"[٣]، واستعمل فلان إذا ولي أمراً[٤]، قال عز وجل: ﴿**وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا**﴾[٥] أي من تولى جمع الصدقات من أربابها وواحدهم عامل وساع[٦]، فالعامل "هو الذي يتولى أمر الرجل في ماله وملكه وعمله"[٧]، واعتمل اضطرب في العمل، وأعمل ذهنه إذا تدبّرهُ وفهمه ويقال: رجل عمل أي ذو عمل، أو مطبوع عليه، ورجل عمول إذا كان ذا كسب ، والعملة هيئة العمل، ورجل خبيث العملة إذا كان حيث الكسب والعمالة أجر ما عمل يقال عملت الثوم عمالتهم إذا أعطيتهم إياها، وقال الأزهري والعُمالة بالضم رزق العامل الذي جعل له على ما قدم من عمل[٨].

---

**(١) ينظر: محمد بن عبد الرحمن الوصابي، البركة في فضل السعي والحركة:٩.**

**(٢) الخليل بن أحمد الفراهيدي ،العين(باب العين واللام والميم ) :١٥٣/٢.**

**(٣) ابن منظور، لسان العرب:٤٧٤/١١**

**(٤) الأزهري، تهذيب اللغة:٤٢١.**

**(٥) التوبة::٦.**

**(٦) مجد الدين أبن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣٠٠/٣.**

**(٧) الأزهري ،تهذيب اللغة: ٤٢١/٢.**

**(٨) ينظر:المصدر نفسه: ٢٥٥/٢.**

والعَمَلَـةُ، محركـة: "العـاملون بأيـديهم ضـروباً مـن العمـل فـي طـين، او حفـره، أو غيـره، والعَملـة بـالفتح: السـرقة، أو الخيانـة والمعمـول مـن الشـراب: مـا فيـه اللـبن والعسـل والثلج"(١).

وزعـم بعـض أئمـة اللغـة والأصـول أنّ العمـل أخـص مـن الفعـل ؛لأنّ العمـل فعـل بنوع من المشقة ولذلك لا ينسب إلى الله تعالى(٢).

وذهـب كـل مـن الراغـب الأصـفهاني والمنـاوي إلـى كـون الفعـل يكـون مـن الحيـوان بقصـد قـد ينسـب بالفعـل إلـى الجمـادات(٣)، أمّـا العمـل أخـص مـن الفعـل لاقتصـاره علـى الفعل المقصود(٤) إذ لم ينسب للحيوانات إلا في قولهم البقر العوامل(٥).

وقيـل العمـل حركـة البـدن بكلـه أو بعضـه وربّمـا أطلـق علـى حركـة الـنفس فهـو إحـداث أمـر قـولاً كـان أو فعـلاً بالجارحـة ، أو القلـب لكـن الأقـرب اختصاصـه بـالجوارح وخصـه الـبعض بمـا لا يكـون قـولاً، فـالقول لا يسـمى عمـلاً عرفـاً ولـذا يعطـف عليـه فمـن حلف لا يعمل فقال: لم يحنث(٦).

وذهـب آخـرون إلـى أنّـه إذا أطلـق مطلـق الفعـل يترتـب علـى بعضـه الضـمان والمسـؤولية كمـا فـي قولـه تعـالى: ﴿**وَالْعَـامِلِينَ عَلَيْهَـا**﴾(٧). والعمـل يسـتعمل فـي الأعمـال الصـالحة والسيئة قـال تعـالى: ﴿**إِنَّ الَّـذِينَ آمَنُـوا وَعَمِلُـوا الصَّـالِحَاتِ**﴾(٨) وقـال: ﴿**مَـن يَعْمَـلْ سُـوءًا يُجْـزَ بِـهِ**﴾(٩) وأشـباه ذلـك: ﴿**إِنَّـهُ عَمَـلٌ غَيْـرُ صَـالِحٍ** ﴾(١٠)، ويتضـح مـن ذلـك أنّ العمـل لا يصـدر إلا مـن عاقـل قاصـد متعقـل، والفعـل خـلاف ذلـك, لأنـه يطلـق علـى مـا يصدر من البهائم والأنعام، وقولهم والبقر عوامل استثناء دال على شذوذه(١١).

---

**(١) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (فصل العين باب اللام): ٥٨/٢٠.**

**(٢) ينظر: الجرجاني، التعريفات: ٥٢٧/١.**

**(٣) ينظر: لويس معلوف ،المنجد في اللغة والعلوم:٥٣٠ .**

**(٤) ينظر: الأصفهاني، مفردات غريب القرآن:٣٤٨.**

**(٥) ينظر: الزبيدي، تاج العروس:٣٤/٨.**

**(٦) ينظر: ابن منظور لسان العرب:٤٧٥/١١.**

**(٧) التوبة: ٦٠.**

**(٨) الكهف: ١٠٧.**

**(٩) النساء: ١٢٣.**

**(١٠) هود : ٤٦.**

**(١١) ينظر: محمد باقر الصدر، اقتصادنا: ٣١٢/١.**

أمّا **اصطلاحاً:** فقد عرف العمل: "بأنّه الجهد والمشقة التي تقابل المنفعة أو المادة وهو أداة رئيسة في جهاز التوزيع الإسلامي, لأنّ كل عامل يحظى بالثروات الطبيعية التي يحصل عليها بالعمل ويمتلكها وفقاً لقاعدة: إن العمل سبب الملكية"(١).

ذهب د. رفعت المحجوب إلى إنّ العمل الاقتصادي "هو النشاط الإنساني الذي يهدف إلى خلق أموال اقتصادية، وهو ما يعني أنّ العمل يصدر عن الإنسان فقط أمّا جهد الحيوان لا يعد عملاً، بل خدمة من خدمات رأس المال"(٢).

وعرفه غيره: "بانّه مجهود اختياري يبذله الإنسان لأجل الوصول إلى غرض نافع، ولكن لا يعد كل مجهود اختياري نافع عملاً اقتصادياً كانتشال غريق عرض نافع لكنه غير اقتصادي, لأنّه ليس لعرض الكسب وربما المراد من قولهم نافع أنه يؤدي إلى خلق المنفعة والكسب"(٣).

والعمل الصالح "هو الساحة الفيحاء التي تتجلى فيها مفاهيم التصور الاعتقادي الصحيح ، وهو ميدان فرسان بناة الحضارة، والمِحكّ لتطبيق النظريات.

والأعمالُ المبرورة المنبثقة من الإيمان بالله تعالى؛ كانت شواهدَ صادقة، وبراهين ساطعة، على صدق المعتقد، والهمّة العالية في جِدّيته."

فقد قال تعالى :﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾(٤)

نجد في الآية هذه أنّها تتناول الحياة الفردية ، فيذكر فيها أنّ كلّ إنسانٍ من ذكر وأنثى ، إذا ما آمن وعمل صالحاً فسيحيى حياةً طيّبةً . ولا نرى في هذه الآية أيّةَ إشارةٍ إلى أنّ « الحياة الطيّبة » محدودةٌ بيوم القيامة فقط ، بل تشير ظاهراً إلى الحياة الطيّبة في الدنيا ، أو تستوعب المفهوم العام للحياة في الدنيا والآخرة , ولكن ما هي الحياة الطيّبة ؟ اختلف المفسّرون في تفسير معنى الحياة الطيّبة ، فبعض فسّرها باللقمة الحلال ، وقال آخر أنّها القناعة والرضا بما قسمه الله تعالى ، وقال بعضهم أنّها العبادة مع لقمة الحلال ، وقال آخرون أنّها التّوفيق لطاعة الله تعالى ، وتبنّى آخرون

---

**(١) ويليام ستانلي، جيفونس الاقتصاد السياسي: ٤٧٣/١.**

**(٢) د. حسين عمر، موسوعة المصطلحات الاقتصادية:١٧٩.**

**(٣)د صادق مهدي السعيد، اقتصاد وتشريع العمل: ١٠ – ١٢.**

**(٤) النحل : ٧٩.**

تفسيرها بالنّظافة من جميع الأوساخ والأدران ، مثل الظّلم والخيانة والعدوان والذلّة والطّهارة والنّظافة والرّاحة ، فكلّها تندرج تحت ذلك المفهوم ، ولكن بالنّظر إلى جملة : « **وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ** » ، النّاظرة للأجر الآخروي ، يتبيّن أنّ المقصود من كلمة « الحياة الطيّبة » ، هو الإشارة للحياة السّليمة في هذه الدنيا[١]

والبناء الحضاري الضخم العملاق الذي أرسيت قواعده على كلمة التقوى؛ هو الشاهد الأقوى، لتلك العقيدة السمحة القوية الرحيمة البنّاءة.

ويبدأ اللقاء المنسجم بين التصور الاعتقادي، والعمل الصالح في بناء الحضارة، ومقوماتها؛ كون العمل ينبعث من صميم الإيمان بالله تعالى؛ وهو أثرٌ فعّالٌ من آثاره. "والمشهورُ عن السلف، وأهل الحديث أنّ الإيمانَ: قولٌ، وعملٌ، ونيّة. وأنّ الأعمالَ داخلةٌ في مسمّى الإيمان[٢].

والعمل الصالح مرتبط بالخلق الكريم ولا يشذّ عنه، فالعمل في الإسلام مشدود بالمبادئ الخلقية شداً وثيقاً[٣]

واختلفت تأويلات العلماء في بيان معنى الصالح فمنهم من عمها ومنهم من خصها على الفرائض وسنذكر مجموعة من أقوال العلماء منها:

إذ قال آخرون بأنّها "ما سوغه الشرع وحسنه من أعمال" [٤]، وقال فيها آخرون "إنّها الأعمال المستساغة المحسنة في الدين كأداء الأركان، والوفاء بحقوق الإنسان، ورعاية الأمانة والعدل في الأحكام، والعفو والإحسان، وصلة الأرحام، ومساعدة الضعاف والأرامل والأيتام، والجهاد في سبيل إعلاء كلمة الإسلام، والجهد في نشر العلم والعمل الطيب ودفع المفاسد والأوهام وإطعام الطعام وإفشاء السلام والمجاملة في المعاملة والكلام والإنصاف وحفظ العيب للأنام ومنع الجوارح عن الآلام والقلب عن كل ما يضر الخواص والعوام"[٥].

---

**(١) ينظر: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الأخلاق في القرآن: ١١ ٤١**

**(٢) ينظر:ابن رجب، جامع العلوم والحكم: ١٠٤١٧.**

**(٣) ينظر: د. عيسى عبده، العمل في الإسلام: ٣٧١١.**

**(٤)البيضاوي ،أنوار التنزيل وأسرار التأويل :٢٢٦/٣.**

**(٥) عبد الكريم المدرس، مواهب الرحمن: ١٢٢/١.**

وقال عبد الرحمن السعدي في تيسير الكريم الرحمن "بأنّها أعمال الخير أي ما تصلح به أحوال العبد وأمور دينه ودنياه وحياته الدنيوية والآخروية ويزول بها عنه فساد الأحوال"(١).

وذهب صاحب غريب القرآن إلى "أنّها جملة العمل الصحيح المستقيم في الدين بحسب حال المؤمن في موجب التكليف"(٢).

وهنا نجد رأياً آخر فيها "إنّ العمل الصالح هو العمل المراعى من الخلل واصله الإخلاص في النية وبلوغ الوسع في المحاولة بحسب علم العامل"(٣).

وكذلك هو "كل ما أستقام من الأعمال بدليل العقل والكتاب والسنة"(٤). وكما في بعض التفاسير بأنها الفرائض والنوافل"(٥).

وذهب بعض الباحثين إلى أنهاّ "الأعمال التي افترضها وأوجبها الله في كتابه على لسان نبيه والراجح والله أعلم"(٦).

الجمع بين التعاريف فيكون العمل الصالح كل ما يستقيم من الأعمال بدليل العقل والكتاب والسنة، مع إخلاص النية وبلوغ الوسع في المحاولة وإطلاق لفظ العمل الصالح شامل لجميع الأعمال الصالحة بلا استثناء وذلك رحمة من الله ولطف كبير فإنّه لو قيده بنوع خاص فربّما لم ينه ذلك لكل أحد ولكنه حين أطلقه فبإمكان الجميع أن ينهلوا من الخير فمن عجز عن عمل لن يعجز عن غيره، فهو يندرج تحت كل عمل فيه مرضاة لرب العالمين، فالصوم والصدقة والجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصلاة الليل والسعي على الأرامل، والمساكين ، ورعاية الأيتام وإغاثة الملهوفين وقراءة القرآن الكريم، ونحو ذلك من الأعمال المرضية عند الله تعالى والمقربة إليه، كلها داخلة في مفهوم العمل الصالح(٧).

---

**(١) عبد الرحمن بن ناصر السعدي ،تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:٢٨.**

**(٢) محمد بن أسماعيل الصنعاني ،تفسير غريب القرآن: ٢١٠/١.**

**(٣) المناوي التوقيف على مهمات التعاريف، (باب العين فصل الميم): ٥٢٧/١.**

**(٤) الزمخشري ،الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ١٥٠/١.**

**(٥)محمد عثمان عبد الله المراغي، تاج التفاسير: ٢٢٦/٢.**

**(٦)الطبري، جامع البيان:١٣٢/١.**

**(٧) ينظر: د. عيادة بن أيوب الكبيسي، الأربعون المنيرة في الأجور الكبيرة على الأعمال اليسيرة:٢٧٧.**

**المطلب الثاني: تأكيد الإسلام العمل الصالح**

"إنّ الدين الإسلام الذي ختم الله به الشرائع والرسالات السماوية أودع الله فيه عنصر الثبات والخلود وعنصر المرونة والتطور معا. وهذا من روائع الإعجاز في هذا الدين وآية من آيات عمومه وصلاحيته لكل زمان ومكان، وبهذه المزية يستطيع المسلم أن يعيش ويرتقي ثابتا على أصوله وقيمه وغاياته متطورا في معارفه وأساليبه وأدواته، متخذا من العمل وسيلته الأساسية في ذلك، حيث يوضح القرآن الكريم أنّ خيرية الإنسانية يكمن في العمل "[١].

وبالنظر إلى سيرة الأنبياء والرسل نجد كل واحد منهم أتقن من المهن والحرف ما كان مصدر رزقه فهذا نوح (عليه السلام )كان نجارا، وهذا إبراهيم(عليه السلام) خليل الله يمتهن الرعي، وهذا إدريس كان (عليه السلام) كان يشتغل خياطا، وهذا داوود (عليه السلام) يشتغل حداداً، وهذا يوسف(عليه السلام) كان يدير الحسابات في خزائن مصر، وهذا زكريا (عليه السلام) يمتهن النجارة، وهذا موسى (عليه السلام) كليم الله يشتغل أجيرا عند شعيب ثم راعيا، وهذا محمد حبيب الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يمتهن الرعي ومن بعده يحترف التجارة، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي( صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ما بعث الله نبيا إلاّ رعى الغنم فقال أصحابه وأنت فقال نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة [٢].

ومن الفوائد التي ذكرها العلماء من هذا الحديث أنّ الحكمة في إلهام الأنبياء من رعي الغنم قبل النبوة أن يحصل لهم التمرن برعيها على ما يكلفونه من القيام بأمر أمتهم، ولأنّ في مخالطتها ما يحصّل لهم الحلم والشفقة؛ لأنهّم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرقها في المرعى، ونقلها من مسرح ، إلى مسرح ودفع عدوها من سبع وغيره كالسارق، وعلموا اختلاف طباعها، وشدة تفرقها مع ضعفها ، واحتياجها إلى المعاهدة ألفوا من ذلك الصبر على الأمة ، وعرفوا اختلاف طباعها وتفاوت عقولها، فجبروا كسرها ، ورفقوا بضعيفها ، وأحسنوا التعاهد لها، فيكون تحملهم لمشقة ذلك

---

**(١)الزري ، حميد ناصر، مفهوم العمل في الإسلام وأثره في التربية الإسلامية:٨.**

**(٢) ينظر: العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري:١٢٠.**

أسهل ممّا لو كلفوا القيام بذلك من أول وهلة لما يحصل لهم من التدريج على ذلك برعي الغنم، وخصت الغنم بذلك لكونها أضعف من غيرها؛ ولأنّ تفرقها أكثر من تفرق الإبل والبقر لإمكان ضبط الإبل والبقر بالربط دونها في العادة المألوفة، ومع أكثرية تفرقها فهي أسرع انقيادا(١).

وقد كان الصحابة إلى جانب اشتغالهم بالجهاد، والإعداد له يعملون في حرف ومهن توفر لهم قوت عيالهم، فهذا أبو بكر كان يشتغل تاجرا، وهذا عثمان بن طلحة خياطا، وهذا خباب بن الأرت حداداً، وعبد الله بن مسعود راعياً للغنم، والزبير بن العوام خياطاً وتاجراً، وسلمان الفارسي حلاقاً(٢).

لقد جاء القرآن الكريم والسنة النبوية زاخرين بما يحث على العمل ، ويقدسه، ويجعله لصيق الإيمان بحيث لا يتحقق أحدهما دون الآخر، وبما يحث على أن يعتمد المسلم في عيشه وعيش من يعيلهم على نفسه بحيث لا يكون عالةً على مجتمعه يتجرع مهانة المسألة، ونذكر منها:

**أولا: في القرآن الكريم:**

فقد جعل المولى عز وجل العمل فريضةً شرعية فقال: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ (٣)

وقد وجه الشارع الحكيم عباده إلى السعي والعمل بعد انقضاء العبادات المفروضة، فقال تعالى: ﴿**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾(٤).

كما أمر المولى عز وجل عباده أن يستغلوا خيرات الأرض ولا يكون ذلك إلّا بالعمل والسعي الحثيث، قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾(٥).

---

**(١) ينظر: العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر:٥١٦.**

**(٢) ينظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الملوك والأمم:٣٠٥.**

**(٣) التوبة: ١٠٥.**

**(٤) الجمعة: ١٠.**

كما قدم سبحانه وتعالى العمل والسعي من أجل الرزق على الجهاد، فقال: ﴿**وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ**﴾[١].

**ثانيا: في السنة النبوية:**

عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قَال: **"**على كل مسلم صدقة ، قِيلَ: أرأيت أن لم يجد ؟ قَالَ: يعمل بيديه ، فينفع نفسه ويتصدّق، قَالَ: أرأيت إن لم يستطع؟ قَالَ: يعين ذا الحاجة الملهوف ، قَالَ: أرأيت إن لم يستطع؟ قَالَ: يأمرُ بالمعروف أو الخير ، قَالَ: أرأيت إن لم يفعل ؟ قَالَ: يمسك عن الشر فإنها صدقة**"**[٢]، وقال الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): **"**من سأل الناس أموالهم تكثراً فإنما يسأل جمراً فليستقل أو ليستكثر**"**[٣].

وعن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال: **"**ما أكل أحدٌ طعاماً قطُّ خيراً من أن يأكل من عمل يده وأن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده**"**[٤].

– وعن ابن عمر مرفوعا إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):**"** إن الله يحب المؤمن المحترف **"**[٥].

– وعن الحارث عن الإمام علي (عليه السلام) قال: سئل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم )أي الكسب أطيب؟ قال: **"**عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور**"** [٦]إذ أنّ الرسول أكد أنّ العمل كالصلاة تماما، ذلك أنّه عندما انتهى من بناء المسجد بالمدينة المنورة شرع في تأسيس السوق وتنظيم الحياة التجارية، فقال:**"** هذا سوقكم فلا ينتقصن ولا يضربن عليه خراج **"**[٧].

---

**(١) المزمل : ٢٠.**

**(٢) مسلم، صحيح مسلم ،كتاب الكسوف ،باب بيان أن أسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ، ٨٣١٣ ، رقم الحديث (١٠٠٨).**

**(٣)مسلم، صحيح مسلم ،كتاب الزكاة ،باب كراهة المسألة للناس، ١٣ ٩٦ ، رقم الحديث(١٧٢٤)**

**(٤)البخاري، صحيح البخاري، كتاب البيوع ،باب كسب الرجل وعمله بيده،٥٧١٣، رقم الحديث (٢٠٧٢).**

**(٥) الحر العاملي ،وسائل الشيعة،١٣٤١١٧،رقم الحديث(٢٢١٨٣).**

**(٦) الميرزا النوري،مستدرك الوسائل،٢٤١١٣،رقم الحديث (١٤٦٣٤)**

**(٧) الهيثمي، مجمع الزوائد ،باب ماجاء في الأسواق،٧٦١٤.**

فالمسجد يرمز إلى أعمال العبادة الروحية طلبا للحياة الآخرة، والسوق يرمز إلى أعمال العبادة الدنيوية، عبادة الكسب والارتزاق [١].

لا يجوز ترك الحياة الدنيا ولا ترك الآخرة، ولكن الواجب هو الجمع بين الحياتين، واعتبار الحياة الدنيا مكان عمل وإصلاح للوصول للآخرة. وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى ذلك في كتابه العزيز إذ يقول: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [٢].

يقول تعالى ذكره للمؤمنين من عباده، يا أيها الذين صدَّقوا بالله ورسوله (إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة) ذلك هو النداء ينادي بالدعاء إلى صلاة الجمعة عند قعود الإمام على المنبر للخطبة(فاسعوا إلى ذكر الله ) يقول أمضوا إلى ذكر الله، واعملوا له ,وأصل السعي في هذا الموضع هو العمل [٣]

ونستنتج من ذلك أن العمل والسعي للكسب ضرورة لبناء المجتمع ، وتأسيس الحضارات، لذا لابد من استثمار الجهود ، وتوظيف الخيرات التي أنعم الله بما علينا في عمل ما ينفع، وتحصيل الفائدة والأجر العظيم.

**المبحث الرابع: التعايش وقبول الآخر:**

**المطلب الأول: مفهوم التعايش ومستوياته:**

تعريف التعايش لغة: جاء في المعجم الوسيط: " عاش: عيشا ، وعيشة ، ومعاشا صار ذا حياة فهو عائش، أعاشه: جعله يعيش يقال أعاشه الله عيشة راضية، عايشه: عاش معه، عيشه: أعاشه، تعايشوا: عاشوا على الألفة والمودة ، ومنه التعايش السلمي"[٤].

---

**(١) ينظر: عبد الحميد مهدي، ركائز الحضارة:٦٠ – ٦١.**

**(٢) الجمعة:( ٩ – ١٠).**

**(٣) ينظر:الطبري ،جامع البيان:٥٥٤١٣**

**(٤) مجموعة من العلماء، المعجم الوسيط: ٢/ ٦٣٩-٦٤٠ مادة (عيش).**

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة: "تعايش الجيرانُ: عاشوا على المودَّة والعطاء وحسن الجوار "تعايش الرفيقان في غربتهما على الألفة, تعايشت الدّولتان تعايُشًا سِلميًّا"، التَّعايش السلمي بين الدُّول: الاتّفاق بينها على عدم الاعتداء" (١).

وسيرًا على المعني اللغوي تكون كلمة السلمي وصفاً مؤكداً لطبيعة التعايش، وعلى فرض وجود نوع من التعايش غير السلمي يكون الوصف مقيدًا يخرج به نوع التعايش غير السلمي" (٢).

ومن حيث الاصطلاح: ورد أيضا في معجم اللغة العربية المعاصرة: " عيش مشترك بين أقوام يختلفون مذهبًا أو دينًا أو بين دول ذات مبادئ مختلفة" (٣).

والناظر في تعريفات الباحثين لمفهوم التعايش يجد أنّهم اختلفوا في تحديد المفهوم بناء على مستوى التعايش: كونه سياسياً، أو اقتصادياً، أو دينياً ، أو عرقياً ، أو مذهبياً، أو كونه بين اتباع الديانات والمذاهب، أو الدول أو الأفراد.

ثمّة من يعّرِف مفهوم التعايش السلمي "بأنّه سياسة خارجية تنتهجها الدولة المحبة للسلام ، وتستند إلى فلسفة مقتضاها نبذ الحرب بصفتها وسيلة لفض المنازعات وتعاون الدولة مع غيرها من الدول لاستغلال الإمكانيات المادية والطاقات الروحية استغلالاً يكفل تحقيق أقصى قدر ممكن من الرفاهية للبشر بغض النظر عن النظم السياسية، أو الاجتماعية ، أو الاقتصادية" (٤)

ويرى آخر أنّ "التعايش السلمي يعني حالة من العلاقات الدولية تعيشها دول لها أنظمة اجتماعية متباينة ، أو ذات عقائد متعادية جنبا إلى جنب دون حرب "(٥).

ومع أنّ المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة الدكتور عبد العزيز التويجري يعرف التعايش السلمي بأنه: " يعني قيام تعاون بين دول العالم على أساس من التفاهم وتبادل المصالح الاقتصادية والتجارية، كما يعني اتفاق الطرفين على

---

**(١) أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: ١٥٨٣/٢.**

**(٢) عبد العزيز العوضي، القواعد الكبرى للتعايش السلمي من خلال القواعد الكلية:٧.**

**(٣) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة ، مصدر سابق: ٧١٢.**

**(٤) حسين فهمي مصطفى، التعايش السلمي ومصير البشرية:٢٢/١ .**

**(٥) ينظر أحمد بن محمود الديب ، التعايش في الإسلام:٢٥.**

تنظيم وسائل العيش بينهما، وفق قاعدة يحددانها مع تمهيد السبل المؤدية إليها" [١]وهو في هذا التعريف يميل إلى حصر التعايش بين الدول، غير أنّه يعود فيوسع المصطلح والمفهوم ويجعله ضمن مستويات ثلاثة فيقول: "

**المستوى الأول:** سياسي، إيديولوجي، يحمل معنى الحد من الصراع، أو ترويض الخلاف العقائدي بين المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي في المرحلة السابقة، أو العمل على احتوائه، أو التحكُّم في إدارة هذا الصراع بما يفتح قنوات للاتصال، وللتعامل الذي تقتضيه ضرورات الحياة المدنية والعسكرية. وقد عُرف التعايش، أول ما عُرف، على هذا المستوى الأول.

**المستوى الثاني:** اقتصادي، يرمز إلى علاقات التعاون بين الحكومات والشعوب فيما له صلة بالمسائل القانونية، والاقتصادية ، والتجارية، من قريب أو بعيد.

**المستوى الثالث:** ديني، ثقافي، حضاري، وهو الأحدث، ويشمل تحديدًا معنى التعايش الديني، أو التعايش الحضاري. والمراد به أن تلتقي إرادُة أهل الأديان السماوية والحضارات المختلفة في العمل من أجل أن يسود الأمن والسلام العالم، وحتى تعيش الإنسانية في جو من الإخاء والتعاون على ما فيه الخير الذي يعم بني البشر جميعًا، من دون استثناء [٢].

ومع شمول هذه المستويات التي ذكرها الدكتور التويجري، لكنّه يقتصر على التعايش بين الدول ، والشعوب ، والديانات، والحضارات، فهو يشير إلى التعايش الخارجي فقط، وهنالك من توسع في هذا المفهوم فأدخل فيه التعايش الداخلي؛ فالتعايش هو "مجتمعات متكاملة يعيش فيها الناس من مختلف الأعراق والأجناس والأديان منسجمين مع بعضهم البعض، ولا يتطلب أدنى فكرة للتعايش سوى أن يعيش أعضاء هذه الجماعات معا دون أن يقتل أحدهم الآخر" [٣].

ويؤكد ذلك عدد من الباحثين بقولهم: "ومصطلح التعايش السلمي كشعار سياسي يعني البديل عن العلاقة العدائية بين الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة، ومع هذا

---

**(١) د. عبد العزيز بن عثمان التويجري، الحوار من أجل التعايش:٧٧ – ٧٨.**

**(٢) ينظر،د. عبد العزيز بن عثمان التويجري، الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن الحادي والعشرين: ٤.**

**(٣) انطوينا تشايز ، تخيل التعايش معاً تجديد الإنسانية بعد الصراع الاثني العنيف:٢/٢٩.**

ليس هنالك أي مانع للتوسع في استخدامه في ساحة العلاقات الاجتماعية بين أتباع الديانات المختلفة وبخاصة المقيمين في دولة واحدة" [١].

وقال باحث آخر: "وإذا كان المفهوم يتجه إلى البحث للتعايش بين الاتجاهات المتباينة دينيًا أو سياسيًا فإنّي أرى أنّ الحاجة ماسة لبلورة رؤية مستوعبة حتى لأهل الملة الواحدة المتفقة دينيًا والمتباينة من بعض الوجوه التي تؤدي إلى الاحتراب في كثير من البلدان وخاصة الإسلامية. وإذا كان الأمر كذلك فإن التعايش السلمي يمكن أن يشمل الآتي:

١. التعايش بين أهل الملة الواحدة.
٢. التعايش بين أهل الملل المختلفة.
٣. التعايش بين الدول المختلفة سياسيًا.
٤. التعايش بين القوى الاجتماعية المختلفة.[٢]

وإذا تفحصنا التعاريف مرةً أخرى نجد عددا من التعابير التي يقصد بها بيان مفهوم التعايش، مثلا: (عيش مشترك بين مختلفين) ، (نبذ الحرب بصفتها وسيلة لفض المنازعات) ، (حالة من العلاقات الدولية تعيشها دول متباينة جنبا إلى جنب دون حرب) ، (القبول بوجود الآخر والعيش معه جنبا إلى جنب دون سعي لإلغائه أو الإضرار به) ، (قيام تعاون بين دول على أساس من التفاهم وتبادل المصالح)، (اتفاق الطرفين على تنظيم وسائل العيش بينهما) ، (الحد من الصراع)، أو (ترويض الخلاف العقائدي) البديل عن العلاقة العدائية بين الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة، فإذا حللنا هذه العبارات يمكننا الخلوص لمستويات من المفاهيم:

١. إنّ هذا النزاع ناتج عن اختلاف بين الطرفين وليس خلافا مصلحيا محدودا، سواء كان الاختلاف دينياً، أو فكرياً، أو طائفياً، أو عرقياً ، أو أثنياً، أو قومياً ، أو سياسياً.
٢. المستوى الأول هو نبذ الحرب في فض النزاعات واعتماد الوسائل السلمية، وهذا المستوى متفق عليه في مفهوم التعايش.
٣. مستوى الحدّ من الصراع وترويض الخلاف.

---

**(١) مجموعة من أساتذة معهد الفلسفة وأكاديمية العلوم بالاتحاد السوفيتي، مشكلة الحرب والسلام ٢١/١.**

**(٢) ينظر: عبد العزيز العوضي، القواعد الكبرى للتعايش السلمي:٧.**

٤. مستوى التعاون والتفاهم وتبادل المصالح.

٥. مستوى القبول بوجود الآخر والعيش معه دون سعي لإلغائه أو الأضرار به.

المشكلة أنّ التعاريف لم تحدد بدقة المستوى المطلوب لمفهوم التعايش، لكن يمكننا الخلوص إلى وجود مدرستين تتبنى كلٌ منهما مستوى معين لمفهوم التعايش:

**المدرسة الأولى:** هي المدرسة التي ينسب لها نشأة المصطلح، حيث تنسب بعض المصادر نشأة مصطلح التعايش السلمي إلى قادة الاتحاد السوفيتي السابق، فطرح المصطلح كحلّ لحالة الصراع بين المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي، فلم يوجد سوى خيارين: الأول الحرب، والثاني: التعايش السلمي فيقول: " فسواء كان جارك يعجبك أو لا فليس هناك سوى حل واحد هو إيجاد مجال للتفاهم معه؛ لأنّه ليس لنا سوى هذا الكوكب وهو لنا جميعا" (١).

وواضح من طرح هذه المدرسة أنّ مفهوم التعايش فيها يتضمن المستوى الأول وهو نبذ الحرب، والمستوى الثاني وهو الحدّ من الصراع، لكنّه لا يشمل باقي المستويات؛ لأنه يقرر بعدم وجود روح المحبة والتعاون، وأنّ الصراع سيبقى لكن بوسائل أخرى، فخرشوف لم يكن يعني به تراجع بلده الاتحاد السوفياتي عن تحقيق أهدافه المعلنة، بقدر ما كان يعني به محاولته تحقيق تلك الأهداف بطريقة تنسجم مع مقتضيات التغيرات التي طرأت على المسرح الدولي، كوجود ما يعرف بتوازن الرعب(٢).

الحقيقة أنّ هذا المفهوم: وهو التعايش من أجل التغالب عن طريق وسائل أخرى غير الحرب، باستخدام ما يصطلح عليه بالقوة الناعمة، كالضغوط الاقتصادية، والسياسية، والإعلامية وغيرها أمر سائد في عالم السياسة اليوم، على المستوى الخارجي بين الدول أو الحضارات، أو التحالفات، بل حتى الديانات، وأوضح مثال له جهود السلام والتعايش السلمي بين الفلسطينيين والكيان الصهيوني.

**المدرسة الثانية:** هي التي تعتمد جميع مستويات التعايش الأخرى، فتقصد بالتعايش السعي للوصول إلى حالة التعاون ، والتفاهم ، وتبادل المصالح ، والقبول بوجود الآخر والعيش معه دون سعي لإلغائه أو الأضرار به، وهذا المعنى هو الذي يقصده أغلب الباحثين في كتاباتهم، وهو شعار أغلب المؤتمرات العالمية، بل يكاد أنّ يكون اليوم هو

---

**(١) نيكيتا خروتشوف، التعايش السلمي: ١١.**

**(٢) ينظر: د. عبد الوهاب الكيالي وآخرون، الموسوعة السياسية: ٧٦٤ – ٧٦٥.**

المعنى العلمي لمفهوم التعايش السلمي، مع أنّ وجوده على أرض الواقع وفي عالم السياسة الدولية عزيز. وهنا نجد إنّ مصطلح التعايش السلمي ينقسم على قسمين:

**الأول:** التعايش السلمي التغالبي، حيث يتعامل الطرفان المختلفان بالوسائل السلمية بعيدا عن العنف والحرب، لكن مع استمرار الصراع والمغالبة بين الطرفين، أو من أحدهما.

**الثاني:** التعايش السلمي بالتساوي، حيث يسعى الطرفان المختلفان إلى حلّ الخلاف في جو تسوده العدالة والرغبة في إعطاء كلّ ذي حق حقه دون مغالبة أو محاولة لإلغاء الآخر أو الإضرار به[١]

يفسر بعض الباحثين التعايش بهذا الفهم الموضوعي لطبيعته ولرسالته "هو اتفاق الطرفين على تنظيم وسائل العيش: أي الحياة فيما بينهما وفق قاعدة يحددانها، وتمهيد السبل المؤدية إليه،" إذ أن هناك فارقًا بين أن يعيش الإنسان مع نفسه، وبين أن يتعايش مع غيره، ففي الحالة الأخيرة يقرر المرء أن يدخل في عملية تَبادلِيةٍ مع طرف ثانٍ، أو مع أطراف أخرى، تقوم على التوافق حول مصالح، أو أهداف، أو ضرورات مشتركة.

وهنا قد يتساءل بعضهم عن سرّ اختلاف الناس في أديانهم هذا الاختلاف الشاسع ، وأنّ هذا كيف يجتمع مع قوة أدلة الدين الحق ، ووضوح حجته وبرهانه ؟

وجواب ذلك : أن كثرة الخلاف في الحق لا تنافي وضوحه ، لا بمعنى وضوحه للمخالف فيه ، بل بمعنى وضوحه في حدّ نفسه ، بحيث لو أراد الإنسان الفحص عنه بالطرق العقلائية والنظر في أدلته ، وتحكيم الوجدان فيه ، لوصل إليه ، وإنمّا لم يستوضحه المخالف لتفريطه في أمره ، إمّا لعدم اهتمامه بالبحث والفحص ، أو لوجود المانع عنده من الاستجابة للأدلة – من مصالح مادية ، أو تعصب ، أو تقليد أعمى ، أو غير ذلك – يفقد الإنسان به رشده ، ويعطل عقله ، ويخرج بسببه عن الطرق العقلائية المعول عليها – عنده وعند جميع العقلاء – في عامّة الأمور

ومن أجل ذلك لا يكون معذوراً بين يدي الله تعالى ، الذي فرض الحق ، وأوضح حجته[٢].

---

**(١) ينظر :عبد العزيز بن عثمان التويجري ، الحوار من أجل التعايش: ٧٨**

**(٢) ينظر: السيد محمد سعيد الحكيم، أصول العقيدة: ١٩-٢٠**

**المطلب الثاني: مفهوم التعايش في الاسلام**

"لا يخرج مفهوم التعايش بين الأديان، عن هذا الإطار العام، بأية حال من الأحوال، وإلاَّ فقد خصوصياته، وانحرف عن غاياته، وهذا ما يُحَتّم وجود قاعدة ثابتة يقوم عليها التعايش بين الأديان. وهو أمر له صلة وثيقة برسالة كلِّ دين من هذه الأديان، وبالمبادئ التي يقوم عليها، وبالقيم والمُثُل التي يدعو إليها" [١].

فحقيقة الشرائع السماوية في جميع الأدوار والأجيال كانت أمرا واحدا وهو التسليم لفرائضه وعزائمه وحده جل وعلا . ولأجل ذلك كتب الرسول إلى قيصر عندما دعاه إلى الإسلام ، قوله سبحانه : ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾ [٢] وقد أمر سبحانه في آية أخرى رسوله بدعوة معشر اليهود أو الناس جميعا إلى اتباع ملة إبراهيم قال سبحانه وتعالى: ﴿**فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[٣].

وردت في القرآن الكريم العديد من الألفاظ التي لها علاقة بمصطلح التعايش السلمي، لعلّ من الأنسب التعريف بها كي يتوضح المجال المشترك بين المصطلحات، ومن هذه المصطلحات:

١. السلم: ضد الحرب، والسلم واحد، وفي التنزيل: ﴿**وألقَوْا إلَيْكُم السَّلَم**﴾[٤]. وجئتك بفلانٍ سَلَماً، "أي مستسلماً لا يُنازِع "[٥]، "والسَّلم و السلام، والسَّلم :الصلح بفتح السين وكسرها يُذكّر ويؤنث، والسلمُ: المسالم تقول: أنا سلمٌ لمَن سالمني والسَّلامُ السلامة"[٦].

٢. والسلم: فِي حقيقته الشرعية لاَ يبتعد عن حقيقته اللغوية، ولذا قَالُوا: هُوَ الصلح خلاف الحرب، أو هو: ترك الجهاد مَعَ الكافرين بشروطه، قَال تعالى: ﴿ **وَإِن**

---

**(١) الحوار من أجل التعايش/٨٠.**

**(٢) آل عمران : ٦٤**

**(٣) آل عمران: ٩٥**

**(٤) النساء: ٩٠.**

**(٥) أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، الاشتقاق: ٣٤/١.**

**(٦) الرازي، مختار الصحاح: ٣٢٦/٣ مادة(سلم).**

**جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾** (١). (٢)

٣. الصلح: قال تعالى: ﴿**إِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ** ﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾(٤)

٤. والصلح لغة: "أسم بمعنى المصالحة التي هي خلاف المخاصمة, وأصله بمعنى الصلاح الذي هو بمعنى استقامة الحال ، والإصلاح نقيض الإفساد" (٥)،وشرعاً: "هو عقد يرفع النزاع بالتراضي أَيْ بتراضي الطرفين المتخاصمين ويزيل الخصومة ويقطعها بالتراضي" (٦).

٥. العهد: قال تعالى: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ**﴾ (٧)، العَهْدُ: "الأمان، واليمين والموثق ، والذمة ، والحِفاظ ؛ والوصية وعَهِدَ إليه من باب فَهِم أي أوصاه ومنه اشتق العَهْدُ الذي يُكتب للولاة، وكلُّ ما بين العبادِ من المواثِيقِ فهو عهدٌ، العَهْد الأَمانُ وكذلك الذمة" (٨).

وأهل العهد: "هم الذين صالحهم إمام المسلمين على إنهاء الحرب مدة معلومة لمصلحة يراها، والمُعاهد من العهد: وهو الصلح المؤقت ، ويسمى الهدنة والمهادنة والمُعاهَدَة والمسالمة والموادعة" (٩).

واصطلاحا: "ما يتفق رجلان أو فريقان من الناس على التزامه بينهما

---

**(١) الأنفال: ٦١.**

**(٢) ينظر: مجموعة من العلماء، الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٣٠/٢٥.**

**(٣) النساء: ١٢٨.**

**(٤) الحجرات: ٩.**

**(٥) الرازي ، مختار الصحاح: ٣٧٥/٣, مادة (صلح ) ، وكذلك ابن منظور ، لسان العرب: ٥١٦/٢.**

**(٦)علي حيدر، درر الحكام شرح مجلة الأحكام العدلية: ٢/٤ .**

**(٧) التوبة : ٤.**

**(٨) الرازي ، مختار الصحاح: ١٣ ٤٦٧ ،مادة (عهد)**

**(٩) الموسوعة الفقهية الكويتية: ١٠٥/٧.**

لمصلحتهما المشتركة، فإن أكداه ووثقاه بما يقتضي زيادة العناية بحفظه والوفاء به سمي ميثاقا "[١].

والغرض الأول من المعاهدات في الإسلام هو ترك قتال كل من الفريقين المعاهدين للآخر، وحرية التعامل بينهما [٢].

ويدخل ضمن معنى المعاهدة الميثاق، كقوله تعالى: ﴿**لَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُواْ قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا**﴾ [٣].

١- الأمان: قال تعالى: ﴿**سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا**﴾ [٤]، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ**﴾ [٥]، الأَمَانُ فِي اللُّغَةِ: "عَدَمُ تَوَقُّعِ مَكْرُوهٍ فِي الزَّمَنِ الآتِي، وَأَصْل الأَمْنِ طُمَأْنِينَةُ النَّفْسِ وَزَوَال الْخَوْفِ" [٦]، وفي الشرع: "هو عقد يفيد ترك القتل والقتال مع الكفار" [٧]، وترك القتال قد يكون نتيجة للأمان الذي منحه الكفار للمسلمين كما هو نتيجة للأمان الذي يمنحه المسلمون للكفار.. وعليه، ففي كلتا الحالتين، يجب وقف القتال ضدّ هؤلاء الكفار من أهل الحرب، سواء كانوا مانحين للأمان، أم كانوا ممنوحين له من قبل المسلمين، ومن هنا يبرز كونه نوعا من الموادعة [٨]، ومما يدخل في معنى الأمان:

---

**(١)د. وهبة الزحيلي، آثار الحرب في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة :٣٤٦.**

**(٢) ينظر: المصدر نفسه.**

**(٣) النساء: ٩٠.**

**(٤) النساء:٩١.**

**(٥) التوبة:٦.**

**(٦) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن: ٤٨٤/١.**

**(٧) محمد الخطيب الشربيني الشافعي، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: ٢٣٦/٤.**

**(٨) ينظر: د. محمد خير هيكل، الجهاد والقتال في السياسة الشرعية: ١٤٩٩/٣.**

٢- الذمّـة ودفـع الجزيـة: ولـم يـرد مصـطلح الذمّـة فـي القـرآن الكـريم، بـل ورد فـي السـنة النبويـة، لكـنّ الحكـم الشـرعي بـدفع الجزيـة ورد فـي قولـه تعـالى: ﴿**قَـاتِلُوا الَّـذِينَ لَا يُؤْمِنُـونَ بِـاللَّهِ وَلَا بِـالْيَوْمِ الْآخِـرِ وَلَا يُحَرِّمُـونَ مَـا حَـرَّمَ اللَّهُ وَرَسُـولُهُ وَلَا يَـدِينُونَ دِيـنَ الْحَـقِّ مِـنَ الَّـذِينَ أُوتُـوا الْكِتَـابَ حَتَّـىٰ يُعْطُـوا الْجِزْيَـةَ عَـن يَـدٍ وَهُـمْ صَـاغِرُونَ**﴾ [١]، والذمّـة: فِـي اللُّغَـةِ "تُفَسَّـرُ بِالْعَهْـدِ وَبِالأَمَـانِ كَتَسْـمِيَةِ الْمُعَاهَـدِ بِالـذِّمِّيِّ، وَفُسِّـرَ قَوْلُـهُ (صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ والـه وَسَـلَّمَ): ذِمَّـةُ الْمُسْـلِمِينَ وَاحِـدَةٌ يَسْـعَى بِهَـا أَدْنَـاهُمْ" [٢]: "بِالأَمَـانِ "[٣]، وتعريـف عقـد الذمّـة هـو: "إقـرار بعـض الكفـار علـى كفـرهم بشـرط بـذل الجزيـة والتـزام أحكـام الملـة، وقيـل: التـزام تقريـر غيـر المسـلمين فِـي دارنـا وحمـايتهم والـذب عنهم بشرط بذل الجزية والاستسلام منهم "[٤].

٣- الصـفح الجميـل: ومعنـاه: صَـفْحٌ بِـلَا مُعَاتَبَـةٍ [٥]، قـال تعـالى: ﴿**وَمَـا خَلَقْنَـا السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَـا بَيْنَهُمَـا إِلَّا بِـالْحَقِّ وَإِنَّ السَّـاعَةَ لَآتِيَـةٌ فَاصْـفَحِ الصَّـفْحَ الْجَمِيـلَ**﴾[٦]، أمـر نبيه(صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم) بالصـفح وذلـك يقتضـي المهادنـة[٧]. "أي فـأعرض عـنهم، واحتمـل مـا تلقـى مـنهم إعراضـاً جمـيلاً بحلـم وإغضـاء، وقيـل: هـو منسـوخ بآيـة السـيف وهـو بعيـد؛ لأن المقصـود مـن ذلـك أن يظهـر الخلـق الحسـن والعفـو والصـفح، فكيـف يصـير منسـوخاً" [٨]، ومثلـه قولـه تعـالى: ﴿**فَاصْـفَحْ عَـنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾ [٩].

٤- كلمـة سواء: قـال تعـالى: ﴿**قُـلْ يَـا أَهْـلَ الْكِتَـابِ تَعَـالَوْا إِلَـىٰ كَلِمَـةٍ سَـوَاءٍ بَيْنَنَـا وَبَيْـنَكُمْ أَلَّا نَعْبُـدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْـرِكَ بِـهِ شَـيْئًا وَلَا يَتَّخِـذَ بَعْضُـنَا بَعْضًـا أَرْبَابًـا مِّـن دُونِ اللَّهِ ۚ فَـإِن**

---

(١) التوبة::٢.

(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه، باب حرم المدينة ، ٦٦١/٢ ، رقم الحديث( ١٧٧١).

(٣) أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير:١١١.

(٤) محمد بن أحمد بن محمد عليش، منح الجليل شرح مختصر خليل: ٢١٣/٣.

(٥) أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى الكبرى: ١٨٣/١٠.

(٦) الحِجر:٨.

(٧) أبي حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط: ٤٥٢/٥..

(٨) الرازي ، تفسير مفاتيح الغيب ١٦٤/١٩.

(٩) الزُّخرُف: ٨٩.

**تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾** [١] بمعنى: "عدل بيننا وبينكم مستوية، أي أمر مستو يقال: دعا فلان إلى السواء، أي إلى النصفة، وسواء كل شيء وسطه ومنه قوله تعالى: ﴿**فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ**﴾[٢]، وإنما قيل للنصف سواء لأن أعدل الأمور وأفضلها أوسطها"[٣]، فالدعوة لكلمة سواء تعني: " أنه دعاهم إلى معانٍ جميع الاس فيها مستوون صغيرهم وكبيرهم، وقد كانت سيرة المدعوين أن يتخذ بعضهم بعضا أربابا فلم يكونوا على استواء حال، فدعاهم بهذه الآية إلى ما تألفه النفوس من حق لا يتفاضل الناس فيه" [٤].

٥- الجدال بالتي هي أحسن: قال تعالى: ﴿ **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ [٥]، ومثله قوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ [٦]، والمجادلة: مفاعلة من الجَدل، "وهو إقامة الدليل على رأي اختلَف فيه صاحبه مع غيره، وبالتي هي أحسن أي إلا بالمجادلة الحُسنى،" قَالَ مجاهد: "هي محكمة فيجوز مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن معنى الدعاء لهم إلى الله عزوجل ، والتنبيه على حججه وآياته رجاء أجابتهم إلى الإيمان ، لا على طريق الأغلاظ والمخاشنة " [٧].

أما قبول الآخر فكان يعني قبولا للاختلاف والتنوع فإنّ الاختلاف والتنوع في الإسلام طبيعة وسمة إسلامية إنسانية، فالأمة الإسلامية أمة الاختلاف والتنوع، لكونها تشمل حضارات وقارات وأعراف والوان وقوميات متعددة، فقد حرم الإسلام التعامل بشكل مختلف بين المسلمين وبينهم وبين الغير بسبب الاختلاف والتنوع، ووضع القواعد الخاصة، بشكل إنسان وعلمي يحفظ كرامة الإنسان وخصوصيته، ومعرفة مفهوم قبول

---

**(١) آل عمران: ٦٤.**

**(٢) الصافات : ٥٥.**

**(٣) البغوي، تفسير معالم التنزيل: ٤٩/٢.**

**(٤) أبن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٤٦٣/١.**

**(٥) العنكبوت: ٤٦.**

**(٦) النحل: ١٢٥.**

**(٧) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ٣٥٠/١٣ .**

الآخر يتطلب معرفة موقف الإسلام من الاختلاف والتنوع، حيث سبق القول أنّ ثقافة قبول الآخر والتسامح تظهر عندما يكون له اختلاف بين أبناء المجتمع، وقد اعتمد الإسلام الاختلاف والتنوع من طبيعة الكون والحياة، لقوله تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ**﴾[١] أي اختلاف لغاتكم وأصواتكم وصوركم وألوانكم، لأنّ الخلق يشمل كل عربي وعجمي وأسود وأحمر وأبيض [٢]. وقوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾ [٣].

إنّ المراد هو الجنس البشري في جملته، فإنهّم كانوا أمة واحدة على الفطرة، إذ كانوا يعيشون عيشة السذاجة والوحدة كأسرة واحدة، حتى كثروا وتفرقوا في الأرض فصاروا عشائر، فقبائل ، فشعوبا تختلف حاجاتها وتتعارض منافعها، فتتعادى وتتقاتل في التنازع فيها، فبعث الله فيهم النبيين والمرسلين لهدايتهم، وإزالة الاختلاف بكتاب الله ووحيه، ثم اختلفوا في الكتاب نفسه أيضا بغيا بينهم واتباعا لأهوالهم [٤].

الفروع أشد اختلاف [٥]. ولقوله (صلى الله عليه وآله وسلم ) « إنّ الحاكم إذا اجتهد فأخطأ فله أجر، أي أجر الاجتهاد، وإذا اجتهد فأصاب كان له أجران » [٦]، وهذا دليل على أنه وكل بيان بعض الأحكام إلى اجتهاد العلماء وأنّه أجر مَن أصاب منهم الأجرين الموعودين أحدهما بالاجتهاد والآخر بإصابة العين المطلوبة بما عليها من الدلالة في الكتاب أو السنة وأنّه أجر من اجتهد فأخطأ أجرا واحداً باجتهاده ورفع إثم الخطأ عنه وذلك في أحكام الشريعة التي لم يأت بيانها نصاً وإنما ورد خفيا [٧]. قالوا:" وهذا نص على أنّ في المجتهدين وفي الحاكمين مخطئاً ومصيباً "[٨]، أي أجر الاجتهاد وأجر الإصابة، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «مهما أوتيتم من

---

**(١) الروم: ٢٢.**

**(٢) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القران: ٨٧/٢٠.**

**(٣) يونس : ١٩.**

**(٤) المتقي الهندي،كنز العمال، ٩٣١٣ ،رقم الحديث(٥٦٢٥).**

**(٥) ينظر: محمد رشيد رضا، المصدر نفسه: ٢١٨/١١.**

**(٦) البيضاوي،أنوار التنزيل وأسرار التأويل:٧٦/٢.**

**(٧) ينظر: المصدر نفسه: ١٢ ٤٥٨.**

**(٨) البكري الشرطي، شرح صحيح البخاري: ٣٨٢/١٠.**

كتاب الله فالعمل به لا عذر لأحد في تركه، فإن لم يكن في كتاب الله فسنة مني ماضية، فإن لم تكن سنة مني فما قال أصحابي، إن أصحابي بمنزلة النجوم في السماء، فأيما أعلم به اهتديتم، واختلاف أصحابي لكم رحمة » وإنمّا منع الله اختلافاً هو سبب الفساد. فقد تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمني ثلاثا وسبعين فرقة [١]. فالاختلاف في فكر المسلمين جائز ومقبول. وقال الفقهاء المسلمون في الاختلاف والتنوع، بأنّه حاجة من الحاجات الطبيعية لأي مجتمع من المجتمعات، فالله تعالى الذي خلق الحياة لا نهاية لها، فأعطى استعدادا لعلم لا حد له، يهدي إلى أعمال اجتماعية لا حد لها ولا نهاية، فلا بد لجماعته في التعاون عليها من وازع نفسي وجداني يزغ كلا منهم، ويردعه عن البغي والعدوان على غيره[٢].

حيث أوجب الإسلام على المسلمين والمسلمات أن يتعاملوا مع بعضهم على الرغم من اختلاف أصولهم ، كما ورد في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [٣]. وروي أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال في خطبة الوداع في وسط أيام التشريق: «يا أيّها الناس، ألا إنّ ربكم واحد، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأسود على أحمر، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى، إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم، ألّا هل بلغت؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال فليبلغ الشاهد الغائب» [٤]. ومن ذلك يتضح ما يأتي: إنّ ربَّ الجميع واحد هو الله تعالى، ووحدة الخالق تقضي وحدة المخلوق, إنّ البشر مهما اختلفت أصولهم فهم يرجعون لآدم (عليه السلام)، فقد خلق الله التعارف: فقد خلق الله الخلق بين الذكر والأنثى وأنسابا وأصهارا وقبائل وشعوباً، وخلق لهم منها التعارف، وجعل لهم بها التواصل الحكمة التي قدرها وهو أعلم بها، فصار كل أحد يجوز نسبه، فإذا نفاه رجل عنه استوجب الحد بقذفه، مثل أن ينفيه عن رهطه وحسبه، بقوله للعربي: يا عجمي، وللعجمي: يا عربي، ونحو ذلك مّما يقع به النفي حقيقة[٥]

---

**(١) ينظر: ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تفسير اللباب في علوم الكتاب: ١٨٧/٧.**

**(٢) ينظر: محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، تفسير المنار: ١٠/ ٣٠٣.**

**(٣) الحجرات: ١٣.**

**(٤) محمد رشيد رضا، المرجع نفسه: ٢٥/١.**

**(٥) ينظر: عبد القادر الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٤١٤/٧.**

وثقافة قبول الآخر والتسامح في الإسلام أوسع بكثير من ثقافة التسامح في الغرب. ذلك أن ثقافة التسامح في الغرب تعني التسامح في الأفكار السياسية والسماح للآخرين بممارسة حقوقهم، ولا تعفي المعتدين من العقوبات التي يفرضها القانون، بينما ثقافة التسامح في الإسلام تقوم على تنازل الشخص عن حقه الذي منحة له الشرع الإسلامي، وفوق هذا وذلك ملك المشّرع الصلح مع من اعتدي عليه.

وهنالك العديد من حالات قبول الآخر والتسامح في الإسلام وفق ما نص عليه القرآن. ومن الصعوبة أن نورد كل الحالات الخاصة بثقافة قبول الاختلاف والتنوع في الإسلام، وسنطلعكم عن بعضها:

دولة المدينة: إن أول دولة أقامها الإسلام قامت على ثقافة التسامح، وقيل أن أول دستور في الإسلام وهو العهد أو الميثاق أو الاتفاق الذي أعطاه النبي (صلي الله عليه واله وسلم )لأهل المدينة قام على ثقافة قبول الآخر والتسامح. إذ يشمل هذا العمل القانوني جميع من كان في المدينة من المسلمين، ويهود، ومسيحيين، ومشركين. وهذه الجبهة العريضة التي تعاهدت مع المسلمين جميعها معادية للإسلام. ولكن الإسلام تقبل التعامل معها، مع بقاء كل منهم على معتقداته السابقة. وهذا كما ترى قمة ثقافة التسامح بدأ بها الإسلام ليس من باب الضعف، بل من باب التعايش السلمي الذي يعد الركن الأساس للإسلام في التعامل مع غير المسلمين.

من أبرز مظاهر ثقافة قبول الآخر في الإسلام هو أنه طبق قاعدة: **"**الإسلام يَجُبُّ ما قبله**"** مطلقا، إذ يسقط كل ذنب كان قبل الإسلام. مغزى هذه القاعدة لا تعني ما قبله العصر الجاهلي الذي كان قبل الإسلام، بل المشرك عندما يدخل الإسلام لا يحاسب عما كان عليه قبل إسلامه وإن كان ذلك حدث هذا اليوم[١].

العفو العام: عندما تم فتح مكة قبض على عدد من المشركين، وكان المشركون في عنفوان طغيانهم واعتدائهم، وقد عمل (صلى الله عليه واله وسلم) يوم الفتح بهذه الوصايا فعفا عن قدرة، وحلم، وعزة، وسلطة. وقال: «أنتم الطلقاء» وأحسن إلى المؤمن، والكافر، والبَرّ ، والفاجر [٢].

---

**(١) ينظر: محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، تفسير المنار: ٣٠١/٦.**

**(٢) ينظر: أبن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم: ١١٤/٢.**

عفا الله عما سلف: تعد قاعدة عفا الله عما سلف من أهم القواعد الإنسانية، فقد صفح النبي(صلى الله عليه واله وسلم )عن هند بنت عتبة التي شقت بطن الحمزة فأخذت منها كبده، فجعلت تلوكها ثم تطرحها، فأهدر دمها [١]. وعند فتح مكة قال النبي (صلي الله عليه واله وسلم) لهند: «عفى الله عما سلف»، وعفى عنها، وهذا يمثل أروع صورة للتسامح في الإسلام. وفي هذه الواقعة ثبت أن الإسلام دين فضيلة وتسامح مع من ارتكب الجرائم ضد المسلمين.

التوبة: قيل في المحاربين المفسدين من الكفار إذا تابوا عن الكفر والحرب والفساد ودخلوا في الإسلام قبل القدرة عليهم، يسقط عنهم كل خطا كان قبل الإسلام [٢]، فقد جاء في قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيم**﴾ [٣].

تستمر ثقافة التسامح في الإسلام إلى آخر لحظة في حياة الإنسان. لهذا قيل: أمّا من تاب من شركه قبل حضور الموت، فإنّ الله يغفر له؛ لأنّ الإسلام يَجُبُّ ما قبله. ونظرية التوبة في الإسلام نظرة واسعة، تعد أساس التعامل في الإسلام لفتح صفحة جديدة لحياة الإنسان في الاندماج والتسامح[٤].

التسامح مع الأديان: نظر الإسلام للأديان السماوية نظرة تسامح، فكان عداء اليهود للمسلمين عداوة سياسية جنسية، ليست من طبيعة الدين ولا من روحه ؛ ولذلك كان ضلع اليهود مع المسلمين في الشام والأندلس لما رأوا عند مسلمي العرب من العدل المزيل لما كان عليه الروم والقوط من الجور عليهم والظلم، وكذلك كانت عداوة النصارى للمسلمين في الصدر الأول للإسلام سياسية ؛ ولذلك كانت على أشدها بينهم

---

**(١) ينظر: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، بحر العلوم: ٣١٩/١.**

**(٢) وروى ابن جرير أنّ حارثة بن بدر كان محاربا في عهد أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، فطلب من الحسن بن علي، ثم من ابن جعفر، أن يستأمن له عليا، فأتيا عليه، فأتى سعيد بن قيس فقبلة، قال الراوي فلما صلى علي الغداة أتاه سعيد بن قيس، فقال يا أمير المؤمنين ما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله؟ فقرأ الأمام علي (عليه السلام) الآيتين، فقال سعيد: وإنّ كان حارثة بن بدر؛ قال: وإن كان حارثة بن بدر، قال: فهذا حارثة بن بدر جاء تائبا، فهو آمن؟ قال: نعم قال فجاء به فبايعه، وقبل ذلك منه، وكتب له أمانا الهمداني ، كتاب الإكليل: ١٠**

**(٣) المائدة: ٣٩.**

**(٤) ينظر: الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ٢٥٧**

وبين الروم ,الرومان المستعمرين للبلاد المجاورة للحجاز ؛ كالشام ومصر، وكان نصارى البلاد أقرب إلى الميل للمسلمين بعد ما وثقوا بعدلهم لما كانوا يقاسون من ظلم الروم على الرغم من كونهم من أهل دينهم، وهذا شأن الناس في العداوة والمودة أبدا ؛ يتبعون في ذلك مصالحهم ومنافعهم، فلا ينبغي أن يجعل ما ذكر وصفا ذاتيا لهم أو لدينهم[١].

نستنتج من ذلك أنّ التسامح لجميع مراحل الدولة الإسلامية شملت ثقافة قبول الآخر والتسامح جميع مراحل الدولة الإسلامية منذ قيامها إلى الوقت الحاضر عبر قبولها التعايش مع غير المسلمين من اليهود والمسيحيين الموجودين في الدولة الإسلامية بمراحلها كافة، فكانوا تحت رعاية الدولة الإسلامية وحمايتها، وهذا لا يجد له أي تطبيق في الأديان الأخرى حتى وقت قريب، بل أنّ بعض الدول من غير الإسلامية لا تسمح للمسلمين وإنّ كانوا من رعاياها بارتداء الزي الإسلامي أو أداء الطقوس الدينية، وهذا ما يبين علوا الإسلام في تقبل ثقافة التسامح.

**(١) ينظر: محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، تفسير المنار: ٦/٣٨٠.**

**الخاتمة**

خلصت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها:

١. عناية القرآن الكريم ببيان السنن الإلهية في التخلق الحضاري عناية كبير، ويعد القرآن الكريم مستودعاً لقوانين وسنن ربانية في قيام الحضارات واندثارها.

٢. إنّ السنن الإلهية في بناء الحضارات وتخلقها ثابتة لا تتحول ولا تتغير بل هي أكثر ثباتا من سنن الله الكونية ثم هي شاملة عامة لا تحابي أحداً ، واقعية قاهرة قائمة على مبدأ العدل والحكمة

٣. سنن الله في بناء وتكوين الحضارات، تقوم على ارتباط الأسباب بالمسببات على ارتفاع موانع تلك السنن وقيامها على مبدأ السببية لا ينافي القدر الإلهي فقدر الله مبني على علمه تعالى الأزلي بالأسباب والمسببات جميعا.

٤. إنّ الإنسان يعد في التصور القرآني أحد شروط التخلق الحضاري وإنّ هذا الانسان يجب أن يحمل مواصفات معينة حتى يكون له الدور المنشود في البناء الحضاري والاجتماعي.

٥. العمل الصالح هو الساحة، التي يتسابق فيها بناة الحضارة، وهذا العمل له مفهوم شامل وعام، يستغرق ميادين البناء، والعبادة.

٦. العدل قوام الحضارة، وسبب من أسباب بقائها مزدهرة. وأي حضارة مهما زهت ألوانها، ولم تقم على العدل؛ فإنّ لعنة الله، ودعوة المظلومين ستطاردها.

٧. تعد الأخلاق ركيزة من ركائز الحضارة، والروح التي تسري في أوصالها، وهي نبعة صافية تنساب من الإيمان بالله تعالى.

٨. الحضارة الرشيدة، هي التي تملك نظرة شمولية، تستغني بها عن غيرها ، فتحافظ على تميزها، فكراً وعطاء.

٩. حتى تحقق الحضارة أهدافها ، فإنّ الاقتصاد المزدهر يعد قوة كبرى في دفعها إلى الصعود، ويبسط الرخاء على أهلها، وهناك حالة خادعة من الإزدهار الاقتصادي، وهذا ليس من

مقومات الحضارة في شيء، بقدر ما هو من علامات انهيارها، ويتلخص هذا الخداع بالتنعم بمظاهر الترف، ويختفي وراءها ركام هائل من الديون.

١٠. الحضارة لها ضوابط، تساهم في استمرارها، وديمومتها، وتقيها شر الاندثار، والأقوال. وأهم ما يساعد الحضارة على البقاء والاستمرار، التناصح بين أفرادها على شتى المواقع. فالنصيحة حركة دؤوب، وعين بصيرة تكشف كل خلل قبل استفحاله.

١١. المحاسبة أرقى أشكال النصيحة؛ فهي لا محاباة فيها، وضربت الحضارة الإسلامية أروع الصور في المحاسبة؛ حيث طلبها الخلفاء، وأمروا الأمة بها.

**التوصيات**

عالج البحث أحدى الإشكالات الفكرية وعرضها على القرآن الكريم ، وتدعو الباحثة إلى عرض المزيد من المشاكل الإنسانية على كتاب الله لاستخلاص الحلول منه ويوصي:

١. أن تتجه عناية الدارسين والباحثين إلى القرآن الكريم لصياغة تصور وفلسفة قرآنية خاصة عن التخلق الحضاري بناء وهدما فالقرآن حثّ ونبه على هذا الأمر في الكثير من آياته.
٢. أن تنال دراسة السنن الربانية في الكون والحياة اهتماما يليق بها في الدراسات القرآنية بخاصة، وفي سائر الدراسات العلمية عامة، ويساعد على ذلك أن تكون مقرراً دراسياً في أقسام الدراسات الإسلامية والإنسانية. وعرضه لهذه السنن بأساليب متنوعة

## المصادر والمراجع

**أولاً: المصادر العربية:**

**القرآن الكريم**


١- إبراهيم مصـــطفى وآخرون ، المعجم الوســـيط، تح :مجمع اللغة العربية ,الطبعة الرابعة ,مكتبة الشروق / القاهرة ١٤٢٥هـ .

٢- ابن حبان(ت٣٥٤هـ)، محمد بن حيان بن أحمد، صـــحيح بن حبان، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٨م.

٣- ابن خلدون(ت٨٠٨هـ)، تاريخ ابن خلدون، دار الفكر للطباعة والنشـــر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠١م.

٤- ابن مفلح، محمد المقدسي، الآداب الشرعية ومنح الرعية، مطبعة المنار، مصر، ١٩٣٠م.

٥- ابن منظور(ت٧١١هـ)، لســـان العرب ، دار إحيـاء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٩م.

٦- أبو إسحاق إبراهيم الشاطبي، الموافقات، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٤،

٧- أبو الحسن علي الماوردي، الأحكام السلطانية، دار ابن قتيبة، الكويت، ٢٠٠٨م.

٨- أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري الشرطي، شرح صحيح البخاري، الطبعة الثانية، مكتبة الرشيد، السعودية، ٢٠٠٣م.

٩- أبو الحسن علي بن محمد الماوردي(ت٤٥٠هـ) ، أدب الدنيا والدين، الطبعة الأولى، دار المنهاج، بيروت، ٢٠١٣

١٠- أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت٤٧١هـ)، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٣.

١١- أبو الرحمن الخليل البصري، العين، دار ومكتبة الهلال، دون تاريخ نشر.

١٢- أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن العظيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت،٢٠٠٧.

١٣- أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ط٢، دار الكتاب اللبنانيين، بيروت، ١٩٨٠م.

١٤- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي(ت٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، الطبعة الأولى، ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨.

١٥- أبو الفضـــل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيســـابوري(ت٤٠٥هـ)، مجمع الأمثال، دار المعرفة – بيروت، لبنان، دون سنة.

١٦- أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي(ت٦٩٠هـ)، بحر العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣.

١٧- أبو المعاطي حافظ، النظام العقابي الإسلامي، مؤسسة دار التعاون، ١٩٧٦.

١٨- أبو جعفر الطبري، جامع البيان تفسير القرآن الطبري، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة،٢٠٠٠.

١٩- أبو حـامـد الغزالي(ت٥٠٥هـ)، المســـتصـــفى، الطبعـة الأولى، دار الكتـب العلمية،١٩٩٣.

٢٠- أبو حفص عمر بن على ابن عادل الدمشقي الحنبلي، تفسير الشباب لابن عادل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨

٢١- أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، ، شرح النووي على صحيح مسلم، الطبعة الثانية، دار أحياء الثرات العربي، بيروت، دون تاريخ نشر.

٢٢- أبو زيد بن الخطاب القريشي، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.

٢٣- أَبُو طالب وأَبُو المجد عقيل بن عطية بن أبي أحمد جعفر بن محمد بن عطية القضـــاعي الأندلســـيّ الطّرطوشـــيّ، تحرير المقال في موازنة الأعمال وحكم غير المكلفين في العقبى والمـآل، دار الإمـام مـالـك، أبو ظبي – الإمـارات العربيـة المتحدة، ٢٠٠٦م.

٢٤- أبو عبد الله محمد البخاري،(ت٢٥٦هـ), أحمد بن علي بن حجر العســـقلاني، صحيح البخاري مع فتح الباري، دار الكتب السلفية، القاهرة، دون تاريخ نشر.

٢٥- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٥٦هـ),الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي ,تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش, الطبعة الأولى ,دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤.

٢٦- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم (٥٦٦٥)، دار الصديق، الجيل، السعودية، ٢٠٠٠ الجهاد والسير: باب.

٢٧- أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٤م.

٢٨- أبو فارس، محمد عبد القادر، النظام السياسي في الإسلام، الطبعة الأولى، دار الفرقان، عمان، ١٩٨٠.

٢٩- أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ.

٣٠- أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، المغني، بدون طبعة، مكتبة القاهرة، ١٩٦٨.

٣١- أبو محمد علي بن احمد ابن حزم الأندلسي، الأخلاق والسير في مداواة النفوس، دار ابن الجوزي، السعودية، ٢٠١٧م.

٣٢- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي(ت٣٣٩هـ) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.

٣٣- أبو يعلى البيضاوي، تفسير البيضاوي، دار الرشيد، دمشق-بيروت،٢٠٠٠.

٣٤- أبو يعلى محمد الفراء، الأحكام السلطانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠.

٣٥- أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، الاشتقاق ، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١ الطبعة الأولى .

٣٦- أحمد ابن تيمية، الحسبة في الإسلام، دار الكتب العلمية، دون تاريخ نشر لطبعه الاولى .

٣٧- أحمد ابن حنبل، المسند، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١.

٣٨- احمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٢٨م.

٣٩- أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى الكبرى، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٩٩٥.

٤٠- أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت، ١٩٦٠م.

٤١- أحمد بن محمد بن علي الفيومي(ت٧٠٧هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، دون تاريخ نشر.

٤٢- أحمد علي الملا، أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية، دار الفكر، دمشق، سوريا، ١٩٨١م.

٤٣- أحمد محمد عوف، عبقرية الحضارة المصرية القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م.

٤٤- أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة،١، عالم الكتب، الطبعة الاولى ٢٠٠٨.

٤٥- إسماعيل بن حماد الجوهري،(ت٣٩٣ هـ),الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م.

٤٦- أندريه إيمار، وجانين أوبوايه، تاريخ الحضارات العام، ، منشورات عويدات، بيروت-باريس، الطبعة ١٩٨٦.

٤٧- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، ، الجامع الصحيح المنسد من حديث رسول الله، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، دون سنة.

٤٨- بوزباني الدراجي، العصبية القبلية ظاهرة اجتماعية وتاريخية على ضوء الفكر الخلدوني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧م.

٤٩- جعفر السبحاني، أضواء على عقائد الشيعة الأمامية وتاريخهم، دار مشعر للنشر، الطبعة الأولى، ١٣٧٩هـ

٥٠- جمال الدين فالح الكيلاني، الرحلات والرحالة في التاريخ الإسلامي (دراسة في مصادر التاريخ العربي الوسيط)، دار الزنبقة للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١٤م.

٥١- جميل عبد القادر اكبر, عمارة الأرض في الإسلام, طبعة منقحة وملومة مع بعض الإضافات , ١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠ م .

٥٢- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، لبنان، ٢٠٠١م.

٥٣- حسن الحسيني الشيرازي، موسوعة الكلمة، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الاولى

٥٤- حسن النوري الطبرسي, مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل, مؤسسة آل البيت لاحياء التراث, رقم ١٤٠٨ هـ.

٥٥- حسن سعيد الكرمي، الهادي إلى لغة العرب، دار لبنان للطباعة والنشر ١٩٩١

٥٦- مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، دار الفكر، ٢٠١٩.

٥٧-

٥٨- حسين بن صالح ال حميد، سنن الله في الأمم من خلال آيات القرآن الكريم، طبعة الأولى دار الهدى النبوي دار الفضيلة، دون تاريخ نشر.

٥٩- حسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني،(ت٥٠٢هـ), مفردات ألفاظ القرآن، دون دار نشر، ٢٠٠٩.

٦٠- حسين عمر، موسوعة المصطلحات الاقتصادية، طبعة الثانيه، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، ١٩٦٧.

٦١- حسين فهمي مصطفى، التعايش السلمي ومصير البشرية، الدار القومية للنشر والطباعة، القاهرة، دون تاريخ نشر.

٦٢- حميد ناصر، الرزي ,مفهوم العمل في الإسلام وأثره في التربية الإسلامية، منشورات دائرة الثقافة والأعلام، الشارقة، ١٩٩٨م.

٦٣- خالد بن عبد الرحمن الجريسي، العصبية القبلية من المنظور الإسلامي، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، ٢٠٠٨م.

٦٤- خالد عزب, فقه العمارة والمجتمع والدولة في الحضارة الإسلامية, الدار المصرية اللبنانية فائزة بأفضل كتاب عن مؤسسة الفكر العربي ٢٠١٤.

٦٥- الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، العين ، تح: عبد الحميد هنداوي / الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية / بيروت ، ١٤٢٤هـ مادة (قوم).

٦٦- الراغب الأصفهاني، غريب القرآن، الطبعة الأولى دار القلم، بيروت، ١٤١٢هـ.

٦٧- الريشـــهري، محمد، ميزان الحكمة ، الطبعة الأولى، دار الحديث، قم، دون تاريخ نشر.

٦٨- الزمخشــري(ت٥٣٨هـ) ، محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي ، الفائق في غريب الحديث، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ١٩٤٨.

٦٩- الزمخشـــري، محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي ، جار الله، أبو القاسم، أساس البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

٧٠- زين الدين ابن نجيم، البحر الرائق، دار المعرفة، بيروت، دون تاريخ نشر.

٧١- زين الدين الرازي، المختار الصـحاح، المكتبة العصـرية-الدار النموذجية، بيروت، ١٩٩٩.

٧٢- ســعدي أبو جيب، القاموس الفقهي لغةً واصــطلاحاً، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق، سوريا، ١٩٩٣.

٧٣- سعيد عبد الفتاح عاشور، سعد زعلول عبد الحميد، أحمد مختار العبادي دراسات في تاريخ الحضــارة الإســلامية العربية، دار المعرفة الجامعية للنشــر والتوزيع، مصر، دون سنة.

٧٤- سليمان بن أحمد الطبراني ،المعجم الكبير، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، دون تاريخ نشر.

٧٥- سميح عاطف الزين، معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة ،الناشر دار الكتاب المصري ،دار الكتاب اللبناني، سنة النشر ،الطبعة الأولى ،١٩٩١ .

٧٦- شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الآلوسي،روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ،الطبعة الأولى ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،١٤١٥هـ.

٧٧- شــمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، الذهبي، سير أعلام النبلاء، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، مصر، ١٩٨٥م.

٧٨- شوقي أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، دار الفكر المعاصر، دمشق، ١٩٩٤م.

٧٩- شوقي ضيف، أحمد شوقي عبد السلام ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠م.

٨٠- شوقي ضيف، الحضارة الإسلامية من القرآن والسنة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٧

٨١- عباس كاشف الغطاء، المدخل إلى الشريعة الإسلامية، منشورات مؤسسة كاشف الغطاء العامة، الطبعة الثالثة، ٢٠١٠م.

٨٢- عبد الحق بن غالب بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١.

٨٣- عبد الحميد بن باديس، عالم التذكر من كلام الحكيم الخبير، المطبعة الجزائرية الإسلامية، قسنطينة، ١٩٤٨.

٨٤- عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي أبو الفلاح، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الطبعة الأولى، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ١٩٨٦م.

٨٥- عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠.

٨٦- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ولي الدين، مقدمة ابن خلدون، دار يعرب، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٨٧- عبدالعزيز بن عثمان التويجري، الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن الحادي والعشرين، التربية الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط، ١٩٩٨

٨٨- عبد العزيز العوضي، القواعد الكبرى للتعايش السلمي من خلال القواعد الكلية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، عمان، ٢٠١٣.

٨٩- عبد الغني أبو العزم، معجم الغني الزاهر، دار الكتب العلمية، ٢٠١٣

٩٠- عبد القادر المعاضيدي وأخرون، تاريخ الدولة العربية الإسلامية –العصر الأموي، بغداد ١٩٩٩م.

٩١- عبد القادر عودة، الإســـلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه، الاتحاد الإســـلامي للمنظمات الطلابية، ٢٠١٢م.

٩٢- عبد القادر عودة، التشـريع الجنائي الإسـلامي، دار الكاتب العربي، بيروت، دون تاريخ نشر.

٩٣- عبد الكريم المدرس، مواهب الرحمن، دار الحرية، ١٩٨٦.

٩٤- عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي أبو البركات، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، دار الكلام الطيب، بيروت، ١٩٩٨.

٩٥- عبد الله بن ضـيف الله الرحيلي، الأخلاق الفاضـلة قواعد ومنطلقات لاكتسـابها، طبعة الثانية ، مطبعة سفير، ٢٠٠٨م.

٩٦- عبد الله بن موسـى يلكوي، التعايش دراسـة نقدية في ضـوء الإسـلام، دون طبعة، دون دار نشر، دون تاريخ نشر.

٩٧- عبد الله ناصـع علوان، معالم الحضـارة في الإسـلام وأثرها في النهضـة الأوروبية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، ٢٠٠٦م.

٩٨- عبد المعطي قلمجي، دلائل النبوة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨.

٩٩- عبد الواحد بن محمد تميمي آمدي، تصـــنيف غرر الحكم ودرر الكلم، مكتب الأعلام الإسلامي، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

١٠٠- عبد الوهاب الكيالي وآخرون، الموسـوعة السـياسـية، المؤسـسـة العربية للدراسـات والنشر، بيروت، ١٩٩٤.

١٠١- العز ابن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٩١.

١٠٢- عز الدين الخطيب التميمي وآخرون، نظرات في الثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠١٤.

١٠٣- عز الدين الخطب وآخرون، نظرات في الثقافة الإسلامية، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ٢٠١٤م.

١٠٤- عقيد خالد العزاوي، قراءة تحليلية للبحث القرآني في حفظ الأمن المجتمعي، مجلة مداد الآداب، الجامعة المستنصرية، ٢٠٢٠م.

١٠٥- علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، ، مجمع الزوائد، مكتبة القدسي، القاهرة، دون تاريخ نشر.

١٠٦- علي حيدر درر الحكام شرح، مجلة الأحكام العدلية، تحقيق تعريب، المحامي فهمي الحسيني، دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ نشر.

١٠٧- علي عاشور، تفسير القرآن الكريم برواية الإمام علي، دار الصفوة، الطبعة الأولى، ٢٠١١

١٠٨- علي كاشف الغطاء، أدوار علم الفقة وأطواره، تحقيق الشيخ تحسين البلداوي ١٣٣١-١٤١١هـ، منشورات مؤسسة كاشف الغطاء العامة، العراق ،النجف الأشرف

١٠٩- علي منصور، نظام التجريم والعقاب في الإسلام، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ١٩٧٦.

١١٠- عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، دار العلم للملايين ,الطبعة الثالثة, بيروت، ١٩٨١م.

١١١- عماد الدين خليل، مؤشرات حول الحضارة الإسلامية، دار الصحوة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ٢٠١٨م.

١١٢- عيادة بن أيوب الكبيسي، الأربعون المنيرة في الأجور الكبيرة على الأعمال السيرة، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دون تاريخ نشر.

١١٣- فاطمة السيد علي سباك، الشريعة والتشريع وخصائص الشريعة الإسلامية، مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديو بند ، الهند , ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .

١١٤- فتحي احمد عامر، المعاني الثانية في الأسلوب القرآني، الطبعة الأولى ، منشاة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٠.

١١٥- فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين, الطبعة الثانية ، كتاب فروشى بوزر جمهرى مصطفوى، ايران، ٢٠١٧م.

١١٦- فخر الدين عثمان الزيلعي، تبيين الحقائق، الطبعة الأولى، المطبعة الكبرى الأميرية، القاهرة، ١٣١٣هـ.

١١٧- فكري عكاز، فلسفة العقوبة في الشريعة الإسلامية والقانون، شركة مكتبات عكاز، ١٩٨٢.

١١٨- فيليب حتّي، تاريخ العرب ,دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٥١م.

١١٩- قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق للنشر، مصر، ٢٠٠٣.

١٢٠- كمال الدين محمد ابن الهمام، فتح القدير، دون طبعة ، دار الفكر، دون تاريخ نشر.

١٢١- كميل الحاج، الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي، مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠٠

١٢٢- لويس معلوف، المنجد في اللغة والعلوم، المطبعة الكاثوليكية، ٢٠٠٩.

١٢٣- مالك عمر بن الخضر بن نبي، شروط النهضة، دار الفكر، دمشق سورية، ١٩٨٦.

١٢٤- مجد الدين أبن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩.

١٢٥- مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م.

١٢٦- مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، الطبعة الثامنة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٨، ٢٠٠٥م.

١٢٧- مجموعة من الباحثين بإشراف عبد القادر السقاف، نشأة الشيعة وجذورها التاريخية، الطبعة الأولى، موقع الدرر السنية على الإنترنت، ٢٠١١م.

١٢٨- مجموعة من العلماء، المعجم الوسيط، دار الدعوة، دون تاريخ نشر.

١٢٩- محمد ابن قيم الجوزية، أعلام الموقعين، الطبعة الأولى، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، دون تاريخ نشر.

١٣٠- محمد أبو زهرة، فلسفة العقوبة في الفقه الإسلامي، دار الفكر العربي، دون مكان نشر، دون تاريخ نشر.

١٣١- محمد أبو زهرة، في المجتمع الإسلامي، الطبعة الثانية، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٩٨١.

١٣٢- محمد الأحمد، حكم الحبس، الطبعة الأولى، جامعة الملك عبد العزيز، مكة المكرمة، السعودية، ١٩٧٩

١٣٣- محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الحكي الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٥.م

١٣٤- محمد الخطيب الشربيني الشافعي، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، دون تاريخ نشر.

١٣٥- محمد الطاهر ابن عاشور، مقاصد الشريعة، دار الكتب اللبناني ودار الكتب المصرية، بيروت- القاهرة، ٢٠١١م.

١٣٦- محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير من التفسير، الدر التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

١٣٧- محمد باقر الصدر، اقتصادنا، الطبعة الثانية، مكتب الأعلام الإسلامي، قم، ١٤٢٥هـ.

١٣٨- محمد باقر العلامة المجلسي، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء – بيروت – لبنان.

١٣٩- محمد باقر الملكي الميانجي، مناهج البيان في تفسير القرآن، مؤسسة النبأ الثقافية، طهران، مطبعة دالاهو، ٢٠١٣م.

١٤٠- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ، مختار الصحاح, الدار النموذجية، بيروت، ١٩٩٩.

١٤١- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح ، دار الرسالة , الكويت ، ١٤٠٣هـ.

١٤٢- محمد بن أحمد ,الأزهري, تهذيب اللغة ,طبعه الأولى ,دار إحياء التراث العربي بيروت ٢٠٠١ م

١٤٣- محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تهذيب اللغة، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ٢٠٠١م.

١٤٤- محمد بن أحمد بن محمد عليش، منح الجليل شرح مختصر خليل، بدون طبعة، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٩.

١٤٥- محمد بن إسماعيل البخاري، ، كتاب الحمائل وتعليق السيف بالعنق، دار الطوق النجاة، دون دار نشر، دون تاريخ نشر

١٤٦- محمد بن الحسن بن علي الحر، العاملي, وسائل الشيعة، طبعة مؤسسة آل البيت، قم، إيران، ١٩٨٨.

١٤٧- محمد بن الحسين الشريف الرضي، نهج البلاغة، تحقيق الشيخ قيس بهجت العطار، مؤسسة الرافد للمطبوعات، ١٤٣١هـ -٢٠١٠م.

١٤٨- محمد بن جرير الطبري, تاريخ الملوك والأمم، الطبعة الأولى ، بيت الأفكار الدولية، ٢٠٠٩.

١٤٩- محمد بن عبد الرحمن الوصابي، البركة في فضل السعي والحركة، مطبعة الفجالة الجديدة، دون تاريخ نشر.

١٥٠- محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، الجامع الكبير، سنن الترمذي باب فضل العلم، الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.

١٥١- محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، الطبعة الثانية، دار الهداية ,الكويت، ٢٠٠٨.

١٥٢- محمد بن يعقوب الكليني، الكافي ، مطبعة الخيام، قم، ١٤٠٣هـ ١٩٨٢م

١٥٣- محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

١٥٤- محمد تقي المدرسي، الابتلاء مدرسة الاستقامة، دار محبي الحسين (عليه السلام)، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م.

١٥٥- محمد توفيق السبع، قيم حضارية، الطبعة الثانية، دار المنار للنشر والتوزيع، القاهرة، دون تاريخ نشر.

١٥٦- محمد جمال الدين،القاسمي, محاسن التأويل الطبعة الأولى، الناشر عيسى البابي الحلبي، ١٩٥٧.

١٥٧- محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ,الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ .

١٥٨- محمد جمال الدين،القاسمي, محاسن التأويل الطبعة الأولى، الناشر عيسى البابي الحلبي، ١٩٥٧.

١٥٩- محمد حسين الحائري، دائرة المعارف، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت،١٩٥٤،

١٦٠- محمد خير هيكل، الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، الطبعة الثانية، دار البيارق، ١٩٩٦.

١٦١- محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠.

١٦٢- محمد سعيد الطباطبائي الحكيم، أصول العقيدة، دار الهلال، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.

١٦٣- محمد سعيد رمضان البوطي، الإسلام ملاذ المجتمعات الإنسانة , الطبعة الرابعة، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ١٩٨٤م.

١٦٤- محمد سعيد رمضان البوطي، سنن الله في عباده، دار الفكر المعاصر، ٢٠١٧.

١٦٥- محمد سليم العوا، في أصول النظام الجنائي الإسلامي، الطبعة الأولى، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٦.

١٦٦- محمد سند، أسس النظام السياسي عند الأمامية، دار الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٢.

١٦٧- محمد عبد الرؤوف المناوي, فيض القدير، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٢.

١٦٨- محمد عبد السلام الخفاجي، الإسلام والحضارة الإنسانية، دار الكتاب اللسان، دون تاريخ نشر.

١٦٩- محمد عثمان عبد الله المراغي، تاج التفاسير، المطبعة الكبرى الاميرية، بولاق، ١٣١٣هـ.

١٧٠- محمد علي الحلو، تفسير الإمام الحسين (عليه السلام) التفسير الأثري التطبيقي، إصدار قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

١٧١- محمد عمارة، مقومات الأمن الاجتماعي في الإسلام، الطبعة الأولى، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٩.

١٧٢- محمد قطب، مفاهيم يبغي أن تصحح، الطبعة الثامنة، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٤م.

١٧٣- محمد مصطفى الأعظمي، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية، دون دار نشر، تونس، ١٩٨٥.

١٧٤- محمد هادي معرفة، التفسير الأثري الجامع، منشورات ذوي القربي – قم، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

١٧٥- محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الطبعة الثالثة، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٩.

١٧٦- محمود محمد شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧.

١٧٧- محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تفسير معالم التنزيل، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.

١٧٨- مرتضى الرضوي، آراء المعاصرين حول آثار الأمامية، مطبوعات النجاح، القاهرة، الطبعة الأولى ,١٩٧٩.

١٧٩- مسلم، أبو الحسين بن الحجاج النيسابوري، المسند الصحيح، كتاب الوصية، دون تاريخ نشر.

١٨٠- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون سنة.

١٨١- مسلم، أبو الحسين بن الحجاج النيسابوري، المسند الصحيح، كتاب الوصية، دون تاريخ نشر.

١٨٢- مصطفى إبراهيم الزلمي، أصول الفقه في نسيجه الجديد، شركة الخنساء المحدودة، بغداد، ١٩٩٩م.

١٨٣- مقداد يالجن محمد علي، علم الأخلاق الإسلامية، الطبعة الثانية، دار عالم الكتب للطباعة والنشر – الرياض، ١٩٩٢م.

١٨٤- مناع بن خليل القطان، تاريخ التشريع الإسلامي، مكتبة وهبة، الطبعة الخامسة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١٨٥- منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، كشاف القناع عن متن الإقناع، دار الكتب العلمية، دون تاريخ نشر.

١٨٦- منصور محمد منصور الحفناوي، الشبهات وأثرها في العقوبة الجنائية في الفقه الإسلامي مقارنا بالقانون، مطبعة الأمانة، ١٩٨٦.

١٨٧- موريس كرنستون، المصطلحات السياسية التعايش دراسة نقدية في ضوء الإسلام، دون دار نشر،١٩٧٠.

١٨٨- الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الطبعة الثانية، مطابع دار الصفوة، مصر، ١٤٢٧هـ.

١٨٩- الميداني، عبد الرحمن حسن، الأخلاق الإسلامية وأسسها، الطبعة الثامنة، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٠.

١٩٠- ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ٢٠١٢.

١٩١- ناصر مكارم الشيرازي، الأخلاق في القرآن، دار الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م

١٩٢- ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مدرسة الإمام علي عليه السلام للنشر، الطبعة الأولى، التصحيح الثالث، ١٤٢٦هـ

١٩٣- ناصر مكارم الشيرازي، دروس في العقائد الإسلامية، مدرسة الإمام علي عليه السلام للنشر، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧هـ

١٩٤- الندوي، أبو الحسن، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، مكتبة الإيمان، ١٩٤٥.

١٩٥- نور الدين بن مختار الخادمي، علم المقاصد الشرعية، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان، ٢٠٠١.

١٩٦- هيشور، محمد، سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٩٦م.

١٩٧- يوسف القرضاوي، السنة مصدرا للمعرفة والحضارة، دار الشروق، القاهرة، مصر، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٢م.

**ثانياً: الكتب المترجمة:**

١- أنطوينا تشايز ومارثا ميناو، تخيل التعايش معاً تجديد الإنسانية بعد الصراع الاثني، ترجمة فؤاد السروجي، محمود الزواوي، الطبعة الأولى، الاهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م.

٢- توينبي، أرنولد، مختصر دراسة للتاريخ، ترجمة فؤاد محمد شبل، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٧٥م.

٣- صديقي، عبد الحميد، تفسير التأريخ، ترجمة: كاظم الجوادي، الطبعة الأولى، دار القلم، الكويت، ١٩٩٨م.

٤- فرويد، سيجموند: الحب والحرب والحضارة والموت، ترجمة د. عبد المنعم الحنفي، الطبعة الأولى، دار الرشيد، ١٩٩٢م.

٥- مالك، بن نبي ميلاد مجتمع، ترجمة، عبد الصبور شاهين، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، دمشق، ١٩٨٦م.

٦- ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٥م

**ثالثاً: الرسائل والأطاريح الجامعية:**

١- توفيق أبو حديد، التعصب القبلي في السلوك السياسي الفصائلي الفلسطيني واثره على التنمية السياسية، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، ٢٠١٠م.

٢- عمار توفيق أحمد, مقومات بناء الحضارة وعوامل افولها , من منظور القران الكريم, رسالة ماجستير , جامعة النجاح الوطنية, كلية الدراسات العليا فلسطين.

٣- وهبة الزحيلي، آثار الحرب في الفقه الإسلامي (دراسة مقارنة)، دار الفكر المعاصر، ٢٠١٨.

**رابعاً: البحوث والمجلات:**

١- بتول احمد جندية، على عتبات الحضارة، (بحث في السنن عوامل التخلق والانهيار)، الطبعة الأولى، دار الملتقى، حلب، ٢٠١١.

٢- بدر الدين أبو غازي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مجلة الثقافة العربية المعاصرة، القاهرة، دون تاريخ نشر.

٣- حسن يعقوب الفلاحي، الأصول التاريخية في الفكر العربي، مجلة الإسلام اليوم ، دون مكان نشر، دون تاريخ نشر.

٤- رشيد كهوس، سقوط الأندلس من منظور السنن الإلهية، مجلة الأبصار، المغرب، ٢٠١٥.

٥- عبد الرحمن محمد عبد المحسن الأنصاري، معالم أصول التربية الإسلامية من خلال وصايا لقمان لابنه، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٩٩٧م.

٦- علي بن عبد الرحمن الحسون، الأهداف التشريعية للعقوبات في الإسلام، الطبعة الأولى، مجلة جامعة الملك سعود العلوم التربوية والدراسات الإسلامية، الرياض، ٢٠٠١.

٧- محمد رشيد عويد، واقع الحضارة الغربية، مجلة الرسالة الإسلامية، ١٩٨٢.

٨- مقالة محمد محمود كالو, فلسفة العمران الحضاري من منضور قرآني , أبحاث ومقالات في الشريعة والفكر والحضارة , المجلس الإسلامي السوري, جامعة أديامان تركيا, ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٧ م.

٩- محمد وائل بحث كامل عن الحضارة الإسلامية, اخر تحديث ٣٠ يوليو ٢٠١٩.

**خامساً: المصادر الإلكترونية:**

١- التغيير الذي احدثه الاسلام في العرب ،تاريخ الآداب العربية مؤسسة هنداوي .https://www.hindao

٢ - جريدة المحجة، العلم ودوره في بناء الحضارة، العدد: ٤٧٠، لسنة: ٢٠١٧. الموقع: http://almahajjafes.net1

**٣-الجمل، أحمد محمد عبد العظيم، المقاصد الشرعية للعقوبات الإسلامية، تاريخ الزيارة ٢٠٢٢/٥/٢٢.**

**https://www.eastlaws.com/**

## Abstract

The Holy Qur'an is a heavenly book in which there is an integrated way of life for Muslims and human beings because this Qur'anic approach contains the principles and method of dealing and dialogue between human beings regardless of religion، color and sex، which creates peaceful coexistence and constructive cooperation to build human civilization، and from this approach the Arab-Islamic civilization succeeded in absorbing the different races and diverse civilizations that fell under the banner of that civilization of a global and human character، because the constitution of the Islamic religion is the Qur'an that ordered Muslims to deal humanely and use the language of dialogue built. To recognize and respect the other that the Islamic civilization is the only civilization in the history of mankind that has been able to absorb others and create bonds of integration and harmony between peoples، a civilization capable of rising and returning to its glory once Muslims return to adhere to the Qur'anic method The most prominent result of which will be on the political scene at present is the distance of the Islamic world from extremist Islamic currents، and the issue of the spirit of human civilization represents the most important issue addressed by Arab thinkers in the current period، as this level of study constitutes a focus of intellectual tension between the various intellectual spectrums that seek to identify the total characteristics that characterize this spirit in the thought of Islam، whether from its religious or philosophical side. Where the most important characteristics that have been enjoyed by our early scholars can be attracted within the framework of the implicit revelation of the nature of self-awareness that accompanied the early stages of the transfer of the heritage of the great civilizations that were pioneers when it began to spread and impose the authority of the Islamic State over

large parts of the countries of those civilizations، in addition to that the Qur'an is the basis for the development of that tolerant spirit that called for the advancement of humanity on the basis of pure freedom and equality. Ancient theology also expresses the fragments of this problem by delving into the places of naturalism، which was the most important reference on which verbal thought was based to study the requirements of human existence religiously and worldly، and that the immutable truth that we all know، He will reach the conviction of what every sane and fair comparative researcher has، that there is no book in the world old and new like the Qur'an that was and still is the starting point of intellectual and spiritual radiation، and even human civilizational radiation throughout the ages، so one of the achievements of the Holy Qur'an was the construction of civilization and the development of various types of sciences known to the whole world. From its backwardness، paganism، and ignorance، He freed it from oppression، colonialism، and fraternity among its black، white، and yellow. The school of the Qur'an، which raised the childhood of the mind and the soul، until they reached their greatest heights، became the wise mind and the good soul، and it was through their Qur'anic jihad that dozens of different nations and peoples by race، language and creed were turned into the best nation that was brought out to the people، uniting hopes and pains، as the study carries a general call to Muslims to adhere to the Qur'anic method in their lives، whether among themselves or with others who disagree with them in faith and thought، and that dialogue based on respect and mental evidence is their method، which is the curriculum. The Qur'anic recommended by the Islamic religion.

**Republic of Iraq**
**Ministry of Higher Education**
**and Scientific Research**
**University of Babylon**
**Faculty of Islamic Sciences**
**Department of Quran Sciences**

# Elements of Building Human Civilization in the Holy Quran (Objective Study)

**Letter submitted by**

**Naqa Ali Hassan**

**To the Council of the Faculty of Islamic Sciences/University of Babylon which is part of the requirements for obtaining a master's degree in Qur'anic sciences**

**Supervised by**

**Prof. Dr. Mohammed Hamza Al-Shaibani**

**2022A.D** **1443A.H**